مكتبة النشر العربي

إحياء تراث العرب الفكري

تأليف في النواحي الهامة

عمدة الأديب

١

امرؤ القيس

للأستاذ

سليم الجندي

عضو المجمع العلمي العربي

طبع ونشر كل ما له علاقة بالثقافة العربية

ترجمة المحتاج اليه من آثار الغرب

مكتبة النشر العربي

إحياء تراث العرب الفكري

تأليف في النواحي الهامة

عمدة الأديب

١

امرؤ القيس

للأستاذ

سليم الجندي

عضو المجمع العلمي العربي

١٩٣٦

ترجمة الناجح الثمين لأعلام الغرب

طبع ونشر كل ما له علاقة بالثقافة العربية

مكتب النشر العربي
ص. ب. ٣٠٨
دمشق (سورية)

امرؤ القيس

ليس في شعراء الجاهلية من يوازي امرأ القيس أو يتقدمه في الإجادة في كل فنٍ من فنون الشعر التي نظم فيها .

وأنا على مثل اليقين أن كثيراً من مقلدات شعره ذهب بين سمع الأرض وبصرها ، واشتبه على الرواة فنحلوه غيره . ولو جاءنا شعره وافراً لرأينا فيه أدباً جماً ، وخيالاً رائعاً ، وأسلوباً ساحراً .

وما وصل إلينا منه ، على قلته ، يكفي لأن يجعل امرأ القيس إمام الشعراء المتقدمين والمتأخرين : فإن المستقرىء لكلامه يجد فيه من عيون الشعر ما لم يتقدمه فيه سابق ، ولم يشقّ غباره فيه لاحق .

إلاّ أن متانة شعره ، وقوة أسره ، واشتماله عَلَى كثير من الكلمات الغريبة بالنسبة للمتأخرين ، حالت بينهم وبين الاطلاع على براعته ، وثمرات قريحته .

وفي شعره أبيات رائعة لم يستطع الشعراء إلى هذا اليوم أن يأتوا بمثلها في جمال الأسلوب ، وجلاء المعنى ، وسلامة القصد .

من ذلك قوله يصف امرأةً بطيب الرائحة :

ألم تَرَ أنّي كلّما جئتُ طارقاً   وجدتُ بها طيباً وإنْ لمْ تَطيَّبِ !؟

وقوله يصف امرأة بطراوة الجسم ونعومته :

من القاصرات الطرف لو دبّ مُحولٌ   من الذر فوق الإتب منها لأثرا !

وقوله يصف فرسه بشدة الجري :

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كزّ ولا وانِ

وقوله أيضاً يصفه بالمطاوعة والسرعة :

مكرٍّ ، مفرٍّ ، مقبلٍ ، مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطّه السيل من علِ

وقوله يصف أرضاً أصابها الغيث فأنبتت أزهاراً مختلفة الألوان :

وألقى بصحراء الغبيط بَعاعه نزول اليماني ذي العياب المحمّل

وله في باب الوصف والتشبيه والكناية والغزل والحكمة والفخر وغيرها أبيات لا تزال مثلاً أعلى في جودتها ولن تزال .

* * *

وقد عنينا في هذه الرسالة بشرح الغريب ، وإيضاح الغامض من كلامه ، وتأليف المفترق ، وجمع المتشتت ، وإضافة كل نوع إلى جنسه ؛ ليسهل الاطلاع على ما تضمنه شعر امرىء القيس من الإجادة ، ومهدنا السبيل أمام بعض الأبيات ليتجلى الغرض منها بحسب ما تراءى لنا . ولسنا نزعم العصمة ، في كل ما أتينا به ، من الزلل والخطإ . وإنا لنرجو ممن اطلع فيه على خطأ أو غلط أن يرشدنا إليه لنضاعف له الشكر ، ونبادر إلى إصلاحه ؟

اسمه – نسبه – نشأته وحياته

اسمه : حُنْدُج (والحندج : الرملة الطيبة أو كثيب من الرمل أصغر من النقا) .

لقبه : امرؤ القيس [1] ويقال له « الملك الضليل » . قال في الأرب [2] : « وسمي امرؤ القيس بالضليل لأنه ترك ملكه وتوجه إلى قيصر يطلب منه جيشاً يأخذ به ثأر أبيه من بني أسد . »

ويقال له « ذو القروح » ، لقوله :

« وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة »

وسئل لبيد من : « من أشعر الناس ؟ » فقال : « ذو القروح »

وقال الفرزدق :

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا
وأبو يزيد [3] ، وذو القروح ، وجرول

ويقال له : « الذائد » لقوله

« أذود القوافي عني ذياداً »

كنيته : أبو الحارث ، وأبو وهب ، وأبو زيد .

---

(١) القيس : الشدة ، وقيل : صنم . ولذلك كان الاصمعي يقول « ياامرأالله »

(٢) ج ٥ ص ١٩٠ (٣) أبو يزيد المخبل .

نسبه : أبوه : حُجْر بن عامر بن الحرث بن عمرو المقصور (لأنه اقتصر على ملك أبيه ، أي أقعد فيه كَرْهاً) ابن حجر من بني آكل المُرَار [1] معاوية بن ثَوْر . من كندة من اليمن.

وكان أبوه حجر ملكاً على أسد وغطفان.

سبب تملكه عليهم : اختلَّ نظام الأمر في البكريين في نجد ، واحتدم الخلاف بينهم ، فاجتمع شيوخهم وأهل الرأي فيهم ، وقالوا : إن سفهاءنا غلبوا علينا حتى أكل القوي الضعيف ، ولا نستطيع دفع

---

1) المرار : شجر مرٌّ اذا أكلته الابل قلصت عنه مشافرها واحدتها : مرارة . قال ابن الكلبي : « انما سمي حجر آكل المرار لان ابنة كانت له سباها ملك من ملوك سَليح يقال له ابن هَبُو له فقالت له ابنة حجر : كانك بأبي قد جاء كانه جمل آكل المرار » يعني كاشراً عن انيابه ، فسمي بذلك .

وقيل : إنه كان في نفر من أصحابه في سفر فأصابهم الجوع . فاما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا ، وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك أكثرهم ففضل عليهم بصبره على أكل المرار .

وفي الاغاني : أن زياد بن الهبولة سبي امرأة حجر وهي هند ابنة ظالم ، وساق قصة طويلة ، واورد لحجر أبياتا في هند :

لمن النار اوقدت بحفير ... لم ينم عند مصطل مقرور
أو قدتها إحدى الهنود وقالت : ... أنت ذا موثق وثاق الأسير
إن من غره النساء بشيء ... بعد هند لجاهل مغرور
حلوة القول واللسان ومرٌّ ... كل شيء أجن منها الضمير
كل انثى وإن بدا لك منها ... آية الحب حبها خيتعور [1]

---

(١) أي : يتلون ولا يدوم .

ذلك ! ثم رأوا أن يملكوا عليهم رجلا يضرب على أيدي الظالم ويأخذ للضعيف بحقه . ولكنهم أشفقوا إن ولوا عليهم رجلا من قبيلة منهم أن تأباه قبيلة أخرى ؛ فقصدوا تُبَّعا ، ملك اليمن ، ليملكوه عليهم ، فملك عليهم حجر أمير كِندة ، المعروف بآكل المرار . فانتقل الى ديار بكر في نجد ، وسار فيهم سيرة حسنة ، وأعاد إليهم ما انتزعه اللخميون من أرضهم .

فلما مات ولي ابنه عمرو المقصور [1] ، ثم من بعده ولي الحرث بن عمرو و كان نزل الحيرة وله خمسة بنين .

فاشتد الخلاف بين قبائل نزار ، وطمى سيل الفساد فيهم ، فأتوا الحرث وطلبوا إليه أن يوجه بنيه معهم فيقيمون فيهم ليكفوا بعضهم عن بعض ؛ فولى حجراً على أسد وغطفان ، وملَّك بقية بنيه على قبائل أخرى .

فأقام فيهم حيناً من الزمن و كان يأخذ من بني أسد إتاوة في كل سنة ؛ ثم منعوا جابيه وضربوه .

فحمي لذلك ، وأخذ سَرَواتهم ، وجعل يضربهم بالعصا حتى يموتوا (فسموا عبيد العصا) ، وأباح أموالهم ، وحبس أشرافهم في تهامة ؛ فاضطغنوا عليه ذلك حتى أدركوا منه غفلة ، فطمنه عوف بن ربيعة بن عامر من أسد بن خزيمة ، ولم يجهز عليه [2] و كان له خمسة أولاد . فأوصى وصية ،

---

(١) في الاغاني : سمي كذلك لانه قد اقتصر على ملك ابيه ، اي اقعد فيه كرها . والتعليل : يقتضي ان يكون المقسور .

(٢) في نهاية الارب ٥/١٥١ ان بني اسد كانوا قتلوا حجر بن الحرث يوم ما قط

ودفع كتابه إلى عامر من بني عجل ، وقال له : «انطلق إلى ابني نافع ، فإن بكى وجزع فاله عنه ، واستقرئ أولادي واحداً واحداً حتى تأتي امرأ القيس ، فإن لم يجزع فادفع إليه سلاحي وخيلي ووصيتي .» وقد كان بين في وصيته مَنْ طعنه . فأتى الرجل نافعاً فأخبره فوضع التراب عَلَى رأسه وبكى ، فتركه ؛ واستقرأ إخوته واحداً واحداً ، وكلهم فعل ذلك ؛ فأتى امرأ القيس في موضع يقال له دمون من أرض اليمن ؛ فأخبره وهو يلعب بالنرد ، فلم يلتفت إليه حتى فرغ ، ثم تأهب للأخذ بثأر أبيه ، كما سيأتي .

نسبه من قبل أمه : أمه : فاطمة بنت ربيعة بن الحارث أخت كليب البطل المشهور ، ومهلهل الشاعر الشاعر المعروف ، ويقال اسمها تملك . فأبوه يمني من أشراف كندة ، وأمه نزارية من أشراف تغلب .

نشأته وحياته : ليس لدينا من الوثائق التاريخية ما يكشف اللثام عن حقيقة الزمن الذي ولد فيه امرؤ القيس والمكان الذي نبت فيه ، ولا ما يوضح تفصيل نشأته وحياته .

بل لا يزال ذلك سراً غامضاً في زوايا التاريخ المغلقة . وكل ما علم من كلام القوم بطريق النقل أو الاستنباط أن امرأ القيس ولد في نجد في ديار بني اسد ، ونشأ في حجر الملك ، ودرج في مهد الترف والنعيم ؛ فشبَّ بين أقداح الراح ، ومغازلة الملاح ، لا ينقصه شيء من ملاذ الحياة .

استرسل في اللهو ، وأمعن في المجون ، واطلق لنفسه العنان في ميادين الصبوة ، وقعد عما تسمو إليه نفوس امثاله من ابناء الملوك ،

وعلق[1] النساء ، وأكثر من ذكرهن ، والميل إليهن ؛ فكره ذلك أبوه منه ، وزجره فلم ينزجر . فاستشار بطانته فيما يصنع به ، فقالوا : اجعله في رعاء إبلك حتى يكون في أتعب عمل ! فأرسله في الابل فخرج بها يرعاها يومه ، ثم آواها مع الليل وجعل ينيخها ويقول : « يا حبذا طويلة الأقراب ، غزيرة الحلاب ، كريمة الصحاب ! يا حبذا شداد الاوراك ، عراض الاحناك ، طوال الاسماك ! » ثم بات ليلته يدور إلى متحدثه ، حيث كان يتحدث . فقال أبوه : « ما شغلته بشيء ! » قيل له : « فارسله في الخيل » فارسله في خيله فمكث فيها يومه حتى آواها مع الليل . فدنا أبوه حجر يسمع فإذا هو يقول : « يا حبذا إناثها نساء ، وذكورها ظباء ، عدة وسناء ، نعم الصحاب راجلا وراكبا ، تدرك طالبا ، وتفوت هاربا ! » قال أبوه : « والله ما صنعت شيئاً ! » فبات ليلة يدور حواليها . قيل له : « اجعله في الضأن » فمكث يومه فيها حتى إذا أمسى أراحها ، فجاءت أمامه وجاء خلفها . فلما بلغت المراح ، ودنا أبوه يسمع فإذا هو يقول : « أخزاها الله وقد اخزاها ! من باعها خير ممن اشتراها ، لا ترفع إذا ارتفعت ، ولا تروى إذا شربت . أخزاها الله ! لا تهتدي طريقاً ، ولا تعرف صديقاً . اخزاها الله ! لا تطيع راعياً ، ولا تسمع داعياً . » ثم سقط ليلته لا يتحرك . فلما أصبح قال أبوه : « اخرج بها ! » فمضى حتى بعد عن الحي وأشرف على الوادي ، فحثا في وجهها التراب

---

(١) الجمهرة ص ٨٤

فارتدت وجعل يقول: «حجر في حجر حجر، لامدرهبهاب[1]، لحم وإهاب، للطير والذئاب؟».

فلما رأى أبوه ذلك منه، وكان يرغب به عن النساء والشعر[2]، وأبى أن يدع ذلك، أخرجه عنه؛ فخرج مراغماً لأبيه. فكان يسير في أحياء العرب يطلب الصيد والغزل.

والتف حوله فئة من شذاذ العرب وذؤبانهم، فكانوا ينتقلون من مكان إلى آخر، فاذا صادفوا غديراً أو روضة أو موضع صيد، أقاموا عليه يلعبون ويشربون ويصطادون. وكانت القيان تغنيهم في منازلهم، حتى اذا نضب ماؤه انتقلوا إلى غيره.

وله أيام كثيرة قضاها في الصبوة والمجانة مع النساء، وذكرها في شعره، وعدّها من أيامه الصالحة؛ منها يوم الغدير المسمى «دارة جلجل»: وذلك[3] أنه كان مولعاً بابنة عم له يقال لها فاطمة[4]؛ فطلبها زماناً، فلم يصل إليها. فاحتمل الحي ذات يوم وقدّموا الرجال، وخلفوا النساء والخدم والعُسَفاء والثِقَل. فرأى ذلك امرؤ القيس،

---

(١) الهبهاب: الصيّاح، والسراب، ولعبة للصبيان. والمهبهب: القصاب.

(٢) في الاغاني (ج ٨ ص ٦٥): ان حجراً طرد امرأ القيس وآلى أن لا يقيم معه أنفة من قوله الشعر. وكانت الملوك تأنف من ذلك.

(٣) الجمهرة ص ٨٦ (٤) في الزوزني أنها عنيزة ابنة عمه شراحيل. ثم ذكر أن اسمها عنيزة وفاطمة؛ أو اسمها فاطمة، ولقبها عنيزة. وجرى في الجمهرة على ذلك عند قوله: «خدر عنيزة».

فتخلف عن قومه في غيابة من الأرض، حتى مرّت به النساء ؛ وإذا فتيات فيهن ابنة عمه . فلمّا وَرَدْنَ الغدير قُلْنَ : «لو نزلنا فاغتسلنا وذهب عنا بعض ما نجد من الكلال !» فقالت إحداهن : «نعم !» فنزلن فنحين ثيابهن، ثم تجردن، فدخلن الغدير ؛ فأتاهن امرؤ القيس مخاتلاً، فأخذ ثيابهن ثم جمعها وقعد عليها، وقال : «والله لا أُعطي واحدة منكن ثوبها حتى تخرج كما هي فتكون هي التي تأخذه» فأَبَيْنَ ذلك عليه حتى ارتفع النهار، وتذامرن بينهن، وخشين أن يقصرن دون المنزل الذي يردن . فخرجت احداهن فوضع لها ثيابها ناحية ؛ فمشت إليها حتى لبستها . ثم تتابعن على ذلك حتى بقيت ابنة عمه ، فناشدته الله أن يطرح إليها ثيابها ، فقال : «لا والله ؛ أو تخرجي !» فخرجت . فنظر إليها مقبلة ومدبرة ؛ فوضع لها ثيابها ناحية، فلبستها . ثم أقبلن عليه فقلن : «فضحتنا، وحبستنا، وأجعتنا !» قال : «فإن نحرت لكن ناقتي، أتأكلن منها ؟» قلن : «نعم !» . فاخترط سيفه، فعقرها، ونحرها، وكشطها، وجمع الخدام حطباً، وأججوا ناراً عظيمة ؛ فجعل يقطع من سنامها، وكبدها، وأطايبها ويرمي به في الجمر، وهن يأكلن ويأكل معهن، ويشرب من فضلة خمر[1] كانت معه ويغنيهن وينبذ إلى الخدم من ذلك الكباب حتى شبعوا . فلما رأى ذاك وأراد الرحيل، قالت إحداهن : «أنا أحمل طنفسته .» وقالت الاخرى : «أنا أحمل رحله .» فتقسمن متاع راحلته وبقيت ابنة عمه لم تحمل شيئاً، فحملته على غارب بعيرها ؛ فكان يجنح

---

(١) في الزوزني : وكان معه ركوة خمر فسقاهن منها .

٢

إليها فيدخل رأسه في حجرها، ويقبلها ؛ فاذا امتنعت عليه أمال هودجها فتقول : « يا امرأ القيس ! عقرت بعيري فانزل ! » فما زال كذلك حتى جنه الليل، ثم راح إلى أهله . وذلك قوله :

ويوم عقرت للعذارى مطيتي　　فيا عجباً من كورها المتحمل

* * *

قضى امرؤ القيس شطراً كبيراً من حياته في الصبوة واللهو، ولم يشأ له القدر أن يتمّ البقية الباقية منها في مسارح الصبابة بين الغيد الحسان، وأقداح الخمر .

فبينما هو ذات يوم مع رفاقه في موضع يقال له دَمُّون من أرض اليمن، يشرب الخمر، ويلعب بالنرد، جاءه عامر العجلي فقال له : « قُتِلَ حجر ! » فلم يلتفت إليه ؛ وأمسك رفيقُه عن اللعب . فقال له امرؤ القيس : «اضرب!» فضرب ؛ حتى إذا فرغ قال:«ما كنت لأفسد عليك دستك !» ثم أقبل على الرسول فسأله عن أمر أبيه فأخبره، فقال: « تطاول الليل علينا دمون ! دمون إنا معشر يمانون ! وانا لأهلها محبون ! » ثم قال :

أرقت ولم يأرق لمثلي نافع　　وهاج لي الشوق الهموم الروادع[1]

ثم قال :

« ضيّعني صغيراً، وحمّلني دمه كبيراً ! لا صحو اليوم، ولا سكر غداً ! اليوم خمر، وغداً أمر ![2] » (فذهبت مثلا) . ثم دفع

(١) ردعه عن الشيء : كفه ؛ وردع به الارض : اذا ضرب به الارض .

(٢) في اللسان : قال امرؤ القيس على الشراب حين قيل له : قتل أبوك :

إليه الرسول الوصية والكتاب والسلاح ، ثم قال :

خليليّ لا في اليوم مصحى لشارب ولا في غدٍ إذْ ذاك ما كان يُشرب

ثم شرب سبعاً . فلما صحا ، آلى أن لا يأكل لحما ، ولا يشرب خمراً ، ولا يدّهن ، ولا يلهو ، ولا يغسل رأسه حتى يدرك ثأر أبيه : فيقتل مئة من بني أسد ، ويجز نواصيَ مئة .

فلما جَنّ عليه الليل رأى برقاً فقال :

أرقت لبرق بليل أهلْ يضيءُ سناه بأعلى الجبلْ
أتاني حديث فكذبتهُ بأمر تزعزع منه القللْ .[1]
بقتل بني أسد ربهم ألا كل شيءٌ سواه جلل[2]
فأين ربيعة عن ربها ، وأين تميم ، وأين الخَوَلْ[3]
ألا يحضرون لدى بابه كما يحضرون إذا ما أكل ؟

ويقال : إنه لما قُتل أبوه كان غلاما قد ترعرع ، وكان مقيما في بني حنظلة ، لان ظئره[4] كانت امرأة منهم ؛ فلما بلغه ذلك قال :

بالهف هند إذ خطئن كاهلا القاتلين الملكَ الحُلاحِلا

ـ اليوم قِحاف ، وغداً نِقاف ! والقحاف : شدة الشرب ، والنقاف : المضاربة بالسيوف على الرؤوس . ويقال : اليوم قحاف وغداً نقاف ؛ أي : اليوم خمر ، وغداً أمر . وفي التاج : أي اليوم الشرب بالقحاف . قال أبو الهيثم : المقاحفة : شدة المشاربة بالقحف وذلك أن احدهم اذا قتل ثأره شرب بقحف رأسه يتشفى به .

(١) تزعزع : تتحرك ؛ والقلل : ج . قلة : وهي أعلى الجبل ، وقلة كل شيءٌ اعلاه (٢) ربهم : سيدهم ؛ جلل : يسير ، هين . (٣) الخَوَل : الخدم والحشم (٤) الظئر : العاطفة على ولد غيرها والمرضعة له .

تالله لا يذهب شيخي باطلا　　　يا خير شيخ حسباً ونائلا
وخيرهم قد علموا فواضلا　　　يحملننا والأسل النواهلا
وحيّ صعب[1] والوشيج الذابلا　　　مستثفرات[2] بالحصى جوافلا

ثم أخذ[3] يعد العدد، ويجهز الأسلحة، ويستنفر القبائل لقتال بني أسد. فانتهى إليهم خبر ذلك فأوفدوا إليه رجالاً: كهولاً وشباناً، فيهم المهاجر بن خداش ابن عم عبيد بن الأبرص، وقبيصة بن نعيم، وكان في بني أسد مقيماً، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور ورداً وإصداراً، يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب. فلما علم بمكانهم، أمر بإنزالهم، وتقدم بإكرامهم والإفضال عليهم، واحتجب عنهم ثلاثاً. فسألوا من حضرهم من رجال كندة؟ فقال: «هو في شغل بإخراج ما في خزائن حُجْر من السلاح والعدة.» فقالوا: «اللهم غفراً! إنما قدمنا في أمرٍ نتناسى به ذكر ما سلف، ونستدرك به ما فرط؛ فليبغِ[4] ذلك عنا!» فخرج عليهم في قباء وخف وعمامة سوداء. وكانت العرب لا تعتمّ بالسواد إلا في الترات[5]. فلما نظروا إليه قاموا له، وبدر إليه قبيصة، فقال: «إنك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه أيامه وتتنقل به أحواله، بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ، ولا تذكرة مجرّب. واك

---

(١) صعب بن علي بن بكر بن وائل (٢) استثفر: أدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه؛ واستثفر الانسان: ادخل إزاره بين فخذيه ملوياً. واراد بقوله «مستثفرات بالحصى»: أنها أثارت الحصى بحوافرها لشدة جريها حتى ارتفع إلى اثفارها، ج. ثفر، وهو السير الذي في مؤخر السرج. (٣) الاغاني ٨/ ٧٣ (٤) لعلها: فليبلَغ (٥) الترات: ج. ترة: الذَّحل.

من سوءدد منصبك، وشرف أعراقك وكرم أصلك في العرب محتمل يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة، ورجوع عن هفوة؛ ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك. فوجدت عندك من فضيلة الرأي، وبصيرة الفهم، وكرم الصفح في الذي كان من الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزاراً واليمن، ولم تخصص كندة بذلك دوننا للشرف البارع! كان لحجر التاج والعمة فوق الجبين الكريم، وإخاء الحمد، وطيب الشيم، ولو كان يُفدى هالك بالأنفس الباقية بعده، لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك، ولفديناه منه! ولكن مضى به سبيل لا يرجع أولاه على أخراه، ولا يلحق أقصاه أدناه. فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال: إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتاً، وأعلاها في بناء المكرمات صوتاً، فقدناه إليك بنسعة[1] يذهب مع شفرات حسامك، تناثي[2] قعيدته[3] فنقول: امتحن بهلك عزيز! فلم تستل سخيمته[4] إلا بتمكينه من الانتقام؛ أو فداء بما يروح على بني أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الحسبة؛ فكان ذلك فداء رجعت به القضب[5] إلى أجفانها لم يردده تسليط الإحن على البُرءاء؛ وإما أن توادعنا[6] حتى تضع الحوامل فتسدل الأُزُر، وتعقد الخُمُر فوق الرايات.» قال: فبكى ساعة، ثم رفع رأسه فقال: «لقد علمت العرب

---

(١) النسعة: سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره. (٢) تناثي: تذكر.
(٣) قعيدته: زوجته. (٤) سخيمته: حقده وضغينته. (٥) القضب: السيوف.
(٦) الموادعة المتاركة والمهادنة.

أن لا كف لحجر في دم . وإني ان أعتاض به جملاً أو ناقة ، فأكتسب بذلك سبّة الأبد ، وفتّ العضد[1] . وأما النَّظِرة[2] فقد أوجبتها الأجنّة[3] في بطون أمهاتها ، ولن أكون لعطبها سبباً ! وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك : تحمل القلوب حَنَقاً[4] ، وفوق الأسنة عَلَقاً[5] :

« إذا جالت الخيل في مأزِق   تدافع فيه المنايا النفوسا

« أتقيمون أم تنصرفون ؟ » قالوا : « بل ننصرف بأسوإ الاختيار ، وأبلى الاجترار[6] لمكروه وأذية ، وحرب و بلية » . ثم نهضوا عنه ، وقبيصة يقول متمثلاً :

لعلك أن تستوخم[7] الموت إن غدت   كتائبنا في مأزق الموت تمطر !

فقال امرؤ القيس : « لا والله ! لا أستوخمه . فرويداً ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة و كتائب حمير ! ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي إذ كنت نازلاً بربعي ، ولكنك قلت فأجبت ! » فقال قبيصة : « ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب » . قال امرؤ القيس : « فهو ذاك ! »

ثم ذهب امرؤ القيس فاستنجد بكراً وتغلب فسألهم النصر على بني أسد فبعث العيون على بني أسد ، فنزلوا بالعيون ، ولجأوا إلى بني كنانة .

---

(١) فتّ فلان في عضده : إذا كسر من نيات اعوانه وفرقهم عنه ؛ والعضد : الناصر والمعين . (٢) النظرة : التأخير في الامر . (٣) الاجنة : ج . جنين : الولد ما دام في بطن امه . (٤) الحنق : الغيظ . (٥) العلق : الدم (٦) اجترّ : جذب وجرّ . (٧) استوخم الطعام : لم يستمرئه ولا حمد مغبته ؛ واستوخم الارض : استوبلها ، أي : لم توافقه في مطعمه وان كان محباً لها .

فقال لهم عِلْباء بن الحارث : « يا معشر بني أسد ؟ إن عيون امرئ القيس قد أتتكم ورجعت إليه بخبركم ؛ فارحلوا بليل ، ولا تعلموا بني كنانة . » ففعلوا . وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة وهو يحسبهم بني أسد ، فوضع فيهم السلاح وقال : « يا لثارات الملك ! » فقالت له عجوز كنانية : « أبيت اللعن ! لسنا لك بثأر ! نحن من كنانة ، فدونك ثأرك فاطلبهم ؛ فإن القوم قد ساروا بالامس » فتبع بني أسد ، ففاتوه ليلتهم تلك ، فقال :

ألا يا لهف هند إثر قوم ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب [1]
وأفلتهن عِلْباء جريضاً ... ولو أدركنه صفر الوطاب [2]

وكانت بنو أسد على الماء فنهد إليهم فقاتلهم ، فأكثر فيهم القتل والجرح . فهربوا بعد أن حجز الليل بين الفريقين .

ثم تراجعت بكر وتغلب عن نصرته ، وقالوا : « أصبت ثأرك ! »
فقال : « والله ما أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً ! »
قالوا : « بلى ! ولكنك رجل مشؤوم . » وانفضوا عنه .

فذهب إلى اليمن واستنصر الأزد ، فأبوا . فقصد قيلاً يدعى مَرْثد

(1) يعني بني كنانة ، لان أسداً وكنانة أخوان . (2) علباء اسم رجل تقدم ذكره . والجريض : المغموم ؛ وأفلت فلان جريضاً : يكاد يقضي . ومعنى « صفر الوطاب » : لو ادركوه قتلوه وساقوا ابله فصفرت وطابه من اللبن ؛ وقيل : انه كان يقتل فيكون جسمه صفراً من الدم كما يكون الوطاب صفراً من اللبن . والوطاب ج . وَطْب

الخير بن ذي جدن الحميري ، فأمدَّه بخمسمائة رجل من حمير . ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم ، وقام بالمملكة بعده رجل من حمير يقال له قرمل بن الحميم ؛ وكانت أمه سوداء ؛ فردد امرأ القيس وطوّل عليه حتى همّ بالانصراف وقال :

وإذ نحن ندعو مرثد الخير ربنا   وإذ نحن لا ندعى عبيداً لقرمل

فأنفذ له ذلك الجيش ، وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر رجالا من القبائل ، وأمَّ بني أسد . فمرَّ في طريقه على تَبَالَة (١) وفيها صنم يقال له « ذو الخَلَصَة » (٢) فاستقسم عنده بقداحه الثلاثة ، وهي : الآمر ، والناهي ، والمتربص . فخرج الناهي ثلاث مرات . فكسرها ، وضرب بها وجه الصنم ، وقال : « ويحك ! لو أبوك قتل ما عقتني ! » ثم نازل بني أسد فظفر بهم .

ووجه المنذر (٣) جيوشا من إياد وبهراء وتنوخ في طلب امرئ

---

(١) تبالة : بلد باليمن خصبة ؛ وهي غير تبالة التي وليها الحجاج (٢) بيت لخثعم كان يدعى كعبة اليمانية ، وكان فيه صنم يدعى « الخلصة » فهدم ؛ ويقال : انه ما استقسم عند ذي الخلصة بعد ذلك بقدح حتى جاء الاسلام وهدمه جرير بن عبدالله البجلي (٣) سبب العداء بين المنذر وامرئ القيس أن جد امرئ القيس الحارث بن عمرو ملك بعد أبيه ؛ كان شديد الملك بعيد الصيت . ولما ملك قباذ بن فيروز خرج في أيام ملكه رجل يقال له « مزدك » . فدعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم ، وأن لا يمنع أحد منهم أخاه ما يريده من ذلك . وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها . فدعاه قباذ إلى الدخول معه في ذلك ، فأبى ؛ ودعا الحارث بن عمرو فاجابه ، فشدد له ملكه ؛ وطرد المنذر عن مملكته وغلب على ملكه . ثم

القيس ، وأمده أنو شروان بجيش من الأساورة ؛ فتفرقت عنه حمير ومن كان معه ، ونجا امرؤ القيس في فئة من بني آكل المرار ، فنزل بالحرث بن شهاب من بني يربوع بن حنظلة . فبعث اليه المنذر مئة

ـ وقعت حادثة فظيعة وذلك أن أم أنو شروان كانت بين يدي قباذ يوماً ، فدخل عليه مزدك ورآها . فقال لقباذ : « ادفعها إليَّ ! » فقال : « دونكها ! » فجعل أنوشروان يتضرع إليه أن يهب له أمه ، وقبل رجله . فتركها له ، واضطغن ذلك في نفسه . فلما هلك قباذ ملك أنو شروان . وبلغ المنذر هلاك قباذ فأقبل إلى أنو شروان ؛ فلما اذن للناس دخل عليه مزدك ثم دخل المنذر ، فقال أنوشروان : « إني كنت تمنيت امنيتين أرجو ان يكون الله قد جمعها لي . » قال مزدك : « ماهما ؟ » قال : «تمنيت أن املك فأستعمل هذا الرجل الشريف (يعني المنذر) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة ! » قال مزدك : « او تستطيع ان تقتل الناس كلها ؟ » قال « انك لههنا يابن ... ! » ثم أمر به ، فقتل وصلب ، وأمر بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقاً كثيراً .

وطلب أنو شروان الحارث بن عمرو (وكان بالانبار) فخرج هارباً في هجائنه وماله وولده فمرّ بالتوبة ، وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وبهراء واياد . فلحق بارض كليب ، فنجا ، وانتهبوا ماله وهجائنه ؛ وأخذ بنو تغلب ثمانية وار بعين نفساً من بني آكل المرار ، فقدموا بهم على المنذر فضرب رقابهم بجفر الاملاك في ديار بني مرينة . وفيهم يقول امرؤ القيس :

ملوكٌ مِنْ بني حجر بن عمرو ... يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركةٍ أصيبوا ... ولكن في ديار بني مَرِينا (١)
ولم تغسل جماجمهم بغسل ... ولكن في الدماء مُرمّلينا (٢)
تظل الطير عاكفة عليهم ... وتنتزع الحواجب والعيونا

فظلت هذه الضغينة متوارثة بين المناذرة والكنديين .

(١) بنو مرينا : قوم من اهل الحيرة . (٢) الغِسل : ما يغسل به من خِطمي وأشنان وغيرها . ورمله بالدم : لطخه به .

٣

مقاتل يهدده بالحرب إن لم يسلمهم ، فأسلمهم ، ونجا امرؤ القيس مع ابنته « هند » ويزيد بن معاوية بن الحرث ، والأدرع والسلاح ، ومال كان بقي معه . فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طيء ؛ وقيل نزل على سعد بن الضباب الإيادي ، فأجاره .

ثم تحول عنه ، فنزل برجل من بني جديلة يقال له المعلّى بن تيم ؛ فقال فيه:

كأني إذ نزلت عَلَى المعلّى نزلت على البواذخ من شمام

(الى آخر الأبيات الآتية في المدح . . .)

فلبث عنده ، واتخذ إبلاً هناك ، فطردها قوم من بني جديلة ، فخرج ونزل على خالد بن سدوس من بني نبهان من طيء ، وكان عنده رواحل ، فركبها خالد مع نفر من بني نبهان وخرجوا ليطلبوا له الإبل من جديلة ؛ فأخذت جديلة الرواحل ورجعوا اليه بلا شيء فقال في ذلك :

عجبت[1] له مشي الحُزُقَّة خالد كمشي أتانٍ حُلِّئَتْ بالمناهل
فدع عنك نهباً صيح في حَجَراته ولكن حديث ، ما حديث الرواحل!

---

(١) هذه رواية الأغاني . ورواه في اللسان في « حزق » هكذا : « وأعجبني مشي الحُزُقَّة » ورواه في « حلأ » : « حلئت عن مناهلي » . والحزقة : الرجل القصير الذي يقارب الخطو . وحلئت : طردت أو حبست عن الماء . والنهب : المنهوب . والحجرات : ج . حَجْرة ، وهي الناحية .

يقول : دع النهب الذي نهب من نواحيك ، وحدثني حديث الرواحل ، وهي الإبل ، التي ذهبت ما فعلت . ورواه في اللسان : « ولكن حديثاً . . . » وهذا مثل يضرب لمن ذهب من ماله شيء ثم ذهب بعده ماهو أجل منه .

ففرقت عليه بنو نبهان فرقاً من معزى يحلبها، فأنشأ يقول:

إذا مالم نجد إبلا فمعزى ... كأن قرون جِلّتها العِصِي[1]

إذا ما قام حالبها أرنت ... كأن القوم صبحهم نعِي[2]

فتملأ بيتنا أقطاً وسمناً ... وحسبك من غنى شبع وري[3]

ثم خرج فنزل بعامر بن جوين، وكان أحد الخلعاء الفتاك. تبرأ قومه من جرائره، فخافه امرؤ القيس على نفسه وأهله وماله، ثم تغفله وانتقل إلى رجل من بني ثعل يقال له حارثة بن مر؛ فاستجار به، فوقعت حرب بين عامر والثعلي من أجله. فخرج ونزل بعمرو بن جابر ابن مازن من بني فزارة، وطلب منه الجوار حتى يرى ذات غيبه؛ فدله على السموأل، ووصف له منعته وحصنه فقال امرؤ القيس: «وكيف لي به؟» قال: «أوصلك إلى من يوصلك إليه.» فأوصله إلى الربيع ابن ضبع الفزاري، وكان ممن يأتي السموأل. فقال له الفزاري: «إن السموأل يعجبه الشعر، فتعال نتناشد له أشعاراً!» فقال امرؤ القيس: «قل حتى أقول؟» فقال الربيع قصيدة طويلة أولها:

قل للمنية أي حين نلتقي ... بفناء بيتك في الحضيض المزلق

فقال امرؤ القيس:

طرقتك هند بعد طول تجنب ... وهناً ولم تك قبل ذلك تطرق[4]

---

(١) الجلة: ج. جليل، أي المسن. (٢) أرنت: صوتت؛ والنعي: خبر الموت ونداء الداعي. (٣) الأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض بطبخ ثم يترك حتى يمصل. (٤) هذا من قصيدة طويلة، وهي لاتشاكل كلام امرئ القيس: ولهذا ـ

ثم ذهب به الفزاري إلى السموأل . فلما كانوا ببعض الطريق رأوا بقرة وحشية مرمية ، فتركوها . فمر بهم قوم قناصون من بني ثعل ، فقالوا لهم : « من أنتم ؟ » فانتسبوا لهم ، فإذا هم من جيران السموأل . فانصرفوا إليه جميعاً ، وقال امرؤ القيس :

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ مُخْرِجٌ كَفَّيْهِ من قُتَرِهِ (١)
عارضٍ زَوْراءَ من نَشَمٍ مع بَانَاتٍ على وَتَرِه (٢)
إذ أتته الوحش واردة فتنّى النزع في يَسَرِه (٣)
فَرَمَاهَا في فرائصها بإزاء الحوض أو عُقُرِه (٤)
بِرَهِيشٍ من كنانتهِ كتلظي الجمر في شرره (٥)
راشه من ريش نَاهِضَة ثم أمْهَاه على حجره (٦)

ـ ذهب بعض الادباء إلى أنها منحولة ، ولم تدون في ديوانه . (١) قُتْرة الصائد : بئر يحتفرها ويكمن فيها ، والجمع قُتَر . ورواه في اللسان : « من سِتَره » ولعله ج . سترة وهو ما استترت به كائناً ما كان . (٢) قوس زوراء معطوفة . والنشم شجر تتخذ منه القسي . ورواه في اللسان : « غير بانات على وتره » . (٣) رواه في الصحاح واللسان : فأتته الوحش فتمتى النزع ... » والتمتي في نزع القوس : مدّ الصلب . واليسر : ج : يَسَرة : امرار الكف إذا كانت غير ملتزقة ؛ يقال : « في فلان يَسَر . » واليَسر : ما كان حذاء وجهك . وروي : يُسُرَه ، ج . يُسْرَى روي يُسُر ج . يَسار . (٤) الفريصة : لحمة بين الجنب والكتف ترعد من الدابة إذا فزعت . وعقر الحوض : موضع الشاربة منه . (٥) الرَّهيش : النصل الدقيق ؛ ونصل رهيش : جديد . (٦) راش السهم : ركب عليه الريش ؛ والناهض : فرخ العُقاب الذي وَفُر جناحاه ونهض للطيران ؛ وأمهى الحديدة : سقاها الماء وأحدّها .

فهـو لا تَنمي رَميَّته ماله لا عُدَّ من نفـره [1]

ثم مضوا حتى قدموا على السموأل ، فانشده الشعر ، وعرف لهم حقهم فأنزل المرأة في قبة أدم ، وأنزل القوم في مجلس له بَرَاح [2] فلبث عنده حيناً ثم طلب اليه أن يكتب كتاباً إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر ، فاستنجد له ، ورحلا . واستودع عنده المرأة والأدراع والمال ؛ وكان عنده خمس أدرع : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة ، والخِرّيق ، وأم الذيول ؛ وهي لبني آكل المرار يتوارثونها ملكاً فملكاً .

وضع ذلك عند السموأل وأقام معها ابن عمه يزيد بن الحرث بن معاوية . فمضى إلى القُسْطَنطينية ، وأخرج معه إليها عمـرو بن قميئة الضُبَعِي ، وكان شاعراً فحلاً ، لقيه في آخر عمره ؛ فقال : « ألا تركب للصيد ؟ » فقال :

شكوت إليه أنني ذو جلالة وأني كبير ذو عيال مجنب
فقال لنا : أهلاً وسهلاً ومرحباً ! إذا سركم لحم من الوحش فاركبوا

فلما جاوز الدرب ، علم أنه سائر إلى قيصر ، فبكى . وقد أشار امرؤ القيس إلى هذه الرحلة بقوله من قصيدة :

---

(١) يقال : انميت الصيد ، فنمى ينمي ، وذلك أن ترميه فتصيبه ويذهب عنك فيموت بعدما يغيب . والنفر : الرهط ، دعا عليه وهو يريد مدحه ، كقولك لرجل يعجبك فعله : ماله قاتله الله ! وانت تريد غير معنى الدعاء عليه (٢) أرض براح : اسعة ظاهرة لا نبات فيها ولا عمران .

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه　　وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

ثم مات عمرو في الطريق ، فسمي «الضائع» لموته في غربة من غير إربة [1] .

ولما انتهى امرؤ القيس إلى قيصر قبله وأكرمه ، وكانت له عنده منزلة . فاندس رجل من بني أسد يقال له «الطماح» - وكان امرؤ القيس قد قتل أخا له - فأتى بلاد الروم وأقام مستخفياً .

ثم إن قيصر ضم إلى امرئ القيس جيشاً كثيفاً فيه جماعة من أبناء الملوك ، وطمع أن يكون له قوة في العرب يقاوم بها نفوذ الأكاسرة . فلما فصل الجيش قال لقيصر قوم من أصحابه : «لا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه ؟» فصرف الجيش وأعاده .

ويقال إن الطماح الأسدي قال لقيصر إن امرأ القيس غوي عاهر ، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل في ذلك أشعاراً يشهرها بها ، فيفضحها في العرب ويفضحك . فبعث اليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : «إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك . فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة . واكتب إلي بخبرك من منزل منزل .» فلما لبسها أسرع فيه السم وسقط جلده ، فلذلك سمي «ذا القروح» وقال في ذلك :

لقد طمح الطماح من بعد أرضه　　ليلبسني من دائه ما تلبسا

فلو انها نفس تموت سوية [2]　　ولكنها نفس تساقط أنفسا

(١) الإربة : الحاجة . (٢) أي : لهان علي الأمر ؛ وفيه إيجاز .

ثم صار إلى أنقرة ، فاحتضر بها ، فقال :

رُبَّ حَفنةٍ مُسحَنفِرَه[1] وطعنةٍ مُثعَنجِرَهْ
وخُطبةٍ مُحبَّرَهْ تبقى غداً بأنقِرَهْ

ورأى قبر امرأة من ابناء الملوك ماتت هناك ، فدفنت في سفح جبل يقال له « عسيب » فسأل عنها ، فاخبر بقصتها ، فقال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب[2] واني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن إلى جنب المرأة ، وقبره هناك .

هذا ما ذهب إليه صاحب الأغاني . وفي نهاية الأرب[3] الطماح رجل من أسد ، أرسله قيصر إلى امرئ القيس بحلة مسمومة ؛ فلما لبسها تقطع ومات بأنقرة .

أما موته بالحلة المسمومة فيجوز أن يكون أصابه قروح من احتكاك الثياب بجسمه فخالطها السم . كما يجوز أن تكون تلك القروح التهبت فأودت بحياته .

---

(١) روي : « رب خطبة مسحنفرة ... » ، وروي باختلافات كثيرة ؛ ومعنى « مسحنفرة » : كثيرة الصب والسيلان . ومثعنجرة : ممتلئة تزبداً بفيض ودكها . ومحبرة : محسنة . والبيت الاول فيه خزم بزيادة حرفين . (٢) في الأغاني : « إن المزار قريب ... » (٣) ج ٥ ص ١٩١

خلاصة حياته وما نستنتج منها

إذا أمعنا النظر في كل ما أسلفناه يتضح لنا أمور :

١ . — أن امرأ القيس من بيت عريق في الشرف والملك ، وأنه كريم الطرفين : معم مخول .

٢ . — أنه يمني الأصل والمحتد ، ولكنه نزاري النشأة واللحن : فقد ولد في ديار بني أسد ، وتكلم بلغتهم منذ نعومة أظفاره ، فجاء شعره نزاري اللهجة واللغة .

٣ . — أنه استهل حياته بالصبوة واللهو والنعيم والترف ، ثم تدرج إلى سلسلة من المصائب ابتدأت بطرد أبيه إياه ، وعيشته عيشة أصحابه من شذاذ العرب وذؤبانهم في الفلوات ، ثم تفاقم الخطب بقتل ابيه وما تبعه من استنصار القبائل وقعودهم عن مظاهرته ، ثم مطاردة المنذر إياه وترامیه على القبائل والمجيرين ليحموه ويحموا ابنته وما معه من المال والسلاح ، وإغارة فريق على ابنته ، ثم شخوصه الى قيصر وإخفاقه في رحلته التي انتهت بموته في دار غربة بين أنياب الفاقة والقروح بعيداً عن أهله وقومه . وقد كان في خلال ذلك يكابد من الآلام الموجعة ، والصغار الممض ، ما كان له اسوأ وقع في نفسه .

فهو في غزله يمثل لنا ناحية من حياته التي قضاها في مغازلة الحسان

ومعاقرة الخمر . وفي وصفه يمثل لنا ناحية أخرى قضاها في ركوب الخيل والصيد، واجتياب الأودية والفيافي وما شاكل ذلك .

وفي فخره وشكواه يبين لنا عن نفس ألحت عليها المصائب حتى بدلت أنفتها خنوعاً، وعزتها ذلاً، وقوتها ضعفاً، وجعلتها تقنع بالمعزى بعد الصافنات الجياد والإبل الهجان، وتعد الشبع والري غاية الغنى، بعد أن كانت تعقر للعذارى مطية فيرتمين بلحمها وشحمها

٤٠ – قد يسبق إلى الظن أن في شيء مما اسلفنا ذكره ما يدعو إلى الشك والريبة مثل موته مسموماً بالحلة، وقوله الأشعار والرجز في الغربة في ديار قوم لا يعرفون العربية ولا يحسنون رواية الأشعار وحفظها .

وقد ذكرنا للأول وجهاً لا يبعده من الحقيقة .

أما الثاني فقد تضافرت الروايات على نسبة الرجز الذي قاله في أنقرة، وإن ورد فيها اختلاف في تأليفه وصورته . وعلى نسبة الابيات التي قالها حين رأى امرأة مدفونة عند عسيب .

ولا مجال للشك بعد هذا . على أنهم ذكروا (١) أن امرأ القيس صحب في رحلته هذه جابر بن حنيّ التغلبي إلى بلاد الروم، فلما اشتدت علته، صنع له جابر من الخشب شيئاً كالقرّ فكان يحمله فيه .

وقد أشار امرؤ القيس إلى ذلك بقوله من قصيدة :

فإما تريني في رحالة جابر
على حرج كالقرّ تخفق أكفاني (٢)

---

(١) ممن ذكر ذلك صاحبا اللسان والخزانة (٢) الرحالة : السرج من جلود لا ـ

فيارب مكروب كررت وراءه

وعانٍ فككت الغُل منه ففدّاني

إذا المرء لم يَخزُن عليه لسانه

فليس على شيءٍ سواه بخزان

وهذا يدل على أن هذه القصيدة قالها في بلاد الروم قبيل وفاته.

وذكر في الخزانة أن امرأ القيس قال قصيدته:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي   وهل يعمن من كان في العصر الخالي

في طريق الشام عند مسيره إلى قيصر بعد قتل أبيه. وذكر ابن الكلبي أن قول امرىء القيس: وطعنة مسحنفرة الخ... آخر شيء تكلم به ثم مات.

ولم يذكر الذين كتبوا في امرىء القيس أنه صحب في رحلته إلى قيصر أحداً إلاّ عمر بن قميئة (وقد مات في الطريق) وجابر بن حني (وقد بقي معه الى أن مات). فلعل جابرا روى هذه الايات والرجز كما روى غيرهما من شعره الذي قاله في رحلته هذه، كقصيدته التي يقول فيها:

ـخشب فيه يتخذ للركض الشديد؛ وأراد بها الخشب الذي يحمل عليه في مرضه. والحرج: سرير يحمل عليه المريض أو الميت، أو خشب يشد بعضه إلى بعض. واراد بالاكفان: ثيابه التي عليه، لأنه قدر أنها ثيابه التي يدفن فيها. وخفقها ضرب الريح لها. والقرّ: مركب من مراكب الرجال بين الرحل والسرج. وقد قال البغدادي: «الحرج: الضيق» وهو لايناسب هنا وان كان من جملة معانية، فالصواب ما ذكرناه.

تقطع أسباب اللبانات والهوى   عشية جاوزنا حماة وشيزرا

***

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه   وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فانها تشهد لنفسها أنها مما قيل في هذه الرحلة .

ويجوز أن يكون صحب آخرين ممن لم نقف على أسمائهم ، وهم رووا أقواله من رجز وقصيد .

وهذا يبطل ما زعمه بعض الادباء من أن غزل امرىء القيس كان كله في صبوته ؛ وسيتضح هذا بعد .

نباهة امرئ القيس وفطنته

كان امرؤ القيس فطنا حاذقا، يدرك المرامي البعيدة ، والاغراض المتوخاة بحذقه ولباقته .

قال [1] مجالد بن سعيد بن عبد الملك : : « قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة فأرسل إلى عشرة ، أنا أحدهم ، من وجوه الكوفة . فسمرنا عنده ، ثم قال : ليحدثني كل رجل منكم أحدوثة ، وأبدأ أنت يا أبا عمر . فقلت : أصلح الله الامير ! أحديث الحق أم حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحق . قلت : إن امرأ القيس آلى ألية أن لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين . فجعل يخطب النساء ، فاذا سألهن عن هذا ، قلن : أربعة عشر . فبينا هو يسير في جوف الليل ، إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة ، كأنها البدر لتمه ، فاعجبته ؛ فسألها : يا جارية! ما ثمانية ، واربعة ، واثنان ؟ فقالت : أما ثمانية فاطباء الكلبة ، وأما أربعة فاخلاف الناقة ، وأما اثنان فثديا المرأة . فخطبها إلى أبيها ، فزوجه إياها . وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك وعلى أن يسوق إليها مئة من الابل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة افراس ؛ ففعل ذلك . ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة

---

(١) نهاية الارب ٣/١٥٥ والاغاني

وأهدى لها نِحياً [1] من سمن ، ونحياً من عسل ، وحُلة من قصب . فنزل العبد على بعض المياه ، فنشر الحلة فلبسها، فتعلقت بسَمُرَة ، فانشقت وفتح النحيين فأطعم أهل الماء منهما ، فنقصا . ثم قدم على حي المرأة ، وهم خلوف [2] . فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً ؛ وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين ، وأن أخي ذهب يراعي الشمس ، وأن سماءكم انشقت ، وأن وعاءيكم نضبا . فقدم الغلام على مولاه ، فأخبره ، فقال : أما قولها : إن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً ، فإن اباها ذهب يحالف قوماً على قومه . وأما قولها : ذهبت أمي تشق النفس نفسين ، فان أمها ذهبت تقبل [3] امرأة نفساء . وأما قولها : ذهب أخي يراعي الشمس فان أخاها في سرح له يرعاه ! فهو ينتظر وجوب [4] الشمس ليروح به وقولها : إن سماءكم انشقت ، فان البُرْد الذي بعثت به انشق . وأما قولها إن وعاءيكم نضبا ، فان النحيين نقصا . فاصدقني ؟ فقال : يا مولاي ! إني نزلت بماء من مياه العرب ، فسألوني عن نسبي ، فأخبرتهم أني ابن عمك ، ونشرت الحلة فلبستها ، وتجملت بها ، فتعلقت بسمرة فانشقت . وفتحت النحيين ، فأطعمت منهما أهل الماء . فقال : أولى لك [5] ثم ساق مئة

---

(١) النحي : الزق الذي يجعل فيه السمن خاصة ، واستعماله في العسل للمشاكلة .
(٢) خلوف : غيب وحضر ، ضد . (٣) قبلت القابلة المرأة تقبلها إذا قبلت الولد ، أي تلقته عند الولادة ؛ وقبلت الولد : أخذته من الوالدة . (٤) سقوط وغياب .
(٥) تهدد ووعيد ، أي قاربك ما تكره ؛ أو كلمة يقولها الرجل يحسر آخر على ما فاته ويقول له يا محروم ، أي شيء فاتك !

من الإبل ، وخرج ومعه الغلام ليسقي الإبل ، فعجز، فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام في البئر ، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل ، فاخبرهم أنه زوجها . فقيل لها : قد جاء زوجك . فقالت : والله ما أدري ، أزوجي هو أم لا ؟ ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا. فأكل ما أطعموه . قالت : اسقوه لبنا حازراً (حامضاً) ، فسقوه ، فشرب فقالت : افرشوا له عند الفَرْث [1] والدم . ففرشوا له فنام . فلما اصبحت أرسلت إليه : أريد أن أسألك عن ثلاث . قال : سلي عما بدا لك . فقالت : لم تختلج شفتاك ؟ قال : من تقبيلي إياك . قالت : لم تختلج فخذاك ؟ قال : لتوركي إياك . قالت : فلم يختلج كشحاك ؟ قال : لالتزامي إياك . قالت : عليكم العبد ، فشدوا أيديكم به! ففعلوا.

ومرّ قوم بامرئ القيس فاستخرجوه من البئر ، فرجع إلى حيه فاستاق مئة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجك . فقالت والله ما أدري ! أزوجي هو أم لا ! ولكن انحروا له جزوراً ، وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا . فلما أتوه بذلك قال : وأين الكبد ، والسنام ، والمَلْحاء [2] فأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً حازراً ؛ فأتي به ، فأبى أن يشربه ، وقال : أين الصريف والرثيئة [3] ؟ فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم . ففرشوا له ، فأبى أن ينام ، وقال : افرشوا لي فوق التلعة الحمراء واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلمّ

(١) السرجين ما دام في الكرش . (٢) الفقر التي عليها السنام ، أو ما بين السنام والعجز . (٣) الصريف اللبن ينصرف عن الضرع حاراً إذا حلب فاذا سكنت رغوته فهو صريح . والرثيئة : لبن حامض يحلب عليه فيختثر .

شربطتي [1] عليك في المسائل الثلاث . فأرسل إليها : سليني عما شئت ! فقالت : لِمَ تختلج شفتاك ؟ قال : لشرب المُشَعْشَعَات [2] . قالت : فلم يختلج كشحاك ؟ قال : للبس الحِبَرات [3] قالت : فلم يختلج فخذاك ؟ قال : لركض المطهَّمات [4] قالت : هذا زوجي لعمري ! فعليكم به واقتلوا العبد . فقتلوه . ودخل امرؤ القيس بالجارية . »

قال ابن هبيرة : حسبكم ! فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ، وان يأتينا أحد بأعجب منه . فقمنا وانصرفنا ، وأمر لي بجائزة .

---

(١) الشربطة : الشرط . (٢) الخمر الممزوجة بالماء أو التي ارق مزاجها .
(٣) ضرب من برود اليمن منمر . (٤) المطهم من الناس والخيل : الحسن التام ، كل شيء منه على حدة ، وقيل لحم الوجه أو السمين الفاحش السمن .

منزلته في الشعر عند العلماء والشعراء

أجمعت كلمة العلماء بالأدب على أن امرأ القيس من الشعراء الفحول وأنه من شعراء الطبقة الأولى ، وأكثرهم عَلَى أنه رأس الطبقة الأولى . وقد شهد له بالفضل والتقدم أهل الفصاحة ، وأعلام البيان والأدب والشعر .

***

خرج وفد من جهينة ، فلما قدموا على النبي (ص) سألهم عن مسيرهم فقالوا: « يا رسول الله ! لولا بيتان قالهما امرؤ القيس لهلكنا ! » قال : « وما ذاك ؟ » قالوا : « خرجنا نريدك ! حتى إذا كنا ببعض الطريق ، إذا برجل على ناقة له مقبل إلينا ؛ فنظر إليه بعض القوم . فأعجبه سير الناقة ، فتمثل ببيتين لامرىء القيس ، وهما :

وَلَمّا رأت [1] أن الشريعة [2] وردها [3]
وأن البياض من فرائصها دامي
تيممت العين التي عند ضارج [4]
يفيء عليها الظِلّ عَرْمَضها [5] طام [6]

---

(١) الضمير للحمر . (٢) الشريعة : مورد الماء الذي تشرب فيه الابل . (٣) في اللسان ، والخزانة ، والشعر والشعراء : « ان الشريعة همها » أي طلبها (٤) موضع في بلاد عبس (٥) طحلبها (٦) طام مرتفع . يريد : ان هذه الحمر لما ارادت شريعة –

« وقد كان ماؤنا نفد ، فاستدللنا على العين بهذين البيتين ، فوردناها » قال النبي (ص) : « أما إني لو ادركته لنفعته . وكأني أنظر إلى صفرته وبياض إبطيه ، وحموشه[1] ساقيه ، في يده لواء الشعراء يتدهدى[2] بهم في النار ![3] »

ومر لبيد بن ربيعة بمجلس بني نهد في الكوفة وبيده عصا يتوكأ عليها . فبعثوا غلاماً يسأله : من أشعر الناس ؟ فقال : ذو القروح بن حجر الذي يقول :

وبُدِّلت قرحاً دامياً بعد صحة   فيا لك نعمى قد تبدلت أبؤسا !

(يعني امرأ القيس) . فرجع إليهم الغلام وأخبرهم . قالوا : « ارجع فاسأله : ثم من ؟ » فسأله : « ثم من ؟ » قال : « ابن العنيزتين[4] » (يعني طرفة) قال : « ثم من ؟ » قال : « صاحب المِحجَن » (يعني نفسه)[5] .

ـ الماء خافت على انفسها الرماة وأن تدمى فرائصها من سهامهم ، عدلت الى العين التي عند ضارج لعدم الرماة عليها . (١) دقة . (٢) يتدحرج . (٣) وفي اللسان : ذاك رجل مذكور في الدنيا ؛ شريف فيها ، منسي في الآخرة . يجيء يوم القيامة معه لواء الشعر الى النار .

ونقل السيوطي في شرح شواهد المغني ، عن ابن عساكر : ان لبيداً قدم المدينة وقال يارسول الله (ص) : « من اشعر الناس ؟ » فقال : « يا حسان ! أعلمه » . فقال حسان : « الذي يقول :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً   لدى وكرها العناب والحشف البالي »

فقال : « هذا امرؤ القيس ! » فقال رسول الله (ص) : « لو ادركته لنفعته »

(٤) في نسخة : ابن العشرين وهي اقرب وأولى .   (٥) وفي رواية أنه قال :

ويروى [1] أن عمر بن الخطاب قال يوماً : « من أجود العرب ؟ » فقيل له : « حاتم . » قال : « فمن شاعرها ؟ » قيل : « امرؤُ القيس بن حجر . » قال : « فمن فارسها ؟ » قيل : « عمرو بن معد يكرب . » قال « فأي سيوفها أمضى ؟ » قيل : « الصمصامة ؟ » فقال : « كفى ذلك فخراً لليمن ؟ »

* * *

وسأل [2] العباس بن عبد المطلب عمر بن الخطّاب عن أشعر الناس فقال : امرؤُ القيس سابقهم ، خَسَفَ لهم عَيْنَ الشعر ، فافْتَقَرَ عن معَانٍ عُورٍ أصحَّ بصر [3]

* * *

ـ الملك الضليل . قيل : ثم من ؟ قال : الشاب القتيل . قيل : ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل (يعني نفسه) . (١) شرح الكامل ١ / ٢١٤ .

(٢) العمدة ١ / ٥٩ واللسان (٣) قوله : « خسف لهم » من قولهم : خسف البئر ؛ إذا حفرها في حجارة فنبعت بماء كثير . وافتقر : فتح ؛ من فقر البئر : حفرها ؛ والفقير : البئر . و « العور » ج . أعور وعوراء ؛ اراد به المعاني الغامضة الدقيقة من عورت الركية وأعرتها ، إذا سددت أعينها التي ينبع منها الماء . يريد : أن امرأ القيس أنبط عين الشعر لهم واغزرها ، أي ذلل لهم الطريق الى الشعر وبصرهم بمعانيه وفنن انواعه وقصده فاحتذى الشعراء على مثاله فاستعار العين لذلك . وفسره في العمدة فقال : يعني أن القيس من اليمن وان اليمن ليست لهم فصاحة نزار ، فجعل لهم معاني عوراً فتح منها امرؤ القيس أصح بصر . والاول اولى والبق بمقام المدح : لاننا اذا قصرنا مدحه على فتحه المعاني الغامضة لقومه لا يصح ان يكون هذا جوابا عن السؤال عن اشعر الناس ، لا اشعر اليمن .

وقال فيه علي بن أبي طالب : « رأيته أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة وإنه لم يقل لرغبة أو رهبة . »

***

وقال الفرزدق : [1] « امرؤ القيس أشعر الناس . »

وقال أيضاً : « إن الشعر كان جملاً بازلاً عظيماً فنحر . فجاء امرؤ القيس فأخذ رأسه ، وعمرو بن كلثوم سنامه ، وزهير كاهله ، والأعشى والنابغة فخذيه ، وطرفة ولبيد كركرته ؛ ولم يبق إلا الذراع والبطن فتوزعناهما بيننا الخ . . . »

وروى الجمحي أن سائلا سأل الفرزدق : من أشعر الناس ؟ قال : ذو القروح . قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول :

وقاهم جدهم ببني أبيهم وبالاشقين ما كان [2] العقاب

***

وقال أبو عبيدة : « فتح الشعر بامرئ القيس ، وختم بذي الرمة »
وفي العمدة : كان أبو عبيدة يقول : افتتح الشعر بامرئ القيس ، وختم بابن هرمة . [3]

وقال أبو عبيدة : « أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم امرؤ القيس وزهير ، والنابغة . »

***

وقال أبو زيد الخطابي : « القول عندنا ما قال أبو عبيدة : أشعر

(١) الجمهرة ص ٧٥ (٢) في رواية : ماحل (٣) العمدة ص ٥٠

الناس امرؤ القيس ، ثم زهير ، والنابغة ، والأعشى ، ولبيد ، وعمرو ، وطرفة ! »

* * *

وقيل [1] لكثير أو لنصيب : « من أشعر العرب ؟ » فقال : « امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والاعشى إذا شرب . »

وقال نصيب : « ... وليس لأحد من الشعراء بعد امرئ القيس ما للنابغة وزهير . » فقد قدمه عليهم جميعا .

* * *

واجتمع عند عبد الملك أشراف من الناس والشعراء ، فسألهم عن أرقّ بيت قالته العرب . فاجتمعوا على بيت امرئ القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي　　　بسهميك في أعشار قلب مقتل

وقال :

ألله أنجحُ مـا طلبتَ به　　　والبر خير حقيبة الرحـل

وقال :

من آل ليلى وأين ليلى ؟　　　وخير ما رمت ما ينال !

* * *

وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية ، وأشعر شعراء وقته ، فقال : أشعر شعراء الجاهليـة

(١) العمدة ١/٦٠

امروءُ القيس ، وأضربهم مثلاً طرفة . »

***

وكان دِعبِل يقدم امرأ القيس بقوله في وصف عقاب :

وَيلُمِّهَا من هواء الجو طالبــة ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

وسمع قول النبي (ص) المتقدم : « ... وقائدهم إلى النار ؟ » فقال : « لا يقود قوماً إلا أميرهم . »

***

وسئل الأصمعي [1] : من أشعر الناس ؟ فقال : « الذي يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كثيراً ، وينقضي كلامه قبل القافية ؛ فإن احتاج إليها أفاد معنى زائداً ! » فقيل له : « نحو من ؟ » فقـال : « نحو الفاتح لأبواب المعاني ، وهو امروءُ القيس ، حيث قال :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنـا الجزع الذي لم يثقب

فإن كلامه انتهى إلى قوله الجزع ، وزيادة المعنى في قوله : الذي لم يثقب . وفي هذه الزيادة من الحسن والإجادة ما لا يخفى »

***

وقال ابن قتيبة في أدب الكاتب وكان العتبي أنشد مروان بن ابي حفصة لزهير ، فقال : هذا أشعر الناس . ثم أنشده للأعشى ، فقال : بل هذا أشعر الناس . ثم أنشده لامرئ القيس ، فكأنما سمع به غنـاء عَلَى الشراب . فقال : امروءُ القيس — والله ! — أشعر الناس .

---

(١) الخزانة لابن حجة ص ٢٨٩

وقال أيضاً: «امرؤ القيس، من أهل نجد، من الطبقة الاولى وذكر قوله:

كأن المدام، وصوب الغمام، وريح الخزامى، ونشر القطر،
يعل به برد أنيابها إذا غرّد الطائر المستحر

ثم قال: «وكل ما قيل في هذا المعنى فمنه أخذ.»

* * *

وقالت طائفة من المتعقبين: «الشعراء ثلاثة: جاهلي، وإسلامي، ومولد. فالجاهلي امرؤ القيس، والإسلامي ذو الرمة، والمولد ابن المعتز. وهذا قول من يفضل البديع على جميع فنون الشعر.»

* * *

وقد قال العلماء بالشعر إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء، فاستحسنها الشعراء، واتبعوه فيها لأنه قيل: أول من لطف المعاني، واستوقف على الطلول، وشبه النساء بالظباء والمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وفرق بين النسيب وماسواه من القصيد، وقرّب مآخذ الكلام، فقيد الأوابد، وأجاد الاستعارة والتشبيه.

* * *

وفي العمدة: ولم يتقدم امرؤ القيس والنابغة والأعشى، إلاّ بحلاوة الكلام وطلاوته مع البعد من السخف والركاكة. على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولاً عنهم، إذ هو طبع من طباعهم.

وكان امرؤ القيس مقلاً، كثير المعاني والتصرف، لا يصح له إلاّ

عشرون شعراً ونيف [1] بين طويل وقطعة . ولا نرى شاعراً يكاد يفلت من حبائبه . وهذه زيادة في فضله وتقدمه .

***

وقال التبريزي في شرح أبيات اصلاح المنطق: « النسبة الى امرئ القيس مرَقَسِي ، وأشعر المراقسة ابن حجر هذا . »

***

وقال العسكري : « أئمة الشعر أربعة: امرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى »

***

وقال أبو عمرو : « اتفقوا على أن أشعر الشعراء امرؤ القيس والنابغة وزهير الاعشى . فامرؤ القيس من اليمن ، والنابغة وزهير من مضر ، والأعشى من ربيعة . وأشعر الأربعة امرؤ القيس ، ثم النابغة ، ثم زهير ، ثم الأعشى . »

***

وقال يونس : « كان علماء البصرة يقدمون امرأ القيس . »

***

وقال الأصمعي: سألت بشارا من أشعر الناس ؟ فقال : « أجمع أهل البصرة على أمرئ القيس وطرفة . »

***

---

(١) في الاصل : « الا نيف وعشرون شعراً ... »

وذكر محمد بن سلام الجمحي امرأ القيس في الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين .

***

وقال الفراء : « كان زهير واضح الكلام . . جيد المقاطع . . . . وكان النابغة جزل الكلام حسن الابتداء والمقطع . . . وكان امرؤ القيس شاعرهم الذي علم الناس الشعر والمديح والهجاء بسبقه إياهم . . .

***

وفي السيوطي عن ابن عساكر : أتى قوم رسول الله (ص) فسألوه عن أشعر الناس فقال : أتوا حسان . فأتوه ، فقال : ذو القروح (يعني امرأ القيس) لانه لم يعقب ولداً ذكراً ، بل إناثا . فرجعوا فأخبروا رسول الله (ص) فقال : صدق ! رفيع في الدنيا خامل في الآخرة . .

***

وقال أبو عمرو بن العلاء : سألت ذا الرمة عن أي قول الشعراء الذين وصفوا الغيث أشعر فقال قول امرىء القيس :

دِيمَةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ   طَبَقُ الأرض تَحَرَّى وتَدُرُ

(وذكر الابيات الآتية في الوصف)

الخلاصة

إذا استقرأنا أقوال الأئمة السابقة ، ونخلنا ما تحصل من آرائهم ، يتبين لنا أن جمهرة العلماء بالشعر ، يفضلون امرأ القيس على الشعراء عامة ،

لأوليائه التي مرّ ذكرها مجملاً وسيأتي مفصلاً ، ولإجادته في أشياء استحسنها الشعراء فاحتذوا عَلَى مثاله فيها ، ولاختياره ضروباً من الكلام الساحر بحلاوته ، الباهر بطلاوته ، مع ابتعاده عن السخف والركاكة .

ونزيد على هذا أن امرأ القيس وُفِّقَ إلى معانٍ أفرغها في قوالب من الألفاظ المطربة بنغماتها ، الرائقة بأسلوبها ؛ فجاءت مثلاً أعلى في الجودة .

وقد حاول كثير من الشعراء ، في عصره وبعد عصره ، أن يجاروه فيها ، فقصرت بهم الأداة عن اللحاق به ، فضلاً عن سبقه وتقدمه . ولذلك غلبت شهرته على من تقدمه ، ومن كان في عصره من الشعراء : فكان كما قال النابغة في النعمان :

فإنكَ شمسٌ ، والملوكُ كواكبٌ ،
إذا طلعتْ ، لم يبدُ منهنّ كوكبُ

(وستأتي زيادة في الايضاح لهذا البحث .)

وكان امرؤ القيس يعلم ذلك من نفسه . ولهذا كان كثير الإدلال في شعره ، شديد الاعتداد بنفسه ، واثقاً بقدرته . وكان يعتقد أن لا يطاوله أحد في الشعر .

لقي [1] التوأم اليشكري (واسمه الحارث بن قَتادة ويكنّى أبا شريح ، وبعضهم يقول إنه الحارث ابن التوأم) فقال له : «إن كنت شاعراً

---

(١) العمدة : ١/١٣٥ والديوان وبدائع البدائه ٩٣

٦

كما تقول، فملِط[1] لي أنصاف ما أقول فأجزها ٠ » قال : « نعم ! »

فقال امروء القيس : أَحارِ ترى بُريقاً هبَّ وَهنا[2]

فقال التوأم : كنار مجوس تستعر[3] استعارا

فقال امروء القيس : أرقت له ونام أبو شُريح

فقال التوأم : إذا ما قلت قد هدأ[4] استطارا[5]

فقال امروء القيس : كأن هزيزه[6] بوراء غيب

فقال التوأم : عشار[7] وُلَّه[8] لاقت عشارا

فقال امروء القيس : فلمأن علا كتفي[9] أضاخ[10]

فقال التوأم وهت[11] أعجاز ريقه[12] فحارا[13]

فقال امروء القيس : فلم يترك بذات[14] السر ظبيا

فقال التوأم : ولم يترك بجلهتها[15] حمارا

فلما رآه امروء القيس قد ماتنه ، ولم يكن في ذلك العصر من يماتنه آلى أن لا ينازع الشعر أحداً آخر الدهر ٠ وفي البدائع : فقال امروء القيس : لا أتعنت على أحد بعد ذلك بالشعر ٠ (روى ذلك أبو عبيدة عن

---

(١) يقال : ما لط فلان فلانا ، إذا قال هذا نصف بيت وأتمه الاخر بيتاً ، وملطه له تمليطا ٠
(٢) نحو نصف الليل (٣) تتقد (٤) سكن (٥) انتشر (٦) في البدائع : كأن حنينه والرعد فيه ، وفي نسخة هزيزه ، أي صوته حيث لا أراه (٧) النوق القريبة العهد بالنتاج (٨) فقدت أولادها (٩) في نسخة : دنا لقفا : (١٠) اسم جبل (١١) استرخت (١٢) أوله (١٣) ثبت وتوقف وسال واستدار كالمتحير (١٤) موضع ، في البدائع : يبطن الارض ظبيا ٠ (١٥) ناحية الوادي ٠ يريد : لم يدع ظبياً ولا حماراً إلا أغرقه او نفاه عن موضعه ٠

أبي عمرو بن العلاء .) وقال أبو عمرو : ولو نظر بين الكلامين لوجد التوأم أشعر في شعرهما هذا . لأن امرأ القيس مبتدئ ما شاء ، وهو في فسحة مما أراد ؛ والتوأم محكوم عليه بأول البيت ، مضطر في القافية التي مدارهما جميعا عليها . ومن ههنا عرف له امرؤ القيس من حق المماتنة ما عرف .

ونزل به علقمة بن عبدة فتنازعا الشعر ، وادّعاه كل واحد منهما على صاحبه . فقال علقمة : « فقل شعراً تمدح به فرسك والصيد ، وأقول في مثل ذلك .» فقال كل منهما قصيدة في ذاك ، وحكما أم جندب زوجة امرئ القيس . فقالت لزوجها : « علقمة أشعر منك .» وبينت سبب ذلك ، وسيأتي .

ولقي[1] عبيد بن الابرص امرأ القيس ، فقال له عبيد : « كيف معرفتك بالأوابد؟[2] » فقال : (ألق ما احببت !) فقال عبيد :

ما حية ميتة أحيت بميتتها   درداء[3] ما أنبتت سنا واضراسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تسقى في سنابلها   فأخرجت بعد طول المكث أكداسا

فقال عبيد :

ما السود والبيض والاسماء واحدة   لا يستطيع لمن الناس تمساسا

فقال امرؤ القيس :

---

(١) بدائع البدائع (٢) الاوابد : ج . آبدة . وهي الكلمة أو الفعلة الغريبة والكلمة الوحشية ، والشوارد من القوافي . (٣) ذاهبة الاسنان .

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها   روّى بها من محول الارض أيباسا [1]

فقال عبيد :

ما مرتجاة على هول مراكبها   يقطعن طول المدى سيراً وأمراسا [2]

فقال امرؤ القيس :

تلك النجوم إذا حالت مطالعها   شبهتها في سواد الليل أقباسا [3]

فقال عبيد :

ما القاطعات الارض لا انيس بها   ناتي سِراعاً وما يرجعن أنكاسا [4]

فقال امرؤ القيس :

تلك الرياح إذا هبت عواصفها   كفى بأذيالها للترب كنّاسا

فقال عبيد :

ما الفاجعات جهاراً في علانية   أشد من فيلق [5] ملمومة باسا

فقال امرؤ القيس :

تلك المنايا فما يبقين من أحد   يكفِتن [6] حمقى ومايبقين أكياسا [7]

فقال عبيد :

ما السابقات سراع الطير في مَهَل   لا تشتكين ولو ألجمتها فاسا [8]

فقال امرؤ القيس :

---

(١) لعله ج : يَبَس ، بمعنى اليابس (٢) المَرْس : السير الدائم . (٣) ج . قَبَس : شعلة من نار تقتبسها من معظَم (٤) النِكس : الضعيف من السهام والرجال ، والمقصر عن غاية الكرم (٥) الفيلق : الجيش والكتيبة المعظمة ، وملمومة مجتمعة (٦) كفته : ضمه وقبضه (٧) ج . كيس : العاقل وخلاف الاحمق . (٨) الفاس : آلة يقطع ويحفر بها . وفاس اللجام : الحديدة القائمة في الحنك .

تلك الجياد عليها القوم قد سبحوا   كانوا لهن غداة الروع أحلاسا [1]

فقال عبيد :

ما القاطعات لأرض الجو في طلق [2]   قبل الصباح وما يسرين قرطاسا [3]

فقال امرؤ القيس :

تلك الأماني تتركن الفتى ملكا   دون السماء ولم ترفع به راسا

فقال عبيد :

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر   ولا لسان فصيح يعجب الناسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الموازين والرحمن أنزلها   رب البرية بين الناس مقياسا

وإذا أمعن الباحث في هذه الأبيات ، ورأى ما فيها من وهن في التأليف ، وضعف في الاسلوب ، وما فيها من الحشو في مثل قوله : جهاراً في علانية ... وألفاظ المؤمنين ، مثل : إذا الرحمن أرسلها ، والرحمن أنزلها رب البرية ، وجعلها مقياساً بين الناس ... لا يستبعد أن تكون نسبتها إلى امرئ القيس وعبيد غير صحيحة ، وأن تكون وليدة العصر العباسي كلها أو بعضها ؛ ولم يكد يعرف للمتقدمين مثل هذه المهاتة او المهالطة . ولو صحت لكان امرؤ القيس أشعر من عبيد لتقيده بالقافية والوزن والموضوع والزمن . ولو صحّ ما قاله أبو عمرو في شعر التوأم اليشكري ، لا يوجب تفضيله على امرئ القيس في بقية شعره .

---

(١) الحلس : ما ولي ظهر الدابة تحت الرحل والسرج . وهم احلاس الخيل : يلزمون ظهورها كالاحلاس (٢) الطلق : سير الليل لورود الغب ، والشوط الواحد في جري الخيل (٣) القرطاس : اديم ينصب للنضال ، والغرَض .

شعره واولياته

اتضح مما أسلفناه أن امرأ القيس يمني المحتد، لكنه نجدي المنشإ واللغة واللحن: فقد ترعرع في ديار بني أسد في نجد، بين العرب الخلص منهم، وسمع أشعار النجديين وغيرهم من النزاريين وأكثر من ذكر الديار والمنازل والجبال والمياه والاودية والمواضع التي في ديار نجد. وكان راوية لأبي دواد الإيادي، فانفتق لسانه بالشعر على حداثة سنه، وطمحت نفسه إلى مساجلة الشعراء. وكان محباً للجمال ومغازلة الحسان، كثير الأسفار وتجشم الأخطار والانتقال من دار إلى دار. ففتق ذلك قريحته؛ واختط لنفسه سبيلاً في الشعر فضل به من تقدمه، حتى نسب إليه كل حسن في عصره، وعفى على آثار من سبقه. وقيل: إنه أول من وقف على الأطلال واستوقف، وبكى واستبكى، بكلمتين:

«قفا نبك!» من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدَّخُول فَحَوْمَلِ

ويعدون [1] ابتداءه هذا أفضل ابتداء صنعه شاعر، لأنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل، في مصراع واحد. ولا يقل عنه في الجودة قوله أيضا:

---

(١) العمدة.

قفا نبك! من ذكرى حبيب وعرفان ... وربع ٍ خلَتْ آياته منذ أزمان ؟

وأول من شبه النساء بالمها ، كقوله :

تصدُّ وتُبدي عن أسيلٍ وتتقي ... بناظرة من وحش وَجْرَةَ مطفلِ[1]

وبالظباء ، كقوله :

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش ... إذا هي نصته ولا بمعطل

والبيض ، وفي قوله :

وبيضة خدرٍ لا يرام خباؤُها ... تمتعت من لهو بها غير معجل

وشبهها بالدر ، على قول ، في قوله :

كبكر المقاناة البياض بصفرة ... غذاها نمير الماء غير المحلل

وأول من جوّد[2] التقسيم في قوله في وصف الفرس :

إذا أقبلت قلت دُبَّاءَةٌ ... من الخُضْر مغموسة في الغُدُرْ

وإن أدبرت قلت أثفية ... ململمة ليس فيها أثر

وإن أعرضت قلت سُرْعوفة ... لها ذَنَب خلفها مُسْبَطِرّ

وهو الذي فتح باب الاحتراس[3] بقوله :

إذا ركبوا الخيل واستلأموا ... تحرقت الارض واليوم قُر

(فاحترس بقوله (قر) فتمم)

وهو أول الناس اختراعاً[4] في الشعر ، وأكثرهم توليداً . وله اختراعات كثيرة ، منها قوله :

سموت إليها بعد ما نام أهلها ... سمو حباب الماء حالا على حال

(١) أي بقرة ذات طفل (٢) العمدة ٢/٢ (٣) الوزير ٦ (٤) العمدة ١/١٧٥

فإنه أول من طرق هـذا المنى وابتكره ، وسلم الشعراء إليه فلم ينازعه أحد إياه . وقوله :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العُناب والحشف البالي

وهو أول من ابتكر تمثيل شيءٍ بشيءٍ فيه إشارة ، بقوله :

وما ذرفت عيناك إلا لتقدحي بسهميك في أعشار قلب مُقتّل

فمثّل عينيها بسهمي الميسر يعني المعلى ، وله سبعة أنصباء ، والرقيب ، وله ثلاثة انصباء . فصار جميع اعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها . ومثل قلبه باعشار الجزور . فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل .

وجمع مثلين في بيت واحد كل منهما قائم بنفسه ، غير محتاج إليه ، كقوله :

اللهُ أنجح ما طلبتَ به والبر خير حقيبة الرّحل

وأول من عرف في شعره الترديد (وهو أن يعلق لفظة بمنى ، ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر) كقوله : « فثوباً لبست ، وثوبا أجر . » فقد علق ثوباً بلبست ، ثم ردها متعلقة بأُجر .

وأجاد في وصف الخيل . وهو أول من جعلها قيد الاوابد ووصفها بذلك في قوله :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

قال أبو عبيدة : « أول من قيد الأوابد امرؤ القيس »

وأول من شبهها بالعصا كقوله :

بِعَجلزَة قد أترز الجري لحمهـا كُميت كأنها هِراوة[1] منوال

---

(١) الهراوة : العصا .

وأول من شبهها بالعقاب ، كقوله :

كأني بفتخاء الجناحين لَقْوَةٍ صيود من العِقبان طأطأت شِملال

وأول من أجاد وصف الليل ، وأول جوّد الاستعارة ، وجعل الجماد كائناً حياً ، وخلع عليه من نعوت الأحياء ما تقتضيه إجادة التشبيه ، كقوله :

وليلٍ كموج البحر أرخى سدُولَهُ عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له ، لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً ، وناء بكلكل :
ألا أيها الليل الطويل ؟ ألا انجلي بصبح ، وما الإصباح منك بأمثل !

فقد استعار لليل سدولاً أرخاها ، وصلباً يتمطى به ، وأعجازاً يردفها ، وكلكلاً ينوء به ، وخاطبه مخاطبة الحي .

وقد زعم ابن وكيع أن أول استعارة وقعت ، قولُ امرىء القيس . وذكر البيتين الأولين .

وهو أول من شبه شيئين بشيئين في بيت واحد ، كقوله يصف عقابا . (وفيه من البديع الطباق ، واللف ، والنشر المرتب) :

كأن قلوب الطير ، رطباً ويابساً لدى وكرها ، العناب والحشف البالي

قال المبرد [1] : هذا البيت أحسن ما جاء في تشبيه شيئين مختلفين ، في حالين مختلفين ، بشيئين مختلفين .

وقال في العمدة : وأصل التشبيه مع دخول الكاف وأمثالها ، أو « كأن » وماشا كلها ، شيء بشيء في بيت واحد ، إلى أن صنع امرؤ القيس في

---

(١) السيوطي ١١٩

صفة عقاب « كأن قلوب الطير ... » فشبه شيئين بشيئين في بيت واحد واتبعه الشعراء في ذلك . ولم يقع بعد هذا البيت بيت يشبهه في ترتيبه .

وهو أول من شبه أربعة بأربعة ، كقوله :

له أيطلا ظبيٍ ، وساقا نعامةٍ ، وإرخاء سرحان ، وتقريب تَتْفُلِ

وزعم الفرزدق أن أكمل أو أجمع بيت قالته العرب ، قوله : « له أيطلا ظبي ... »

وذكر قدامة أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتركا كهما في الصفات أكثر من انفرادهما حتى يدني بها إلى حال الاتحاد . وأنشد في ذلك هذا البيت . وهو عنده أفضل التشبيه كافة : فإنه شبه أعضاء بأعضاء ، هي هي بعينها ، وأفعالا بأفعال هي هي بعينها ، إلا أنها من حيوان مختلف .

وقال في العمدة : ثم أتوا بتشبيه أربعة باربعة : بالكاف وبغير كاف فقال امرؤ القيس ، وهو أول من فتح هذا الباب : « له أيطلاظبي ... » فجاء بتشبيه إضافة كما ترى ، حتى جعله تحقيقاً لو لا مفهوم الخطاب .

وهو أول من استعمل الكناية اللطيفة ، فكنّى عن المرأة بالبيضة في قوله : « وبيضة خدر ... » وعن نعومة جسمها ورقة بشرتها ، بقوله :

من القاصراتِ الطرْفِ لوْ دَبَّ مُحْوِلٌ

من الذر فوق الإتب منها لأثرا

وكنى عن ترفها ونعيمها ، وأنها تُخْدَم ولا تَخْدُم ، بقوله :

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضُّلِ

وأول من أشار إلى التتبيع (وهو أن يريد شيئاً فيتجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصفة ، وينوب في الدلالة عليه) كقوله : «وتضحي فتيت المسك ...» أراد أن يصفها بالنعمة والترفة ، وأنها شريفة مكفية المؤونة . فجاء بما يتبع هذه الصفة ويدل عليها . فقوله : «يضحي فتيت» تتبيع أول . و «نؤوم الضحى ...» تتبيع ثان . و«لم تنتطق» تتبيع ثالث .

وكذلك قوله : «سمان الكلاب ، عجاف الفِصال ...» فإن «سمن الكلاب» يدل على كثرة ما ينحرون . «وعجف الفصال» يدل على بذل اللبن للأضياف .

ومن أعجب التتبيع قوله :

أمرخٌ خيامهم أم عُشَرٌ   أم القلب في إثرهم منحدرُ

يقول : أنزَلوا نجداً الذي ينبت المرخ أم الغور الذي ينبت العشر؟ لأن الأعراب تتخذ الخيام من نبات الأرض التي ينزلونها ، فإذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذي ينزلون به .

إلى غير ذلك مما ذكره العلماء من الامور التي تقتضي ترجيحه وتقديمه على غيره .

والذي يدلنا على أن امرأ القيس أوتي من براعة التأليف ، وجودة السبك والوصف ، ورقة الأسلوب ما يتفق مع كل عصر ، ويتفق عند كل فريق - أننا نجد من أبياته الرائعة ببناها ومعناها فنوناً من البديع بريئة من التكلف والتصنع بالغة الدرجة القصوى في بابها . وكثير منها لم

يلحقه فيه المتأخرون على شدة تعمدهم وتعملهم .

فمن ذلك قوله (وفيه الطباق وجناس التصحيف) :

مكرٍّ ، مفرٍّ ، مقبلٍ ، مدبرٍ معاً
كجلمود صخرٍ حطه السيل مِنْ علِ

وقوله :

ورحنا وراح الطرف يقصر دونه
متى ما ترقَّ العينُ فيه تسفَّلِ

وقوله (وفيه التبليغ – المبالغة ، وهو ما يمكن عقلاً وعادة) :

فعادى عداء بين ثور ونعجة
دراكاً ولم ينضح بماء فيغسلِ

وقوله (وفيه الإغراق ، أي المبالغة ، وهو ما يمكن عقلاً لا عادة) :

تنورتها من أذرعات ، وأهلها
بيثرب ، أدنى دارها نظر عالِ

وقوله في الغلو (هو ما لا يمكن عقلاً وعادة ، ولكنه أدخل عليه ما يقربه إلى الصحة) :

كأن غلامي إذ علا حال متنه
على ظهر باز ، في السماء مُحلِّقِ

وقوله (وفيه الهزل الذي يراد به الجد) :

وقد علمت سلمى ، وإن كان بعلها
بأن الفتى يهذي وليس بفعَّالِ

وقوله (وفيه التصدير ، أي رد العجز على الصدر ، مع الجناس) :

إذا المرء لم يخزُن عليه لسانه
فليس على شيء سواه بخزّانِ

وقوله (وفيه المماثلة ، وهي أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها في الزنة دون التقفية ، وقد يأتي بعضها مقفى من غير قصد) :

كأن المدام ، وصوب الغمام ،
وريح الخزامى ، ونشر القُطُر

وقوله (وفيه المراجعة ، وهي حكاية ما جرى من المحاورة بين متخاطبين بقال وقلت) :

تقول ، وقد مال الغبيط بنا معاً :

عقرت بعيري ، يا امرأ القيس، فانزلِ

فقلت لها : سيري ، وأرخي زمامه ولا تبعديني من جناك المعلَّلِ !

وقوله :

فقالت : سباك الله ! إنك فاضحي
ألستَ ترى السمارَ والناسَ أحوالي ؟

فقلت : يمين الله ! أبرح قاعداً ،
ولو قطّعوا رأسي لديك وأوصالي

وقوله (وفيه لزوم ما لا يلزم) :

فمثلكِ حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم مُحْولِ
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشقٍّ وتحتي شقها لم يحوّلِ

وقوله (وفيه الموازنة ، وهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية) :

أفادَ فجادَ ، وقادَ فزادَ وسادَ فجادَ، وعادَ فأفضلْ

وقوله (وفيه الايغال ، وهو أن المتكلم أو الشاعر إذا انتهى إلى آخر القرينة أو البيت استخرج سجعة أو قافية يريد معنى زائداً ، فكأنه تجاوز حدّ المعنى الذي أخذ فيه ، وبلغ مراده فيه إلى زيادة عن الحد) :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقَّبِ

فإن كلامه انتهى إلى قوله: «الجزع» وزيادة المعنى في قوله: «الذي لم يثقب».

وقوله (وفيه الإشارة) وهي أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على المعنى الكثير بإيماء يدل عليه):

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولا وان

فإنه أشار بقوله «أفانين» إلى جميع صنوف عدو الخيل المحمودة، والذي يدل على هذا قوله «قبل سؤاله».

وقد تقدم قوله في التقسيم الجيد والاحتراس.

وفي شعره كثير من الأنواع التي سبق إليها من غير أن يتعمدها؛ كالتصريع وحسن الابتداء. ولو استقرأ متتبع لوجد أكثر الأنواع في شعره.

والخلاصة: لا يكاد الباحث يجد نوعاً من أنواع الحسن في باب الشعر والبلاغة، إلا ولامرىء القيس فيه المثل الأعلى، والقدح المعلى. هذا على قلة ما انتهى إلينا من شعره؛ حتى عدّ من المقلين كما تقدم

وقالوا إنه أول رقق النسيب، كقوله:

أفاطم! مهلاً بعض هذا التدلل!

وإن كنت قد أزمعت صرمي، فأجملي!!

وإن كنت قد ساءتك مني خليقة

فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

أغرك مني، أن حبك قاتلي
وأنك مهما تأمري القلب يفعل ؟!
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي
بسهميك في أعشار قلب مقتل!

وإلى جانب ما سبق من المحاسن، تجد في شعره أشياء خالف بها سنن الشعراء والفصاحة، وخرج عن محجته، وسلك فيها سبيلاً غيرها، أولى منها: من ذلك الإقواء، (وهو اختلاف حركة الروي بكسر وضم):

كأن ثبيراً، في عرانين وبله كبير أناس، في بجاد مزملِ

وحقه أن يقول «مزملٌ». وقد يقال إنه أراد في «بجاد»: مزمل فيه. والإصراف (وهو اختلاف حركة الروي بفتح وغيره) كقوله:

فظل طهاة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل

وحقه أن يقول «أو قديراً معجلاً» وخرج على المجاورة ونحوها من الوجوه البعيدة.

والإيطاء (وهو إعادة الكلمة المشتملة على حرف الروي بلفظها ومعناها من غير أن يفصل بين اللفظين سبعة أبيات فأكثر كقوله:

وهبت له ريح بمختلف الصوا صباً وشمال في منازل قُفَّال

ثم قال بعد أربعة أبيات:

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لقفَّال

وقوله:

على الأين جياش كأن سراته على الضمر والتعداء سرحة مرقب

ثم قال بعد بيت :

له أيطلا ظبي ، وساقا نعامة ، وصهوة عير قائم فوق مرقب

ومنها تكرير الجملة ، أو الشطر ، أو البيت ، ما خلا كلمة القافية ، وهذا كثير في شعره ، كقوله :

ذَعَرْتُ بها سرباً نقياً جلوده وأكرعه الوشي البرود من الخال
" " " " " كما ذعر السرحان جنب الربيض (١)

***

قعدت له وصحبتي بين ضارج وبين تلاع بتلُت فالغريض (٢)
" " " " " " العذيب بعدما متأمَّلي

***

وقد أغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري عَلَى كل مذنَب
" " " " " " (٣) بمنجرد قيد الاوابد هيكل
" " " " " " اغيث من الوسمي رائده خال
" " " " " " بمنجرد عبل اليدين قبيض

***

له أيطلا ظبي ، وساقا نعامة ، وإرخاء سرحان ، وتقريب تتفل
" " " " وصهوة عَيْر قائم فوق مَرْقَبَ

***

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء لشيب مرجل

---

(١) الغنم في مرابضها (٢) اسم موضع (٣) في رواية : وكراتها

كأن دماء الهاديات بنحره   عصارة حناء بشيب مخضب

* * *

فعادى عداء بين ثور ونعجة   وبين شبوب كالقضيمة قرهب
〃 〃 〃 〃 〃   دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل
〃 〃 〃 〃 〃   وكان عداء الوحش مني على بال

* * *

وقد أغتدي والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيكل
بمنجرد قيد الأوابد لاحه   طراد الهوادي كل شأو مغرب

* * *

على الأين جياش كأن اهتزامه   إذا جاش فيه حميه غلي مرجل
〃 〃 〃 سراته   على الضمر والتعداء سرحة مرقب

ومنه الإسفاف في الغرض، قال رؤبة[1]: ما رأيت أفخر من قول امرئ القيس:

فلو أنما أسعى لأدنى معيشة
كفاني ولم أطلب؟ قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل   وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي!

ولا أنذل من قوله:

لنا غنم نسوقها غزار   كأن قرون جلتها العصي
فتملأ بيتنا أقطاً وسمناً   وحسبك من غنى شبع وري؟

(١) موشح ٢٧

وقال أحمد بن عبيد بن عمار : «قد وقفنا على ما أتاه الشعراء القدماء من الزلل والخطإ في قصيد أشعارهم وأراجيزها ، قديمها وحديثها ، وإحالتهم في نسج بعضها ، وما أتوا به من الكلام المذموم . فأولهم امرؤ القيس ، مع جلالة شأنه ، وعظيم خطره ، وبعد همته ، يقول مفتخراً بملكه واصفاً لما يحاوله : «فلو أنما أسعى لأدنى معيشة . . .» ثم قال بعد هذا القول المرضي ، في المعنى البهي ، قول أعرابي متلفع بشملته لا تجاوز همته ما حوته خيمته : «إذا ما لم تكن إبل فمعزى . . . .»

ولما تنازع هو وعلقمة في الشعر ، وحكّما أمّ جندب (زوج امرئ القيس) فضلت علقمة فقال لها زوجها : «وكيف ؟» قالت : «لأنك قلت :

فللسَّوْطِ أُلْهُوبٌ ، وللساق دِرَّةٌ
والزجر منه وقعُ أخرجَ مُهْذِبِ [(1)]

فقد جهدت فرسك بسوطك ، وزجرت ، وحركت ساقيك ، فأتعبته !

وقال علقمة :

فأدركهنّ ثانياً من عِنانه بمرّ كمرّ الرائح المتحلِّبِ

فأدرك فرسه ثانياً من عنانه ، لم يضربه بسوط ، ولم يتعبه !»

وقد عيب عليه قوله :

---

(1) يعني ألهب جريه حين زجره . وإذا غمزه بساقه درّ جريه . والأخرج : الظليم . والخَرَج : سواد وبياض . ومهذِب : مسرع .

أغرّكِ مني أنّ حبّكِ قاتلي   وأنكِ مهما تأمري القلبَ يَفعَلِ ؟!

قالوا: إذا لم يغرّها هذا فأي شيء يغرها؟ وهذا كأسير قال لمن أسره: «أغرك مني أني في يديك أسير ؟ !»

وفي هذا البيت من البراعة والرقة ما لا يطول إلى مثله أحد إلا امرؤ القيس: فإنه يعلم أن ذلك يغرّها، ولكنه سأل سؤال الجاهل؛ والقلب يحتمل أن يكون قلبها. فالمعنى حينئذ: أنكِ مالكةٌ قلبكِ، مهما تأمريه يفعل، وأنا لا أملك قلبي لأنكِ أنت ملكته ويحتمل أن يكون قلبه، فالمعنى: مهما تأمري قلبي يفعل، لأنه مطيع لك! وكلا المعنيين جميل، والاستفهام على هذا الوجه جيد.

وعابوا عليه قوله:

لها ذَنَبٌ مثل ذيل العروس   تَسُدُّ به فَرْجَها مِنْ دُبُرْ!

قالوا: ذيل العروس مجرور، ولا يجب أن يكون ذنب الفرس مجروراً ولا قصيراً، قالوا: والصواب في ذلك قوله:

ضليعٌ إذا استدبرته سدّ فَرْجه   بضافٍ فويقَ الأرض ليس بأعزلِ

وعابوا قوله: « من دبر »، وقالوا: لِمَ قال ذلك؟ فمن أين تسد بذنبها فرجها؟ فهذا ليس من قول الحذاق. ويمكن أن يقال عن الأول: إن الشاعر وغيره قد يشبه الشيءُ بشيءٍ آخر من ناحية من نواحيه، أو ناحيتين أو أكثر، ولا يريد التشبيه به من كل ناحية. ألا ترى أنهم شبهوا العيون بالنرجس واتفقت كلمتهم على استجادة ذلك، وهم لا يريدون تشبيهها به في البياض مع الصفرة؟ لأن ذلك لون عيون المررة! وكذلك

تشبيههم المرأة بالغزال ، والمها ، والأسد ، والبدر ، والغصن . وهنا يريد تشبيه ذنبها بذيل العروس في حسنه ، ولا يتحتم عليه أن يريد التشبيه به في جره على الأرض !.

وبيته الثاني « ضليع ... » يبين لنا هذا المعنى ، ويعين هذا القصد .

ويقال عن الثاني : إن في كلام البلغاء كثيراً من مثل هذه القيود ما يقع لزيادة الإيضاح ، أو على سبيل الاتفاق . ولا يجب أن يكون كل زائد للاحتراس من شيء آخر . ألا ترى أنهم يقولون : سمعته بأذني ، ورأيته بعيني ، و كتب بيده ، و ...

وعابوا عليه قوله :

وأَرْكَبُ في الرَّوْعِ خَيْفَانَةً (١) كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنتشر

قالوا : لأن الناصية إذا غطت الوجه ، لم يكن الفرس كريماً ، والجيد الاعتدال . على أنه يجوز أن يراد بالوجه بعضه على سبيل المجاز من ذكر الكل ، وإرادة الجزء .

وعيب عليه قوله :

وللسَّوْطِ منها مجالٌ كما تَنَزَّلَ ذو برد منهمر

قالوا : مالها وللسوط ؟

وعيب عليه قوله : « فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... » ثم قوله بعدها : « وهل عند رسم دارس من معوّل ؟ » لأن كلامه الثاني ناقض الأول .

وقد قيل : إن مراده لم يعف رسمها لما نسجته الريح وحده ، وإنما

(١) خيفانة : فرس طويلة القوائم ضامرة . ويريد بالسعف : شعر الناصية .

عفا للريح والمطر وغيرهما . وقيل : إنه دارسٌ بعضُه دون بعض . وقيل : درس من الريح وغيرها ، ولكنه لم يدرس من قلبي . وقيل : إنه رجع فأكذب نفسه حين قال : « لم يعف » ثم قال : « دارس » . ومثله قول زهير :

قِفْ بالديار التي لم يَعفُهَا القدمُ — بَلَى ، وغيَّرهـا الأرواح والديمُ

وعيب عليه قوله : « فقلت له لمّا تمطّى بصلبه ... » ثم قوله : « ألا أيها الليل الطويل .. » لأنه أتمّ البيت الأول في وصف الليل ، ولم يذكر ما قاله ، وجعله متعلقاً بما بعده .

ومثل هذا شائع منتشر في كلام الفصحاء . ولم يعدّ أهل العروض من التضمين المعيب ذكر المفعول في البيت الثاني لقال أو لغيرها .

وعيب عليه فجوره وعهره في شعره ، كقوله :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع — فألهيتهـا عن ذي تمائم مُحْوِل

إذا مابكى من خلفها انصرفت له — بشِقٍ ، وتحتي شقها لم يحوَّلِ

وقالوا : هذا معنى فاحش . وعيب أيضاً لقصده للحبلى والمرضع دون البكر ، وهو ملك وابن ملوك ؟ فما فعل هذا إلاّ لنقص همته .

وقد حُمل قوله هذا على وجه أفضل ، وهو : أن الحبلى والمرضع لا تكادان ترغبان في الرجال ؟ وهما ترغبان فيه لجماله . فقوله هذا يريد به التمدح . وكذلك عدّ من فجوره قوله :

دخلت وقد ألقتْ لنوم ثيابهـا — لدى الستر ، إلاّ لِبسة المتفضل .

وقوله :

سموت إليها بعد ما نام أهلها   سمو حباب الماء حالا على حال
إذا ما الثريا في السماء تعرضت   تعرض أثناء الوشاح المفصل

فقيل: ليست الثريا تتعرض في السماء. وقال بعض من يعذره: أراد الجوزاء لأنها تتلوها!

وعيب عليه قوله:

أبعد الحارث الملك بن عمرو   وبعد الملك حُجْر ذي القِبَاب
أرجّي من صروف العيش لينًا   ولم تغفُلْ عن الصمّ الهضاب

قالوا: إنه مُضمَّن. وليس هذا بتضمين على الصحيح؛ لأن التضمين تعلق كلمة القافية بالبيت التالي تعلقًا لا يتم المعنى بدونه، وأما هنا ليس كذلك. وفي كلام الشعراء كثير من هذا النوع.

واستهجنوا قوله:

وهرٌّ تصيد قلوبَ الرِّجالِ   وأفلتَ منها ابنُ عمرو حُجُر

فلفظة «هر» و«الصيد» مضحك مستهجن ولو أن أباه حجرًا من فأر بيته ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف.

والحق أن العرب لا تلتفت إلى مثل هذه الأشياء، وإنما تنظر إلى الحقائق والجد.

وعيب عليه قوله: «يزل الغلامُ الخِفُّ عن صهواته» وليس للجواد إلا صهوة واحدة. والحق أن هذا غير عيب لأن العرب تنزل الأجزاء منزلة الأفراد، كما قالوا في قول أبي ذؤيب:

«فالعين بعدهم كأن حداقها»

وليس لها إلاّ حدقة واحدة .

وعيب عليه قوله :

وعينٌ لها حَدْرَةٌ[1] بَدْرَةٌ[2] فشقت مآقيها من أُخُرْ

لأنه ذكر العين مفردة ، وأعاد ضمير المثنى .

وعيب عليه قوله :

لها متنتان خَظَاتا كما أكبَّ على ساعديه النَّمِرْ

والصواب خظتا[3]

وحضر أحمد بن أبي طاهر مجلس علي بن يحيى المنجم يوماً بعد أن أخلّ به أياماً ، فعاتبه على ذلك . فقال : « كنت متشاغلاً باختيار شعر امرئ القيس . » فأنكر عليٌّ عليه ذلك ، وقال : « أما تستحي من هذا القول ؟ وأي مرذول في شعر امرئ القيس ، حتى تحتاج إلى اختياره ؟ » واتسع القول بينهما في ذلك . فقال هارون بن علي لأبيه : « قد صدقت ، يا سيدي ، في وصف شعر امرئ القيس ، ولكن فيه ما يفضل بعضه بعضاً وإلا فقوله :

يا هند لا تنكحي بُوهَةً[4] عليه عقيقتُه[5] أحسبا[6]

---

(١) واسعة مكتنزة صلبة (٢) تبدر بالنظر ، أو الحديدة النظر ، أو تامة كالبدر (٣) خظا اللحم : اكتنز ؛ والخظاة المكتنزة من كل شيء . قيل اصله خظتا فاضطر فوصل الفتحة بألف ساكنة . كما قالوا : كلكال في كلكل . وذهب الفراء إلى أنه أراد : خظاتان ، فحذف النون استخفافا . (٤) طائر يشبه البومة . وقيل : البومة ، والرجل الضعيف ، والاحمق (٥) شعره الذي يولد به ، أي إنه لا يبطلي ولا ينظف (٦) يضرب إلى السواد ، والذي ابيضت جلدته وفسدت شعرته .

مرسغة [1] بين أرساغه [2] به عَسَمٌ [3] يبتغي أرنبا

ليجعل في ساقه كعبَها [4] حذار المنية أن يعطبا

ولست بخِزْراقة [5] في القعو دولست بطياخة [6] أخدبا [7]

ولست بذي رَثْيَةٍ إمَّرٍ [8] إذاقيدمستكرهاًأصحبا [9]

---

(١) رسغ فهو مرسَّغ : فسد موق عينه . وأنثه كقولك : هلبَاجة؛ او لأن الترسيغ يكون في العين وهي مؤنثة . وروي : « مرسَّغة » وهي كالمعاذة أن يؤخذ سير فيخرق فيدخل فيه سير فيجعل في ارساغه دفعاً للعين . فمرسغة : مبتدأ ، خبره : بين ارساغه ؛ ج . رُسغ : مفصل ما بين الكف والساعد والقدم الى الساق . ويروى : أرفاغه ؛ج . رُفغ : هو أصل الفخذ ، وسائر المغابن، وكل موضع اجتمع فيه الوسخ . (٣) يبس في المرفق والرسغ تعوَّجُ منه اليدوالقدم (٤) الكعب:العظم لكل ذي أربع ، وكل مفصل للعظام . كان حمق الاعراب في الجاهلية يعلقون كعب الارنب في الرجل كالمعاذة ، ويزعمون أن من علقه لم تضره عين ولا سحر ولا آفة ، لان الجن تجتنب الأرانب لمكان الحيض . يقول : هو من اولئك الحمقى . (٥) الخِزْراقة : الضعيف ، والمضطرب في جلوسه ، أو الذي لا يحسن القعود في المجلس ، أو الكثير الكلام . (٦) الطياخة : الاحمق لا خير فيه ، او الاحمق القذر أوالذي لايزال يقع في بلية وسوء (٧) الاخدب : الذي لايتمالك حمقا وجهلا ، او الاهوج(٨) الرثية : وجع يؤخذ في المفاصل واليدين والرجلين . أو كل ما منع من الانبعاث من وجع او كبر (٩) الإمَّر : الاحمق الضعيف لا رأي له أولا عقل له الا ما أمرته به لحمقه ، يأتمر لكل امر شبهه بالجدي إذا قيد انقاد (١٠) اصحب : انقاد .

وتتمة هذه الابيات :

وقالت : بنفسي شباب لـه ولمته [1] قبل أن يشجبا

---

(١) اللِمة : ما ألمّ من الشعر بالمكبنين ؛ ويشجب ؛ يقال : شَجِبَ يَشْجَبُ ـ

أهو مما يختار ويوصف بهذه الاوصاف مع ما في هذه الابيات من حوشي الكلام وجَسَاء الالفاظ وخلوها من كثير من الفائدة . فامسك عليّ .

وإذ هي سواده مثل الجناح تغشّي المطانبَ والمَنْكِبا

ـ شَجَبا وشجَب ويشجُب شجوبا إذا عطب وهلك . تقول أفدي شبابه : شفقة عليه ومحبة فيه والمطانب جمع مِطْنَب ومَطْنَب المنكب والعاتق وحبل العاتق .

اسلوبه

أما اسلوبه فقد كان جزل الالفاظ، متين التأليف، جيِّد السبك، كثير الغريب - إلاَّ في الغزل، فإنه يغلب عليه في غزله الرقة والرشاقة

وأما معانيه فقد كانت بديعة، كما كان خياله بديعاً. وربما سلك سبيل المبالغة والغُلُوّ، كقوله في الغزل:

مِنَ ٱلقَاصِرَاتِ ٱلطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ
مِنَ ٱلذَّرِّ فَوْقَ ٱلإِتْبِ مِنْهَا لأَثَّرَا (1)!

وقوله (2):

تَنَوَّرْتُهَا من أَذْرِعَاتٍ وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر عال

وله أبيات تدل عَلَى أنه كان ينظم الشعر، ثم يتخير منه: فيأخذ المستجاد، ويطرح ما سواه، وهي:

أذود القوافي عندي ذيادا ... ذياد غلامٍ، جريءٍ، جرَادا
فلما كَثُرْنَ وعَنَّيْنَهُ ... تخير منهن شتى جيادا
فأَعزِلُ مَرْجانها جانباً ... وآخذ من درّها المستجادا

---

(1) الإتب: بُرْد أو ثوب يشق في وسطه تلقيه المرأة في عنقها من غير جيب ولا كمين، وهو المعلقة والصدار والشَوْذَر. وقيل: قميص بلا كمين. وقيل: السراويل بغير رجلين (2) العمدة ١ / ١٣٤

وزعم ابن الكلبي أنه امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن الحارث بن معاوية الكندي

وزعم غيره أن الابيات لامرئ القيس بن عانس الكندي ·

وقد تقدم أنه لقب بـ « الذائد » لقوله: « أذود القوافي ... »

بداهته

والظاهر أنه كان سريع الخاطر ، قوي البديهة ، لم يتكلف تنقيح شعره وتهذيبه ؛ بل كان يلقيه عفواً بلا تعمل ولا كدّ قريحة · ولذلك تجد على أكثر شعره مسحة البداوة وجفاءها [1].

والغالب على شعره أيام صبوته التشبيب بالنساء ، ووصف الخيل والصيد ، وما شاكل ذلك مما تقتضيه الصبوة والمجانة · وفي أيام كبره يغلب على شعره الشكوى من الزمان ، وتجهم الاخوان ، ونحو ذلك مما تقتضيه المحنة التي مني بها · وقد يمثل شعره صورة تامة عن حياته وخلقه · فانظر إلى قوله :

بكى صاحبي لمّا رأى الدَّربَ دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبكِ عينك إنما
نحاول ملكاً أو نموت ، فنعذرا

وقوله :

ولكنني أسعى لمجدٍ مؤثَّلٍ
وقد يدرك المجد المؤثَّلَ أمثالي

---

(١) وقد تقدمت مماطلته للتوأم اليشكري وعبيد بن الأبرص ، وإنشاده بائيته في علقمة

وقوله في وصف راحلته :

عليها فتى لم تحمل الأرضُ مثله أبرّ بميثاقٍ وأوفى وأصبرا

وقوله :

فظلّ طهاة اللحم ما بين منضجٍ صفيفَ شواءٍ ، أو قديرٍ معجل

وقوله :

فظلّ العذاري يرتمين بلحمها وشحم كهدّاب الدِّمقس المفتل

فانك تجد فيه عزة الملك ، وتلمح فيه مخايل النبل والامرة والسيادة وعلو الهمة وعظمة النفس .

وإذا نظرت إلى قوله :

إذا ما لم يكن إبل فمعزى كأن قرون جلتها العصي

لنا غنم نسوّقها غزار " " الخ ...

فإنه يمثل لك قناعة الصعلوك ، وذلة المعدم ، ورضى الخامل .

وإذا نظرت إلى قوله :

فإنْ كنت قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقوله :

رمتني بسهم أصاب الفؤاد غَداة الرحيل فلم انتصر

فأسبل دمعي كفض الجمان أو الدر رقراقه المنحدر

فبتُّ أكابد ليل التما م والقلب من خشية مقشعر

تمثل لك فيه ذل العاشق ، وخنوع المحب الذي ملك الحب عليه مشاعره . فلم يجد ما يفرج به كربه إلا إسبال الدمع ، والاستسلام

للمحبوب ، والنزول عند رغبته .

وإذا تأملت قوله :

وأنا المنية بعد ما قد نوّموا　　　وأنا المُعَالِنُ صفحة النوّامِ

وقوله :

وإذا أذيت ببلدة ودعتها　　　ولا أقيم بغير دار مقام !

وأنازل البطل الكريه نزاله　　　وإذا أناضل لا تطيش سهامي !

وقوله :

والله ؟ لا يذهب شيخي باطلا　　　حتى أبير مالكا وكاهلاً

القاتلين الملك الحلاحلا　　　خير معد حسباً ونائلا [1]

وقوله

وكلّ مكارم الأخلاق صارت　　　إليه همتي ، وبه اكتسابي

رأيته يضم بين جوانحه نفساً جبارة لا تقيم على ضيم ، ولا تنام على وتر . فهو الموت ، وهو ينازل البطل الكريه نزاله ، ولا تطيش سهامه ، وقد أحبت همته كل خلق كريم ، كما حملت راحلته فتىً لم تحمل الأرض مثله . فامرؤ القيس شجاع كريم الاخلاق ، شديد الاعتداد بنفسه ، كثير الفخر بها وبقومه .

---

(1) في العكبري ١/٥٣ لامرئ القيس :

القاتلين الملك الحلاحلا　　　يالهف هند إذ خطئن كاهلا

وهذه هي امرأة أبيه لم تلد لأبيه حجر شيئاً ، فخلف عليها امرؤ القيس وخرج في طلب بني كاهل ، فأوقع ببجي من بني كنانة وهو يظن أنهم من كاهل ، وهم بطن من أسد . وخطئ وأخطأ بمعنى واحد ، وهما لغتان .

وإذا تدبرتَ قوله :

أرانا موضِعين [1] لحتم غيب ... ونُسْحَر [2] بالطعام وبالشراب
عصافيرٌ ، وذِبَّانٌ ، ودودٌ ... وأجرأ من مُجَلَّحَةِ [3] الذئاب
فبعض اللوم عاذلتي فإني ... ستكفيني التجارب وانتسابي [4]
إلى عِرق [5] الثرى وشجت [6] عروقي ... وهذا الموت يسلبني شبابي
ونفسي سوف يسلبها وجُرْمي [7] ... فيلحقني وشيكاً [8] بالتراب

إلى أن يقول :

وقد طوَّفتُ بالآفاق حتى ... رضيتُ من الغنيمة بالإياب !
أبعد الحارثِ الملكِ بنِ عمروٍ ... وبعد الخير حُجْرٍ ذي القباب [9]
أُرجّي من صروف الدهر ليناً ... ولم تغفُل عن الصم الهضاب [10]
وأعلم أنني عما قليل ... سأنشب في شبا [11] ظفرٍ وناب
كما لاقى أبي حجرٌ وجدّي ... ولا أنسى قتيلاً بالكُلاب [12]

وقوله المتقدم :

ألا إن لم تكن إبل فمعزى ... كأن قرون جلتها العصي الخ . .

خيل إليك أن زاهداً يملي ضروباً من العظات على تلاميذه ليعتبروا ،

---

(١) الإيضاع : نوع من السير (٢) أي نعلل ، فكأنا نسحر ونخدع بهما (٣) جريئة . وفي اللسان : أجرأ من محلجة (٤) إذا لم أجد بيني وبين أحد حيا كفاني وعلمت أني ساموت (٥) آدم (٦) اتصلت (٧) جسدي (٨) سريعا . (٩) القبة من أدم تكون للملوك (١٠) ج . هضبة الصخرة الراسية الضخمة (١١) حد (١٢) اسم ماء كانت عنده وقعة ، ولذلك قالوا : الكلاب الاول والثاني ، وهما يومان مشهوران . والمراد بالقتيل : عمه شرحبيل بن عمرو .

ويكفوا انفسهم عن الهوى ، لأنهم صائرون إلى ما صار إليه آباؤهم من قبل . ويحضهم على القناعة ، والاجتزاء من الغنى بالشبع والري .

ومن سمع قوله :

ألبر أنجح مـا طلبت بـه والبر خير حَقيبة الرَّحْلِ [1]

وقوله :

وقـاهم جدهم [2] ببني أبيهم وبالأشقَيْنَ ما حلَّ العقاب [3]

وقوله :

وهل ينعمن إلاَّ سعيـدٌ مخلَّدٌ قليل الهموم ، ما يبيت بأوجال ؟!

وقوله :

صُبَّتْ عليه ولم تَنصَبَّ من كثبٍ إن الشقاء على الأشقَيْنَ مصبوب ؟

وقوله في النساء :

أراهنَّ لا يُحْبِبْنَ من قلَّ ماله
ولا مَنْ رأينَ الشيب فيه وقوَّسا [4]

ألا إن بعد العـدم للمرء قُنوة [5]
وبعـد المشيب طول عمرٍ وملْبَسا [6]

وقوله :

إذا المرء لم يَخْزُنْ عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان !

وقوله :

---

(1) الحقيبة : وعاء يجعل الرجل فيه زاده (2) حظهم (3) نسخة العتاب ، أي صار الملام واقعا بهؤلاء الاشقياء (4) انحنى (5) غنى ورخاء . كسبة . (6) ثوبا يلبس

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلَّب

وقوله :

أرى المرء ذا الاذواد يصبح محرَضا [1]

كاحراض بكر في الديار مريض

كأن الفتى لم يغن في الناس ساعة

إذا اختلفت اللَحيان عند الجريض [2]

وقوله :

وما المرء ما دامت حُشاشة نفسه يدرك أطراف الخطوب ولا آل

وقوله :

تمتع من الدنيا ، فإنك فان ، من النشوات والنساء الحسان !

وقوله :

ألا إنما الدهر [3] ليال وأعصر وليس على شيء قويم بمستمر [4]

نبين أن امرأ القيس شاعر حكيم ، يستمد حكمته من التجارب ومقايسة بعض الأمور ببعض .

وإذا تأملت قوله :

لقد أنكرتني [5] بعلبكّ وأهلها

ولابن جُرَيْجٍ في قُرى حِمص أنكرا

---

(١) ج ذود من الابل ، ما بين الثلاث الى عشر . المحرض : الهالك ، لا حي فيرجى ، ولا ميت فيواسى (٢) الغصص بالريق . ورواه الجوهري : « عند جريض » وفسر الجريض بالغصة . (٣) في رواية : الا انما الدنيا ... (٤) استمر الشيء : مضى علّى طريقة واحدة . (٥) انكر الشيء جهله

وقوله :

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته ... وقرت به العينان بدلت آخرا
كذلك جدي: لا أصاحب صاحباً ... من الناس ، إلاّ خانني وتغيرا
وكنا أناساً قبل غزوة قَرْمَل[1] ... ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا

تمثل لك فيه شكوى البائس ، وذكرى المكروب ، وفخر الضعيف المغلوب .

وإذا نظرت إلى قوله :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول

وقوله :

سموت إليها بعد ما نام أهلها ... سمو حباب الماء حالاً على حال

وقوله :

كأني لم أركب جواداً للذة ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ، ولم أقل ... لخيلي كري كرة بعد إجفال

وقوله :

إذا ذقت فاها ، قلت: طعم مدامة ... معتقة مما تجيء به التجر !

وقوله :

هصرتُ بفَوْدَيْ رأسها فتمايلتْ ... عليّ هضيمَ الكشح ريّا المخلخل

وقوله الذي غبّر فيه في وجه كل من وصف المضاجعة :

---

(١) ملك من اليمن غزا كندة قبل امرئ القيس فأصاب منهم . او اختلفت اصحاب امرىء القيس عليه ، فخرج إلى قرمل فاستجاشه ، فثبطه .

١٠

تمول، وقد جردتها من ثيابها، كما رُعت مكحولاً من العين أتلعا[1]
وجِدِّكَ لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد عنك مَدْفعا
فبتنا تذود الوحش عنا كأننا قتيلان لم تعلم لنا الناس مصرعا!
إذا أخذتها هزة الروع أمسكت بمنكب مقدام على الهول أروعا[2]!

وقوله:

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هَصَرْتُ[3] بغصن ذي شماريخ[4] ميال
وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ورُضْتُ فذلت صعبة أي إذلال

تراءى لك فيه عربدة الماجن، وصراحة الخليع، وفجور التعبير.

فأشعار امرىء القيس لا تمثل نفساً سلكت سبيلاً واحداً في الحياة، ولا انتهجت سنناً مطرداً؛ بل تمثل نفساً مضطربة لا تستقر على حال من القلق.

***

أما أغراض شعره فلا تكاد تخرج عن أغراض الشعر في الجاهلية من: غزل، وحماسة، وفخر، وعتاب، ومدح، وهجاء، ووصف.

الغزل

البداة لا يعرفون مظهراً من مظاهر الجمال خيراً من المرأة. فالمرأة

(١) طويل العنق (٢) الاروع: الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل، والذي يردعك حسنه ويعجبك إذا رأيته (٣) هصر الغصن بالغصن: أمال رأسه إليه (٤) الشمراخ: العذق. والشمروخ: غصن دقيق رخص ينبت في أعلى الغصن الغليظ خرج في سنته رخصا.

هي المثل الأعلى فيه عندهم . والعرب ذوو نفوس حسّاسة وأذواق لطيفة : إذا رأى أحدهم الجمال أخذ بجامع قلبه ، وملك عليه مشاعره ، وشغل نفسه عما سواه . فإذا فارق من أحب جاشت مراجل الحب في نفسه ، فقذفت على نفسه ما يختلج فيها من آلام البعد ، وتباريح الشوق : فأخذ يشكي [1] ويبكي ، ويترنم بوصف من أحب بالصفات التي تثير في نفسه كوامن الشوق . ولذلك كانوا يقدمون الغزل في فاتحة أشعارهم .

ولامرئ القيس آيات رائعة في الغزل : فقد بلغ فيه غاية لم يسبق إليها ، وسلك سبيلاً اتبعه من جاء بعده ، وشعره وإن كان مطبوعاً بطابع البداوة أحياناً ، فإن غزله يكاد يذوب لطافة ورقة .

وسبيله في الغزل مختلف : منه العفيف الشريف ، ومنه ما أفحش فيه وخرج عن الأدب ، بالنسبة إلى هذا العصر . ولعل ذلك كان مرغوباً فيه في عصره . فان النابغة الذبياني بلغ من الصراحة في وصف « المتجردة » ما لم يبلغه امرؤ القيس في كل أدبه الصريح .

وقد يظهر للباحث أن امرأ القيس مولع بالنساء ، شديدُ الحب لهن ، ولكن حبه غير صحيح ولا ثابت ، بل هو محب للجمال ، يتبعه حيث كان كما يتبع الراعي ساقط الغيث ، ومنابت الكلإ .

وقد سُئل مرة : ما أطيب لذات الدنيا ؟ فقال : بيضاء رُعبوبة [2] ، بالحسن مكبوبة ، بالشحم مكروبة [3] ، بالمسك مشبوبة [4] .

---

(١) لغة في يشكو . (٢) تارّة شَطِنَة : طويلة غضة . (٣) كَرَبَهُ : فتله ؛ وإذا كان الحيوان وثيق المفاصل قيل : إنه لمكروب المفاصل . (٤) يقال : شبّ لونَ المرأة خمارٌ أسودُ ، لبسته ؛ أي : زاد في بياضها ولونها فحسنها . وفي « عيون -

تقول ، وقد جردتها من ثيابها ، كما رُعت مكحولاً من العين أتلعا[1]
وجدِّكَ لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد عنك مَدْفعا
فبتنا تذود الوحش عنا كأننا قتيلان لم تعلم لنا الناس مصرعا !
إذا أخذتها هزة الروع أمسكت بمنكب مقدام على الهول أروعا[2] !

وقوله :

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هَصَرْتُ[3] بغصن ذي شماريخ[4] ميال
وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ورُضْتُ فذلت صَعْبَة أي إذلال

ترى فيه عربدة الماجن ، وصراحة الخليع ، وفجور المتعبير ·

فأشعار امرىء القيس لا تمثل نفساً سلكت سبيلاً واحداً في الحياة ، ولا انتهجت سنناً مطرداً ؛ بل تمثل نفساً مضطربة لا تستقر على حال من القلق ·

* * *

أما أغراض شعره فلا تكاد تخرج عن أغراض الشعر في الجاهلية من : غزل ، وحماسة ، وفخر ، وعتاب ، ومدح ، وهجاء ، ووصف ·

الغزل

البداة لا يعرفون مظهراً من مظاهر الجمال خيراً من المرأة · فالمرأة

(١) طويل العنق (٢) الاروع : الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل ، والذي يردعك حسنه ويعجبك إذا رأيته (٣) هصر الغصن بالغصن : أمال رأسه إليه (٤) الشمراخ : العذق · والشمروخ : غصن دقيق رخص ينبت في أعلى الغصن الغليظ خرج في سنته رخصا ·

هي المثل الأعلى فيه عندهم . والعرب ذوو نفوس حسّاسة وأذواق لطيفة: إذا رأى أحدهم الجمال أخذ بجامع قلبه، وملك عليه مشاعره، وشغل نفسه عما سواه . فإذا فارق من أحب جاشت مراجل الحب في نفسه، فقذفت على نفسه ما يختلج فيها من آلام البعد، وتباريح الشوق: فأخذ يشكي [1] ويبكي، ويترنم بوصف من أحب بالصفات التي تثير في نفسه كوامن الشوق . ولذلك كانوا يقدمون الغزل في فاتحة أشعارهم .

ولامرئ القيس آيات رائعة في الغزل: فقد بلغ فيه غاية لم يسبق إليها، وسلك سبيلاً اتبعه من جاء بعده، وشعره وإن كان مطبوعاً بطابع البداوة أحياناً، فإن غزله يكاد يذوب لطافة ورقة .

وسبيله في الغزل مختلف: منه العفيف الشريف، ومنه ما أفحش فيه وخرج عن الأدب، بالنسبة إلى هذا العصر . ولعل ذلك كان مرغوباً فيه في عصره . فان النابغة الذبياني بلغ من الصراحة في وصف «المتجردة» ما لم يبلغه امرؤ القيس في كل أدبه الصريح .

وقد يظهر للباحث أن امرأ القيس مولع بالنساء، شديدُ الحب لهن، ولكن حبه غير صحيح ولا ثابت، بل هو محب للجمال، يتبعه حيث كان كما يتبع الراعي ساقط الغيث، ومنابت الكلإ .

وقد سُئل مرة: ما أطيب لذات الدنيا؟ فقال: بيضاء رُعبوبة [2]، بالحسن مكبوبة، بالشحم مكروبة [3]، بالمسك مشبوبة [4] .

---

(١) لغة في يشكو . (٢) تارّة شَطِنَة: طويلة غضة . (٣) كرَبَهُ: فتله؛ وإذا كان الحيوان وثيق المفاصل قيل: إنه لمكروب المفاصل . (٤) يقال: شبَّ لونَ المرأة خمارٌ أسودُ، لبسته؛ أي: زاد في بياضها ولونها فحسنها . وفي «عيون -

ذات الطَّلْح ، إذ كان يصطبح فيها عندها، وعند فرْتني، بقوله :

ليالِ بذات الطَّلْحِ عند محجرٍ
أحبُّ الينا من ليالٍ علَى أقُرْ (١)

أغادي الصبوحَ عند هرٍ وفرْتنى
وليداً ، وهل أفنى شبابي غيرهر ؟

إذا ذقتَ فاها ، قلتَ : طعمُ مُدامة
معتقــة مما تجيءُ به التُجُر (٢)

هما نعجتان من نعــاج تبَالَة (٣)
لدى جؤْذَرَين أو كبعض دُمى هكَر (٤)

إذا قامتا تضوّع المسكُ منهما
برائحةٍ من اللّطيمةِ (٥) والقُطُر

كأنّ التجارَ أصعَدُوا (٦) بسَبيئَة (٧)
من الخُصِّ (٨) حتى أنزلوها على يُسُرْ (٩)

فلما استطابوا صبَّ في الصحن (١٠) نصفهُ
وشُجّتْ بماء غيرِ طرْقٍ (١١) ولا كَدرْ

---

(١) موضع . (٢) ج : تجار أو أصلها تجر . ج . تاجر كصُحُب وصاحب . (٣) موضع تألفه الوحش ؛ والجؤذر : ولد البقر ؛ والنعجة : الانثى من الظباء او بقر الوحش . (٤) موضع . (٥) عير تحمل المسك ؛ والقُطُر : العود . (٦) ذهبوا . (٧) خمراً اشتريت للشرب . (٨) بلد بالشام جيد الخمر . (٩) بلد كان يسكنه الشاعر . (١٠) الصحن . القدح (١١) بالت فيه الابل .

بماءِ سحابٍ زلّ عن متنِ صخرةٍ

إلى بطنِ أخرى طيِّبٌ ماؤُها خَصِرِ

وأحب فاطمة [1] (وهي من بني كلب) فاستكثر تدللها ، وتذلل لها ، وسألها أن تجمل صرمه ، وتسل ثيابه من ثيابها إن كانت خليقته ساءتها . ثم غامر بنفسه ، وتجاوز الأحراس إليها ، حتى جاءها وقد نضت ثيابها ، ثم خرج بها وهي تعفي الأثر بأذيالها ، حتى تجاوز ساحة الحي ، فهصر بفودَي رأسها ، ثم نعتها بأجمل ما ينعت به عاشق معشوقته . ولم يدع مظهراً من مظاهر الحسن في جسمها إلا وصفه وصفا يستهوي الأفئدة ، بأسلوب ينحدر إلى قرارة النفوس . فقال :

أفاطم مهلاً ! بعضَ هذا التدلُّلِ

وإن كنت قد أزمعتِ [2] صرمي [3] فأجملي [4]

وإن تكُ قد ساءتكِ مني خليقة [5]

فسُلِّي ثيابي [6] من ثيابك تنسَلِ [7]

أغرّكِ مني أن حبَّكِ قاتلي

وأنك مهما تأمري القلبَ يفعلِ ؟

---

(1) في الجمهرة : هي عنيزة . وفي التبريزي هي فاطمة بنت عبيد بن ثعلبة بن ثعلبة بن عامر وهو الأجدار بن عوف بن عذرة ، ولها يقول :

لا وأبيك ابنة العامري م لا يدعي القوم أني أفر

(2) عزمت . (3) قطيعتي . (4) فأحسني (5) طبيعة . (6) قلبي . (7) أنسل الريش: سقط ، وأنسله : أسقطه ، ونَسَلَ ينسِلُ نسلاً ، ونسل الطائر ريشه . يتعدى ولا يتعدى .

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلاَّ لتضربي

بسهميكِ في أعشار[1] قلبٍ مُقَتَّلِ[2]

تشبيه المرأة بالبيضة

وبيضةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤُها

تَمَتَّعْتُ من لهوٍ بها غيرَ معجلِ[3]

تجاوزتُ أحراساً وأهوالَ مَعْشَرٍ

عليَّ حِراصاً لو يُسِرُّون مقتلي[4]

إذا ما الثُّرَيّا في السماء تعرَّضَتْ

تَعَرُّضَ أثناء الوِشاحِ المُفَصَّلِ[5]

---

(١) السهمان : العينان ؛ والأعشار : الكسور ؛ قدح أعشار : مكسور . أي لتجعلي قلبي فاسداً محروقاً . يقول : إنك لم تبك لانك مظلومة ، وإنما بكيت لتقدحي في قلبي كما يقدح القادح في الاعشار . وقيل في معناه : إن هذا مَثَلٌ لاعشار الجزور وهي تقسم على عشرة أنصباء ، ثم يجال عليها بالسهام . يريد : أنكِ ذهبت بقلبي أجمع . وعن الاصمعي ، معناه : دخل حبك في قلبي كما يدخل السهم . قال التبريزي : وأجود هذه الوجوه أن يراد بالسهمين المعلى والرقيب ، لانه جعل بكاءها سبباً لغلبتها على قلبه ، فكأنها حين بكت فاز سهماها . (٢) مذلل . (٣) غير خائف ؛ أو : لم يكن مما فعلته مرة أو مرتين فأعجل عنه . (٤) الاحراس : ج : حارس ، وأبى بعضهم هذا الجمع ، وقيل : ج . حرس ؛ يسرون : يكتمون ، ويروى : يُشِرُّون أي يظهرون . (٥) تعرض الشيء : دخله فساد وتعوج ؛ وتعرضت الثريا : لم تستقم في سيرها ومالت كالوشاح المعوج أثناؤه على جارية توشحت به . أثناء : ج . ثني ، وهو الجانب ؛ والوشاح ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقيها و كشحيها . وفصل الوشاح : جعل بين كل لؤلؤتين –

فجئتُ وقد نَضتْ لنومٍ ثيابَها

لدى السِّترِ إلاّ لِبسةَ المتَفضّلِ (١)

فقالتْ يمينُ اللهِ مالكَ حيلةٌ

وما إنْ أرى عنكَ الغَوايةَ تنجلي

خرجتُ بها أمشي تَجُرُّ وراءَنا

عَلَى أثَرينا ذَيلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ (٢)

فلما أجزْنا ساحةَ الحيِّ وانْتَحَى

بنا بطنَ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ (٣)

هَصَرْتُ بفَوْدَيْ رَأْسِها فتمايلت

عَلَيَّ هَضيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ (٤)

ـ مرجانة أو شَذْرة أو جوهرة تفصل بين كل اثنتين من لون واحد . (١) نضت : نزعت وألقت . قال الجوهري : ويجوز عندي تشديده للتكثير . المتفضل : الذي يبقى في ثوب واحد لينام أو يعمل عملاً ، واسم الثوب : المِفْضَل والمِفْضَلَة . (٢) يروى : فقمتُ بها امشي . . . . . ويروى على إثرنا أذيالَ . . . . . المِرط : إزار خز له عَلَمٌ ويكون من صوف . مرحل : فيه صور الرحال . (٣) أجزنا : قطعنا ؛ وانتحى : اعترض ؛ والخبت بطن من الأرض غامض . ويروى حقف ، والحقف : مااعوجّ من الرمل وانثنى ؛ والقفاف : ج . قُف : وهو ماانقطع من الرمل ؛ وعقنقل . متعقد داخل بعضه في بعض . (٤) هصر الغصن : اماله نحوه ؛ والفودان : جانبا الرأس ؛ وهضيم : لطيفة ؛ والكشح مابين الخاصرة إلى الضلع (واراد الكشحين) وريا المخلخل : ممتلئة موضع الخلخال ، اي الساق . ويروى :

إذا قلتُ هاتي نوّليني تمايلت

١١

مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ
ترائبُها مصقولةٌ كالسَّجنجلِ (١)
تَصُدُّ وتُبدي عن أسيلٍ وتَتَّقي
بناظرةٍ مِن وَحشِ وَجْرَةَ مُطفِلِ (٢)
وَجيدٍ كجيدِ الرِّيمِ ليس بفاحشٍ
إذا هِيَ نَصَّتْهُ ، ولا بِمُعَطَّلِ (٣)
وفَرْعٍ يُغَشِّي المَتْنَ أسوَدَ فاحِمٍ
أثيثٍ كقِنْوِ النَّخلةِ المُتَعَثْكِلِ (٤)
غَدائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلى
تَضِلُّ المَداري في مُثَنًّى ومُرْسَلِ (٥)
وكَشْحٍ لطيفٍ كالجَديلِ مُخَصَّرٍ
وَساقٍ كأُنبوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ (٦)

---

(١) مهفهفة : لطيفة الخصر ، أو خفيفة اللحم ؛ مفاضة : واسعة البطن ، أو طويلته مضطربة ترائبها : ألواح صدرها . السجنجل المرآة (٢) تصد : تُعرِضُ ؛ تبدي : تظهر ؛ أسيل : سهل ؛ وجرة : موضع بين مكة والبصرة . وأراد بوحشها : الظباء ؛ مطفل : ذات طفل . (٣) فاحش : قبيح ؛ نصته : رفعته ؛ المعطل : الخالي من الحلي . (٤) الفرع : الشعر التام ؛ يغشي : يغطي ؛ فاحم شديد السواد ؛ أثيث : كثير ؛ القنو : العذق ؛ المتعثكل : الداخل بعضه في بعض . وقيل المتدلي . (٥) غدائره مستشزرات : ذوائبه مرتفعات أو مفتولات ؛ إلى العلى ما فوقها ، تضل المداري : تغيب الأمشاط ، أو شيء كالشوكة تصلح به المرأة شعرها . (٦) الجديل : الزمام من سيور ؛ مخصر : معتدل ؛ السقي : النخل المسقي ؛ المذلل : الذي ذلل بالماء فتمنوه الرياح وتميله

ويُضْحي فتيتُ ٱلمِسكِ فوق فِراشِها

نَؤُومَ ٱلضُّحى لمْ تَنْتَطِقْ عن تَفَضُّلِ (١)

وتَعطُو بِرَخصٍ غيرِ شَثْنٍ كأنَّهُ

أساريعُ ظَبْيٍ أوْ مَساوِيكُ إسْحِلِ (٢)

تُضيءُ ٱلظلامَ بٱلعَشيّ كأنَّها

منارةُ مُمْسى راهبٍ مُتبتِّلِ (٣)

إلىٰ مثلِها يَرْنُو الحَليمُ صَبابةً

إذا ما ٱسْبَكَرَّتْ بينَ دِرْعٍ ومِجْوَلِ (٤)

كَبِكْرِ ٱلمُقاناةِ ٱلبياضُ بصُفْرَةٍ

غذاهَا نَميرُ الماءِ غيرِ المُحَلَّلِ (٥)

تَسلَّتْ عَمَاياتُ ٱلرِّجالِ عنِ ٱلهوىٰ

---

(١) لم تنتطق: لم تجعل نطاقها وسطها ؛ تفضل بقي في ثوب واحد للنوم أو العمل (وعن بمعنى بعد) . (٢) تعطو: تتناول ؛ رخص: غض ؛ شثن: غليظ ؛ أساريع ج . أسروع: دودة بيضاء لينة طويلة مستوية رأسها أحمر كأنه ظفر مخضب . وهو تشبيه جيد ، إلا أن الحضر لا تأنس بهذا التشبيه الجيد (العمدة ١ / ٢٠٤) ظبي: موضع . إسحل: شجر يستاك بغصونه . (٣) المتبتل: المنقطع عن الناس . (٤) يرنو: يديم النظر ؛ اسبكرت: امتدت أي هي بين المرأة والجارية الصغيرة . والدرع للمرأة والمجول ثوب للجارية . (٥) كبكر المقاناة: كبيضة النعام وهي البكر أو الدرة ؛ والمقاناة: التي قوني بياضها بصفرة ، أي خولط ، أي بياضها ليس بخالص . والمعنى: كبكر البيض الذي قوني هو البياض . والنمير من الماء الذي ينجع في شاربه ، وغير محلل: لم يحله أحد فيكدره . وروي: محلل أي إنه قليل ينقطع منربعاً .

وليس صِبايَ عنْ هواها بِمُنسَلِ [1]

أَلاَ رُبَّ خصمٍ فيكِ أَلْوى رَدَدْتُهُ

نَصيحٍ عَلَى تَعذالهِ غيرِ مُؤتَلِ [2]

وأحب عنيزة [3] ، فدخل عليها الخدر ، وأشفقتْ على بعيرها أن ينعقر . ثم ذكر لها أن النساء تشتهيه ، حتى الحبالى والمراضع :

ويومَ دخلتُ الخدر ، خدرَ عنيزةٍ

فقالت: لكَ الويلاتُ! إنكَ مرجلي [4]

تقولُ وقد مال الغبيط بنا معًا :

عقرتَ بعيري يا امرأ القيس ، فانزِلِ ! [5]

فقلتُ لها : سيري ، وأرخي زمامَهُ !

ولا تُبعِديني من جَناكِ المعلَّلِ [6]

فمثلِكِ حُبلى قد طَرَقتُ ومُرْضِعٍ

---

(١) العماية الجهل ، بمنسل : إما من انسلى مطاوع سلا ، أو سلّلت وخُفف للقافية ، أو من أنسل الوبر : أسقطه . (٢) ألوى : شديد الخصومة ، رددته : لم أقبل نصحه ؛ التعذال : العذل ؛ مؤتل : مقصر . (٣) في الجمهرة والزوزني : أن اسمها فاطمة ، وكذلك في التبريزي ورواه :

« ويوم دخلت الخدر ، يوم عنيزة ... » وعنيزة على هذه الرواية هضبة سوداء بالشجر ببطن فلج . والخدر : الهودج . (٤) أرجله : صيره راجلاً ، أي : محوجي إلى أن أمشي راجلة . (٥) الغبيط : الهودج أو قبة أو مركب من مراكب النساء . (٦) الجنى « هنا » : ما اجتني من القبل ؛ والمعلَّل الذي علل بالطيب ، أي طيب مرة بعد أخرى . ويروى : المعلِّل : الذي يعللني وأتشفى به .

فألهيتها عن ذي تمائم مُحوِلِ [1]

إذا ما بكى من خلفها انحرفت له

بشِقٍّ ، وتحتي شقها لم يُحوَّلِ [2]

ويوماً على ظهر الكثيب تعذّرت

عليَّ ، وآلتْ حلفةً لم تحلَّلِ [3]

وأحب سلمى ، فوقف على طللها البالي ، وحيّاه ، ودعا له بالنعيم ؛ ثم قال : إنه لا ينعم إلا سعيد مخلد قليل الهموم . وكيف ينعم من كان أحدث عهده ثلاثين شهراً ؟! ثم ذكر أنها تحسب نفسها أنها لا تزال في مكان ترى فيه الوحش والبيض ، وهو موضع التربع والتبدي ، أو أنها ترى نفسها حديثة ؛ ثم شبهها بالريم في قوله :[4]

---

(١) مثل : مجرورة برب مضمرة بعد الفاء . وقيل : بالفاء المبدلة من الواو ، المبدلة من رب ؛ وطرقه : أتاه ليلاً ؛ والتمائم : جمع تميمة : وهي التعويذة ؛ ومحول : أتى عليه حول ، أي ألهيتها عن ولدها . يريد أن الحبلى والمرضع ، على قلة رغبتهما في الرجال ، تميلان إليّ لجمالي ، حتى تلهى المرضع عن ولدها . ويروى « مُغيَل » : من أغيلت المرأة ولدها وأغيلته ، إذا سقته الغيل وهو لبن الحبلى . (٢) يروى : « انصرفت له ... » ويروى « لم يحلحل » أي لم يحرك . يريد أنه يقبلها وخدها تحته ، فإذا بكى ولدها أمالت طرفها إليه . وما قالوه من أن المراد أنها تنصرف الى ولدها بشق ويبقى تحته شق ، بعيد لا يتأتى . ولهذا لا يعدُّ متعهراً في هذا البيت . ويريد بالمثل : المثل بالجمال أو السن أو الدلال ، إذ لم يثبت أنها كانت حبلى ومرضعاً حين خاطبها بذلك . (٣) تعذرت : تصعبت ؛ لم تحلل : لم تستثن .

(٤) ذكر بعض الرواة أن امرأ القيس قال هذه القصيدة في طريق الشام ، عند مسيره إلى قيصر بعد قتل أبيه . وأكثرهم (كابن قتيبة وصاحب الخزانة) يقول :-

أَلاَ عِمْ صباحاً أيهـا الطَّلل البالي
وهل يَعِمَنْ من كان في العُصُرِ الخالي (1)

وهل يَنعمَنْ إلا سعيد مخلَّدٌ
قليل الهموم ، ما يبيت بأوجالِ (2)

وهل ينعمن من كان أحدث عهده
ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال (3) ؟

ديار لسلمى عافياتٌ بذي خال
ألحَّ عليهـا كلُّ أسحم هطَّال (4)

وتحسب سلمى لا تزال ترى طلاً
من الوحش أو بيضاً بميثاء مِحلال (5)

ـ إن حجراً بلغه ما فعله امرؤ القيس يوم الغدير بدارة جلجل . فدعا مولى يقال له «ربيعة» فقـال له اقتل امرأ القيس وائتني بعينيه ، فذبح جؤذراً ، فأتاه بعينيه . فندم حجر على ذلك . فقال أبيت اللعن! إني لم أقتله ! قال فأتني به . فانطلق . فاذا هو قد قال شعراً في رأس جبل :

فلا تسلمنّي يا ربيعُ لهذه   وكنت أراني قبلها بك واثقا .

فرده الى أبيه . فنهاه عن قول الشعر . ثم إنه قال: ألا عِمْ صباحاً . . . فبلغ ذلك أباه ، فطرده . (1) وعِم كوزن بمعنى نعم (2) الخِلَدَة جماعة الحلي ، والقرط . جارية مخلَّدة : مقرطة . وقيل الخُلد : السوار . يريد الصبي المسور أو المقرط ، أو من خلَّده أبقاه . فالمعنى: السعيد المبقى وهو غير موجود . الأوجال: ج وجل: الخوف . (3) «في» بمعنى «من» أو «مع» (4) ذي خال : موضع أو جبل . أسحم: أسود. هطال: كثير السيلان . (5) الطلا : ولد الظبية . الميثاء : الارض السهلة . مِحلال موضع يكثر فيه الحلول .

وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا
بوادي الخزامى أو على رَسِّ أوعال (١)

لياليَ سلمى إذ تريك مُنَصَّباً
وجيداً كجيد الريم ليس بِمِعْطال (٢)

وزعمت « بسباسة » (وهي امرأة من أسد) أنه لا يحسن اللهو لكبره ، فكذبها بقوله :

ألاَ زعمتْ بسباسة اليوم أنني
كبرتُ ، وأن لا يحسن اللهو أمثالي (٣)

كذبتِ ! لقد أُصبي على المرءِ عِرْسَهُ
وأمنع عِرسي أن يزنَّ بها الخالي (٤)

وبيّن أنه لجماله يصبي عرس غيره ، ويمنع عرسه أن يصيبها غيره .

ثم عاد إلى وصف سلمى فقال :

ويا رُبَّ يومٍ ، قد لهوتُ ، وليلةٍ بآنسةٍ كأنها خط تمثال (٥)
يُضيءُ الفراشَ وجهها لضجيعها كمصباح زيتٍ في قناديل ذُبَّالِ (٦)

كأنَّ على لَبَّاتها جمر مصطلٍ
أصاب غضىً جزْلاً ، وكُفَّ بأجزال (٧)

---

(١) رسّ بئر . أوعال اسم هضبة (٢) منصباً ثغراً منسقاً . المعطال الخالي من الحلي . (٣) اللهو السر النكاح (٤) أصبي أردها إلى الصبا لجمالي . يزن يتهم . الخالي العزَب (٥) الآنسة المرأة يؤنس حديثها . الخط النقش . (٦) لضجيعها مضاجعها . الذُبّالة الفتيلة كالذَبالة (٧) اللبات ج . لبة وسط الصدر والمنحر . جعلوا كل جزء منها لبة ، ثم جمعوا على لبات . الجزل الحطب اليابس أو ما عظم منه . و كف بأجزال أي جعل له كفاف ـ

وهبَّتْ لهُ ريحٌ بمختلف الصُّوى

صباً وشمال في منازل قُفَّالِ [1]

إذا ما الضجيع ابتزّها من ثيابها

تميل عليه هُونة غير مِجْبال [2]

كحِقف النقا يمشي الوليدان فوقه

بما احتسبا من لين مس وتسهال [3]

لطيفة طي الكشح غير مُفاضة

إذا انفتلت مرتجة غير مِتفال [4]

تنورتها من أذرعات وأهلها

بيثرب أدنى دارها نظر عال [5]

نظرت إليها والنجوم كأنها

مصابيح رهبان تُشَبُّ لقُفَّال [6]

سموت إليها بعدما نام أهلها

سموَّ حَباب الماء حالاً على حال [7]

من أصول الشجر . شبه توقد الحلي على صدرها بجمر المصطلي لانه يذكيه فيتوقد

(١) الصوة: حجر يكون علامة في الطريق ؛ قفال: راجعين . (٢) ابتزها: سلب عنها ثيابها ؛ هونة: لينة ضعيفة ؛ مجبال: غليظة . (٣) الحقف: ما استدار من الرمل؛ احتسبا: اكتفيا . أي جسمها أو عجيزتها لينة صلبة، كالحقف يمشي الوليدان ولم تسخ أرجلهما فيه . (٤) الكشح: الخصر؛ مرتجة بتدحرج لحمها . متفال: منتنة الريح (٥) تنورتها: نظرت نارها . قيل: تخيل وليس رؤية بالعين ؛ عال: مرتفع . أي كيف أراها وأدنى دارها نظر مرتفع ؟ (٦) قفال: راجعين . (٧) سموت: علوت ونهضت ؛ حباب الماء فقاقيعه . أي خفيف الوطء والحركة أو طرائقه . —

فقالت سباكَ اللهُ ! إنك فاضحي
ألستَ ترى السُّمَّارَ والناسَ أحوالي ؟ (١)

فقلت : يمينُ اللهِ ! أبرح قاعداً
ولو قطعوا رأسي لديكِ وأوْصالي ! (٢)

حلفتُ لها باللهِ حِلْفةَ فاجرٍ :
لناموا ، فما إن من حديثٍ ولا صالِ ! (٣)

فلما تنازعنا الحديثَ وأسمحت
هَصرتُ بغصنٍ ذي شماريخَ ميّالِ (٤)

وصِرنا إلى الحسنى ورقَّ كلامُنا
ورُضتُ فذلَّت صَعْبةً أيَّ إذلالِ ! (٥)

فلما انتهى معها إلى هذا الحد ، وشغفها حباً ، وكاد قلب بعلها يتميز من الغيظ والحنق . ولكن امرأ القيس لم يعبأ به ، لأن معه سلاحاً وذاك أعزل :

---

(١) حالاً على حال : شيئاً بعد شيء ؛ أي : أندفع كما يندفع الماء شيئاً بعد شيء . سباك الله : جعلك سبياً ، أو أبعدك غريباً ؛ أحوالي : ج . حول . (٢) يمين الله : (بالرفع) مبتدأ خبره محذوف ، أي : عليّ ؛ وأبرح على حذف «لا» أي : لا أبرح ؛ الاوصال : ج . وصل : كل عظم يفصل من آخر (٣) فاجر : كاذب ؛ لناموا : لقد ناموا ؛ صال : بصطلي النار (٤) تنازعنا : تعاصينا ؛ أسمحت : لانت وانقادت وسهلت ؛ هصرت : جذبت وثنيت ، والباء زائدة ؛ شماريخ . غصون رقاق ضربها مثلاً للشعر . شبهها بالنخلة وشعرها بالسعف ؛ ميال . ناعم (٥) ذلت . ضد صعبت

فأصبحت معشوقاً وأصبح بعلها ... عليه القتام سيء الظن والبال (١)
بغُطّ غطيط البكر شد خناقه ... ليقتلني والمرء ليس بقتال (٢)
أيقتلني والمشرفي مضاجعي ... ومسنونة زرق كأنياب أغوال (٣)
وليس بذي رمح فيطعنني به ... وليس بذي سيف ، وليس بنبّال (٤)
أيقتلني أني شغفت فؤادها ، ... كما شغف المهنوءة الرجل الطالي (٥)
وقد علمت سلمى وإن كان بعلها ... بأن الفتى يهذي وليس بفعال (٦)
وماذا عليه إن ذكرت أوانساً ... كغزلان رمل في محاريب أقوال (٧)

---

(١) القتام • الغبار • يروى: كاسف الظهر ، أي : سيء الخاطر ؛ البال : الحال • (٢) بغط : الغطيط صوت يردد في الصدر ، البكر: الفتي من الابل؛ الخناق ما يخنق به (٣) زرق : يقال زرق اصفائها ممددة ؛ الاغوال : الشياطين • أراد بها التهويل • (٤) النبال : صانع النبل ، والمراد : نابل له نبل • وفي السيوطي : الرامي بالنبل • (٥) شغفت : بلغ حبي شغاف قلبها ، أي حجابه • هكذا روي بالغين المعجمة • والاكثر يروونه « شعفت » بالعين المهملة • وفي أمالي القالي :

أيقتلني وقد شعفت فؤادها ... كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

وفي اللسان • « ليقتلني وقد شعفت • • • » والشعف إحراق القلب مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هُنِيء بالقطران يجد له لذة في حرقه • فامرؤ القيس يقول أحرقت فؤادها بحبي كما أحرق الطالي هذه المهنوءة • ففؤادها طائر من لذة الهناء لأن المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقه • وقال في اللسان • « الشعف ، الذعر ، والشعف : شعف الدابة حين تذعر • ثم نقلته العرب من الدواب إلى الناس • وأنشد هذا البيت :

« لنقتلني وقد شعفت فؤادها • • • »

فالشعف الاول من الحب والثاني من الذعر؛ المهنوءة : المطلية بالهناء: القطران (٦) يهذي: يتكلم بكلام غير معقول (٧) المحراب : الغرفة ؛ أقوال : أقيال ، دون الملوك

وبيت عذارى يوم دَجْن ولجته | يَطُفْنَ بجُبَّاء المرافق مكسال[1]
سباط البنان والعرانين والقنا | لطاف الخصور في تمام وإكمال[2]
نواعم يُتْبِعْنَ الهوى سبل الردى | يقلن لأهل الحلم: ضُلٌّ بتَضلال[3]
صرفت الهوى عنهن من خشية الردى | ولست بمَقْلي الخلال ولا قال[4]

وبعد أن سما إليها بعدما نام أهلها، وصار معها إلى الحسنى، وشغف قلبها لم يثبت على مودتها. فقد قال:

غلقن بِرَهنٍ من حبيب به ادعت | سُليمى، فأمسى حبلها قد تبترا[5]
وكان لها في سالف الدهر خُلةٌ | يسارق بالطرف الخِباء المسترا[6]

وكان امرؤ القيس، على جمال صورته، مُفَرَّكاً، تبغضه النساء، ولا يحظى عندهن. فلما هرب من المنذر بن ماء السماء، صار إلى جبلي طيء، فأجاروه، فتزوج امرأة منهم يقال لها أم جندب. فلما بات عندها قامت في بعض الليل فقالت: أصبحت يا خير الفتيان! قم. فلم يقم. فكررت عليه فقام. فإذا الليل باق عليه أكثره. فقال لها: ما حملك على ما فعلتِ؟ فسكتت. فألح عليها وقال: لتخبريني؟ قالت: كرهتك!

---

(١) الدجن: الغيم؛ الجباء: الغائبة عظم المرافق من كثرة لحمها؛ مكسال: ليست بوثابة في قيامها (٢) سباط: طوال؛ العرانين: الأنوف؛ القنا: القامات؛ إكمال: تمام ارداف واكمال صدور (٣) ضل: اذا هوين شيئاً تبعنه وان يردين فيه ويدعين علىَّ اهل الحلم بالضلال. ويقال بالباطل: ضل بتضلال (٤) الردى: الفضيحة والهلاك؛ الخلال: المخالة والمسابطة؛ قال: باغض. (٥) غلقن: غلق الرهن لم يوجد له فكاك؛ تبترا: تقطع. (٦) خله: خليل؛ يسارق: يختلس؛ المسترا: كثير الاستتار

قال : ولِمَ ؟ قالت : لأنك ثقيل الصدر ، خفيف العجز ، سريع الإراقة ، بطيءُ الإفاقة [1] . فعرف من نفسه صدق قولها ، فسكت عنها . فلما أصبح أتاه علقمة بن عبدة (من زيد مناة بن تميم من نزار) وهو في خيمته ، وخلفه أم جندب . فتذاكرا الشعر ، وادعاه كل واحد منهما على صاحبه ، فقال علقمة : قل شعراً تمدح به فرسك والصيد ، وأقول في مثل ذلك ، وهذه الحكم بيني وبينك . فقال امرؤُ القيس :

خليليَّ ! مُرَّا بي على أم جندب ... لنقضي لبانات الفؤاد المُعذَّبِ [2]
فإنكما إن تنظراني ساعة ... من الدهر ، تنفعني لدى أم جندبِ [3]
ألم ترياني كلما جئت طارقاً ... وجدت بها طيبا وإن لم تَطيَّبِ ؟ [4]

---

(1) وسأل اخرى : ما يكره النساء مني ؟ فقالت : يكره منك أنك إذا عرقت فحت بريح كلب . فقال انت صدقتني . إن اهلي أرضعوني لبن كلب ! ولم يصبر عليه الا امرأته من كندة ، وكان أكثر ولده منها (2) اللبانة : الحاجة ؛ ويروى : لنقضي حاجات (3) تنظراني : تنتظراني . ويروى : تنتظراني : تؤخراني (4) طارقاً : الطروق : الاتيان ليلاً . لقيت امرأة مدينية يقال لها « تطام » صاحبة عبد الرحمن ابن ملجم بن ملجم المرادي كثير ، فأنشدها قوله في عزة بعض حوار طويل بينهما :

فما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يَمُجُّ الندى جثجاثها وعَرارها [1]
بأطيب من أردان عزة موهِناً ... وقد أوقدت بالمَندَل الرَّطبِ نارها [2]

فقالت : بالله ما رأيت شاعراً قط أنقص عقلاً ولا أضعف وصفاً منك ، فضَّ الله فاك ! أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بالمندل الرطب كما كانت تطيب ؟ ألا قلت كما قال امرؤ القيس :

ألم ترياني كلما جئتُ طارقاً ... وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيَّبِ

فقال « الحق والله خير ما قيل . هو والله أنعت لصاحبته مني . » وقيل إنه خرج وهو يقول :

—

عقيلة أتراب لها لا دميمة ولا ذات خلق إن تأملت جأنب [1]
ألا ليت شعري كيف حادث وصلها وكيف تراعي وصلة المتغيب ؟ [2]
أقامت على ما بيننا من مودة أميمة أم صارت لقول المخبب ؟ [3]
فإن تنأ عنها حقبة لا تلاقها فإنك مما أحدثت بالمجرب [4]
وقالت : متى يبخل عليك ويعتلل يسؤك وإن يكشف غرامك تدرب [5]

ثم وصف فرسه والصيد، وكان من قوله :

فللساق ألهوب، وللسوط درة، وللزجر منه وقع أهوج منعب [6]

فلما فرغ من قوله، قال علقمة قصيدة مطلعها :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

وكان من قوله في وصف الفرس :

ـ الحق أبلج لا يخيل سبيله والحق يعرفه ذوو الألباب [3]

(١) عقيلة : كريمة ؛ أتراب : ج . ترب وهو اللدة ، وهو من يولد مع الشخص في زمن واحد ؛ دميمة قصيرة ، ويروى ذميمة ؛ الجأنب : القصير ، والجانب المجتنب المحقور (٢) حادث : حديث جديد ؛ المتغيب : الذي تغيب عنها (٣) المخبب : المفسد والتخبيب : إفساد الرجل عبداً أو أمة لغيره ؛ وخبب على فلان صديقه : أفسده عليه (٤) حقبة : مدة من الدهر ؛ على المجرب : أي التجربة . أي بحيث جربت . وقيل : بالمجرب فالمعنى بالمجرب والباء بمعنى الكاف وقيل زائدة في خبر « إن » (٥) يعتلل : يعتذر ؛ الدربة : العادة . درب بالشيء يدرب : اعتاده . ومعنى أن يكشف غرامك إن أعطيت ما تريد . تعودت وان منعت ساءك والغرام الحب والعشق والعذاب اللازم (٦) ألهوب : شدة جري ؛ درة : رفعة ، أدمن : در اللبن ؛ أهوج : أحمق ؛ منعب : يستعين بنعبه ، أو أحمق مصون . ويروى « وقع أخرج »

---

(١) الجثجاث : ريحانة برية طيبة الريح ؛ العرار البهار البري وهو النرجس البري (٢) المندل العود (٣) لا يخيل لا يشتبه .

فأقبل يهوي ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب [1]

فتحاكما إليها، فقالت: علقمة أشعر منك ؟ لأنك ضربت فرسك بسوطك وامتريته بساقك، وزجرته بصوتك. وأدرك فرس علقمة الصيد ثانياً من عنانه.

فغضب امرؤ القيس، وقال: ليس كما قلت، ولكنك هويته. فطلقها وتزوجها علقمة. وبهذا سمي «علقمة الفحل».

وأحب ابنة «عفزر» [2] و «أم هاشم» و «بسباسة ابنة يشكر» وقد كان لا يرى شيئا يشفي من الأولى، ودعا على نفسه بالويل إن لم تكن الثانيتان قريبتين منه.

أشيم بروق المزن أين مصابه ولا شيء يشفي منك يا ابنة عفزرا [3]
من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا [4]
له الويل إن أمسى ولا أم هاشم قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا

وعلق بهند والرباب وفرتنى، ووقف على أطلالها فشجته، وذكر فيها ليالي كان يدعوه الهوى فيجيبه، وما كان يدفع به كروبه. فقال:

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط الزبور في العسيب اليماني [5]
ديار لهند والرباب وفرتنى ليالينا بالنعف من بدلان [6]

---

(١) الثور الوحشي إذا مطر. والرائح: السحاب: تحلب: سال وقطر.
(٢) «عفزر» رجل من أهل الحيرة له ابنة مغنية مشهورة وهي هذه التي شبب بها امرؤ القيس (٣) شام البرق: نظر اليه أين يقصد وأين يمطر؟ مصابة: مكان صوبه أي الضبابة (٤) الاتب: قميص غير مخيط الجانبين (٥) العسيب: سعف النخل كانوا يكتبون فيه صكوكهم وعهودهم (٦) النعف: المرتفع؟ بدلان: جبل

ليالي يدعوني الهوى فأُجيبه وأعين من أهوى إليّ روان[1]
وإن أمس مكروباً فيا رب بُهمة كشفت إذا ما اسودّ وجه الجبان[2]
وإن أمس مكروباً فيا رب قينة منعمة أعملتها بكران[3]
لها مزهر يعلو الخميس بصوته أجش إذا ما حركته اليدان[4]

وأحب امرأة من نبهان (ونبهان من طيء) حين كان نازلاً فيهم . فبكى لذكرها ، وجمع جميع أوصاف الدمع من كثرة وقلة ، يشير إلى أنه كان في أوقات مختلفة ، فقال :

أمن ذكر نبهانية حلّ أهلها
بجزع الملا عيناك تبتدران[5]
فدمعهما سحٌّ ، وسكبٌ ، وديمة
ورشٌّ ، وتوكافٌ ، وتنهملان
كأنهما مزادتا متعجلٍ
فريّانِ لمّا يُسلفا بدهان[6]

وأحب امرأة تدعى «ماوية» ، وكان في شك من حبها إياه . فقال لها :

أماويّ! هل لي عندكم من معرّس أم الصرم تختارين بالوصل نيأس[7]

(١) روان: مديمات النظر (٢) بُهمة: الامر المصمت لا يدرى كيف يحتال له والشجاع كذلك (٣) الكران: العود (٤) المزهر: العود ؛ أجش: فيه بحة . (٥) بجزع: منعطف الوادي ؛ الملا : ما استوى من الارض ؛ تبتدران : تستبقان (٦) مزادتا : قربتا ؛ فريان : مضربتان فرغ من عملهما ؛ يسلفا : يلطخا ويدهنا ؛ بدهان : شبه ما يحظر من عينه بما يخرج من مزادتين جديدتين لم تسند ثقوب خرزهما . (٧) معرس: منزل في الليل.

أَبِيني لنا إنَّ الصَّرِيمة راحة

من الشك ذي المخلوجة المتَلَبِّسِ (١)

ولقد وقف على ديارها، فاستعجمت عن جوابه، فتحسر لذلك، وقال:

يادار ماوية بالحـائل فالسُّهْب، فالخَبْتَيْنِ من عاقل (٢)
صمّ صداها، وعفا رسمهـا واستعجمت عن منطق السائل (٣)

وأحب «لميس» فيمن أحب، وغشي ديارهـا، فكان من أسفه على سكانها كالسكران من خمرة عانة، وبكى عليها تأسياً بابن حزام، قـال:

لمن الديار غشيتها بسحام فعمايتين فهَضْب ذي أقدام (٤)
فصفا الأُطيطِ فصاحتين فغَاضر تمشي النعاج بهـا مع الآرام
دار لهند والرباب وفرتنى ولميس قبل حوادث الأيام (٥)
عوجا على الطَلَل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن حذام (٦)
ومـا ترى أظعانهن بوا كراً كالنخل من شوكان حين صرام (٧)

ـللمسافر؛ الصرم: القطع؛ نيأس: مجزوم بجواب الاستفهام(١) الصريمة: القطيعة؛ ذي المخلوجة: الامر يتخالج فيه ولا يجتمع فيه على شيء (٢) عاقل: موضع بطريق مكة. (٣) صمّ صداها: هلكت. (٤) غشيتها: قصدتها؛ ذي اقدام؛ جبل.
(٥) أي قبل ان تغيرها الايام وقبل ان يتصرف اهلها فتصيبهم حوادث الايام
(٦) المحيل الذي أتى عليه حول. لأننا: لعلنا؛ ابن حذام يروى حزام حمام (٧) شوكان موضع، صرام، قطاف. شبه الهوادج بما عليها من الوشي بنخل شوكان حين صرامه.

حُورٌ تعلل بالعبير جلودها … بيض الوجوه نواعم الأجسام [1]
فظللت في دِمَن الديار كأنني … نشوان باكره صبوح مدام
أُنُفٌ كلون دم الغزال معتق … من خمر عانة أو كروم شِبام [2]
وكأن شاربها أصاب لسانه … مومٌ يخالط جسمه بسقام [3]

∴

الخلاصة

إذا أنعمنا النظر فيما قاله امرؤ القيس وفيما قيل فيه ، يتضح لنا أمور كثيرة منها :

١ — أن امرأ القيس كان شغفاً بالنساء ، وكان طِلْب نساء ، وتبع نساء ، وزير نساء ، وحِدث نساء .

٢ — أنه كان غير صادق في محبته ؛ ولذلك لم يقتصر على خُلة واحدة ولم تدم محبته لواحدة ؛ وإنما كان حبه متصلاً بلذته وشهوته فكان لا يصبر على طعام واحد ، بل يتنقل من حب واحدة إلى أخرى ، كالنحلة تلم بالزهرة حتى إذا قضت وطرها منها انتقلت إلى غيرها . وأن الذكريات كانت تهيجه وتثير كوامن نفسه فيشبب بجماعة من حبيباته تارة ، وبواحدة منهن أخرى . وعلى بعده من الحب الصادق يتراءى في خلال أبياته كلمات

---

(١) تعلل : تطيب مرة بعد اخرى . وفي نسخة : تغللن العبير تطيبن (٢) أنف : يقال : كأس انف اي لم يشرب ، قيل وشبهه بدم الغزال لأنه اشد الدماء حمرة ؛ عانة قرية على الفرات ينسب اليها الخمر ؛ شِبام : موضع بالشام وجبل باليمن وبلد لحمير وبلد في حضرموت (٣) موم : برسام ، علة يهذى فيها .

توهم أنه صادق الحب ، وأن بين جنبيه نفساً تتقد فيها جذوة الصبابة واللوعة وتفيض بعواطف الحب الخالص . وهذا أثر من آثار قدرته على التصرف بفنون القول حتى يجعل الباطل في صورة الحق .

٠٣ — أن امرأ القيس استطاع أن يأتي في باب الغزل ما لا يستطيع غيره أن يأتي به : من رقة الألفاظ ، ورشاقة الأسلوب ، وجمال الديباجة وشرف المعنى ، وسعة الخيال ، ودقة التشبيه ، وروعة الكناية ، وما شاكل ذلك من المحسنات .

٠٤ — أنه سلك في الغزل أسلوباً قصصياً فتح به هذا الباب ، ومهد به السبيل لكل من سلكه من بعده ، كعمر بن أبي ربيعة .

فهو يقول في معلقته إنه دخل الخدر على عنيزة ، ودعت عليه بالويلات وقالت له انزل عقرت بعيري ، فلم يصغ إلى قولها ، وقال لها : سيري ! وأرخي زمامه ، وبيّن لها أنه طرق أمثالها من الحسان ما بين حبلى ومرضع ، ثم ذكر ما دار بينه وبينها من الحوار اللطيف ، ثم أفاض في بيان رحلته إليها : فذكر أنه تجاوز إليها معشراً يحرصون على قتله ، فأتاها وقد نضت ثيابها للنوم ، فأنكرت ذلك عليه . ثم خرج بها ، وكانت تعفي آثار أقدامها بذيلها ، حتى انتهيا إلى مكان منخفض ، فهصر بفودي رأسها ، ونال من جناها المعلل ، ثم أخذ يصف أعضاءها وصف ماهر لبق .

ومن تأمل هذه الأبيات تمثل أمام عينيه امرؤ القيس وفاطمة أو عنيزة ، وخيل إليه أنه يسمع ما كانا يقولان ، ويرى ما كانا يفعلان . وفي المعلقة أيضاً نمط آخر من هذا القبيل قص فيه علينا ما وقع له يوم

عقر الناقة ، فذكر أنه عقر ناقته ليطعم المذارى ، فلما شبعن جعلن يرتمين باللحم والشحم .

وفيها مثال آخر أتى عليه بعد أن وصف الجواد بما وصفه به ، فذكر أن سرباً من بقر الوحش عرضن له فأرتعن ، فأدبرن فراراً منه ، فألحقه الجواد بالسابقات منها ، وترك المتأخرات في صرة ؛ وأن الجواد عادى بين ثور ونعجة ، ولم يتعب . ثم ذكر أن الطهاة نوّعوا الطعام من لحم الصيد ما بين شواء وقدير .

وفي قصيدته البائية نمط لا يقل في البراعة والجودة عما في المعلقة ، إذا لم يزد عليه فيها . وذلك أنه وصف الجواد وصفاً بديعاً ، ثم ذكر أن شدة جريه أخرج الفأر من أنفاقهن ، وأنه عادى بين ثور ونعجة ، وكان لثيران الرمل غماغم [1] ، وكان يطعنها بالرمح ، فهي بين ساقط على جبينه ومتق بقرنه . فقال لفتيانه : انزلوا ، فنزلوا ، ونصبوا ثوباً كالخيمة . فكانت أعمدته من الرماح ، وأوتاده من الدروع ، وأطنابه حبال النوق وأعلاه ثوب أبيض . فدخلوه وسندوا ظهورهم إلى رحال أو سيوف حيرية . فلما أكلوا مشّوا ايديهم بأعراف الجياد ، وطرحوا عيون الوحش الشبيهة بالجزع حول الأخبية ، ثم راحوا يحملون الصيد في اعدالهم وحقائبهم .

وفي قصيدته الرائية يقص علينا أنه خرج إلى الصيد ومعه القانصان : الرجل والفرس ، وكان يتبعهم كلب ألوف نشيط ، فرأى ثوراً فتبعه حتى

(١) أصوات تتردد في حلوقها

أدركه، وأنشب أظفاره في نساه، فكرّ إليه الثور بقرنه فأدخله فيه، فجعل يستدير ويرنح كأنه حمار أصابته النعرة في أنفه.

ولعل أروع شيء له في هذا الباب ما في قصيدته اللامية:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي!

فهو يقول فيها: إنه سما إليها بعدما نام أهلها، فدعت عليه، وأنكرت عمله لأن السمار حولها، فأقسم أن لا يبرح قاعداً عندها ولو قطعوا رأسه وأوصاله، ثم أقسم أن الحي ناموا، ثم تنازعا الحديث، فلانت وانقادت له بعد تمردها وعصيانها، ثم هصر بفوديها وصارا إلى الحسنى ورق كلامهما.

فأصبح محبوباً لديها قد شعف فؤادها وأصبح بعلها مُهمي الظن، كاسف البال، يغط غطيط البكر المشدود خناقه، لغيظه وحنقه، ويود أن يقتله. ولكنه لم يستطع ذلك لأنه كان أعزل ليس بذي رمح، ولا سيف ولا نبال، وكان مع امرئ القيس سيف مشرفي ونصال محددة.

ثم ذكر في هذه القصيدة أنه ولج في يوم غيم بيت عذارى فرآهن يطفن بفتاة كثيرة اللحم كسول.

ثم انتقل إلى وصف الجواد، وذكر أنه ذعر به سرباً أبيض الجلود موشى الأكارع. فاتقى ذلك السرب بثور مسن، فاصطاد الجواد ثوراً ونعجة في طلق واحد. وكان لسرعة لحاقه الصيد كالعقاب التي تصطاد ذكور الأرانب، وتختفي الثعالب خوفاً منها. حتى كثر الصيد لديها وكانت قلوب الطير حول وكرها كالعناب والحشف.

ويتضح أيضاً أن امرأ القيس كان مع ولعه بالنساء ، مولعاً باللهو والقيان ، وأنه كان مفركاً . ومع ذلك يحب أن تحبه النساء ، ويكون له حظوة عندهن ويتمدح بذلك فيقول :

ويا رب يوم قد أروح مُرَجَّلاً
حبيباً إلى البيض الكواعب أملسا[1]

يَرِعنَ إلى صوتي إذا ما سمعنه
كما ترعوي عيط إلى صوت أعيسا[2]

ويقول في الأبيات المتقدمة:

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ... ولست بمَقليّ الخلال ولا قال

* * *

ليالي يدعوني الهوى فأجيبه ... وأعين من أهوى إليّ روان

وكان يرى لذة الحياة في الخمر والنساء فيحض على التمتع بهما إذ يقول :

تمتع من الدنيا فإنك فان ... من النشوات والنساء الحسان

من البيض كالآرام والأدم كالدمى ... حواصنها والمُبرِقات روان[3]

---

(١) مرجلاً : رجل شعره سرحه ؛ الكواعب : ج . كاعب وهي التي نهد ثديها وتكعب . املسا : الملاسة ضد الخشونة (٢) عيط : ج . عيطاء : ناقة لا تحمل ؛ أعيسا: جمل ابيض إلى الحمرة (٣) الحاصن : العفيفة ؛ المبرقات اللاتي يبرقن حليهن أي يبرزنه للرجال ؛ روان: مديمات النظر .

نظرة في المرأة

و كان امرؤ القيس ، علَى شدة حبه للمرأة وعلو منزلتها من نفسه ، لا يراها أهلاً للوفاء والحب الصادق للرجل ؛ وإنما تحبه مادام شاباً كثير المال ، لأن في ذلك بلوغ أُمنيتها وقضاء لذتها . فإذا فقد الرجل ذلك فليس له نصيب من محبتها . وهذا معنى قوله :

أراهن لا يحببن من قلَّ ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوَّسا

ولعل علقمة أخذ هذا البيت وطبع على غراره في قوله :

إذا شاب رأس المرء أو قلَّ ماله فليس له من ودهن نصيب

ولاعتقاده هذا في المرأة أنكر على بسباسة ادعاءها أنه كبر ، وأنه لا يحسن اللهو حيث يقول :

لقد زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي

كذبت ! لقد أصبي على المرء عرسه وأمنع عرسي أن يُزنَّ بها الخالي

ولعلَّ امرأ القيس حكم علَى المرأة بما يكنه صدره : فإنه لا يحب المرأة إلا لحاجة في نفسه ؛ ولذلك كان لا يصدق في حبه ، ولا يرعى للخليل حق الخلة — كما أسلفنا — فانظر إلى قوله :

« وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي ! »

وقوله : « فسلِّي ثيابي من ثيابك تنسل »

وقوله : وخليل قد أفارقه ثم لا أبكي على أثره

وقوله :

أأسماء أمسى ودها قد تغيرا   سنبدل إن أبدلت بالود آخرا

ونحو ذلك . . . تتمثل لك نفس تحمل بين جوانحها قلباً لا يعرف للحب معنىً إلاّ التمتع باللذة ، ولا تشعر بحسن الوفاء للخلة والمودة .

الخمر

وأما الخمرة فهو يراها المثل الأعلى في اللذة ، فيشبه بها ريق المحبوبة ، ويبالغ في وصفها ، ويمعن في شربها حتى يفقد عقله ، ويرى الغر والجون أشقر إذ يقول :

كأن المدام ، وصوب الغمام ،   وريح الخزامى ونشر القُطُرْ

يُعل بها برد أنيابها   إذا طرّب الطائر المستحِرْ

وقد وصفها ووصف أثرها في الشارب في أبيات تقدمت .

أنف كلون دم الغزال معتق

من خمر عانة او كروم شبام الخ . . .

* * *

إذا ذقت فاها قلت : طعام مدامة

معتقة مما تجيء به التجر

ويقول:

ونشرب حتى نحسب الخيل حولنا   نِقاداً وحتى نحسب الجَوْن أشقرا

ويعدُّ شربها مأثرة فيضمها إلى مفاخره ، إذ يقول :

كأني لم اركب جواداً للذة
ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبإ الزق الروي ولم أقل
لخيليَ: كرّي كرّة بعد إجفال!

***

فكل ما يتمدح به امرؤ القيس: ركوب الخيل، وشرب الخمر، وقربان النساء؛ حتى إنه ليعد غشيان منازلهن ودخول الخدور عليهن مفخرة ليس وراءها غاية: فقد دخل الخدر على عنيزة، وولج على عذارى بيتهن في يوم دَجْن...

وأما ركوب الخيل للحرب والصيد، فإنما استفاده من كثرة الأسفار والحروب وإدمان ركوب الخيل والإبل، وقطع الفلوات.

الوصف

ومن الأغراض التي نظم فيها الشعر **الوصف**: فإنه شغل جزءاً عظيماً من شعره، وبرع في ضروب منه براعة بذّ فيها كل من تقدمه، وأبر على من تأخر عنه. وصف الخيل والإبل، والدروع، والفلوات، والجبال والوحش، والاودية، والبرق، والسحاب، والمطر، والليل.

وأظهر موطن تتجلى فيه براعته وصف الخيل، حتى قيل: «أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب.» وفي شعره طائفة تدل على تفوقه في هذا الباب، منها قوله يصف ذهابه الى الصيد والكلب والصيد والناقة

ن قصيدة مطلعها :

أحارِ بن عمرو كأني خَمِر ... ويعدو على المرء ما يأتمر [1]

ذكر فيها أنه لا يفر ، وأن تميم بن مُر و كندة حوله إذا ركبوا
رقت الأرض واليوم قر [2]. ثم ذكر أن (هر) أصابت فؤاده بسهم ،
شبب بها ونعتها ، ثم دنا منها فتسداها ، ثم قال :

وقد أغتدي ومعي القانصان ... وكلٌّ بِمَرْبَأَة مُقْتَفِر [3]

فيدركنا فَغِمٌ داجنٌ ... سميعٌ بصيرٌ طلوبٌ نَكِر [4]

ألصّ الضرُوس ، حَبي الضلوع ... تبوعٌ طلوبٌ نشيطٌ أشِر [5]

فأنشبَ أظفاره في النَّسا ... فقلتُ هَبِلتَ ألا تنتصر [6]

فكرّ إليه بمبراته ... كما خلّ ظهر اللسان المُجِر [7]

فظل يُرنِّح في غَيْطَل ... كما يستدير الحمار النَّعِر [8]

(١) خمر : خامره داء أو وجع ؛ يعدو : يصيبه ؛ يأتمر : يهم به ويعزم عليه .
٢) قر : بارد . (٣) الصائدان : ارادبهما الرجل والفرس ؛ مربأة : مكان مرتفع ؛
قتفر : متتبع آثار الوحش (٤) فغم : حريص ، يريد به كلباً . داجن : ألوف ؛
لوب : إذا طلب أدرك ؛ نكر : منكر عالم داه ، أو كريه الصورة (٥) ألص :
تصقت أسنانه بعضها الى بعض ؛ حَبي منتفخ ، ويروى : (حني الضلوع) أي
نيها . اشر : مرح . (٦) النسا : عرق في الفخذ يأخذ الى القوائم ؛ هبلت : ثكلت غيرك
و هُبلت : ثُكلت ، والخطاب للفارس ؛ تنتصر : تقصد الثور . ويجوز أن يراد
المخاطب الثور على جهة الهزء . (٧) بمبراته : بقرنه ؛ المجر : الخل أن يغرز في منخر
لفصيل خلال يخرج من ارنبته ، والإجرار أن يشق طرف لسانه . يقول : كر
لثور على الكلب بقرنه فخله كما خل ظهر اللسان المجر (٨) يرنح : يستدير ؛ غيطل :
شجر ملتف ؛ الحمار النعر : الذي اصابته في انفه النُعَرة ، وهي ذبابة خضراء تدخل انفه ـ

ثم انتقل إلى وصف الفرس فقال :

وأركب في الروع خيفانة ... كسا وجهها سعف منتشر (١)
لها حافر مثل قعب الوليد ... رُكِّب فيه وظيف عجر (٢)
لها ثُننٌ كخوافي العقاب ... سود يفئن إذا تزبئر (٣)
وساقان كعباهما أصمعا ... ن لحم حماتيهما منبتر (٤)
لها كفلٌ كصفاة المسيل ... أبرز عنها جُحافٌ مضر (٥)
لها ذنب مثل ذيل العروس ... تسد به فرجها من دُبُر (٦)
لها متنتان خظاتا كما ... أكبّ على ساعديه النمر (٧)

- فيزوي لذلك ويستدير . ويجوز أن تكون هذه الصفة في الكلب .

(١) الخيفانة : الجرادة انسلخت عن ثوبها الاصفر والاسود وصارت الى الحمرة ، والفرس الطويلة القوائم الضامرة والخفيفة . شبهها بالجرادة ؛ سعف : شبه ناصيتها بسعف النخلة ، وقد عيب عليه ذلك ؛ منتشر : متفرق (٢) قعب : قدح ، يصفه بالصغر ؛ وظيف : ما بين الرجل الى العرقوب ؛ عجر : صلب شديد او غليظ . (٣) ثنن ، ج ثُنَّة ، وهي شعر خلف الرسغ ؛ يفئن : يرجعن إلى مواضعهن . ويروى : « يفين » أي يكثرن ؛ تزبئر : تنتفش . (٤) كعباهما : عرقوباهما ؛ اصمعان : محددان أو صغيران ؛ حماتيهما : الحماة لحم الساق ؛ منبتر : بائن من الساق لصلابته . (٥) كفل : عجزٌ . ويروى : « لها عجز » ؛ الصفاة : الصخرة ؛ جحاف : سيل يذهب بكل شيء ويقشره ؛ مضر : دان . يقال : اضر السيل من الحائط اي دنا . أو مضر بمعنى ضار (٦) ذيل : طويل ؛ فرجها : ما بين قوائمها ؛ دبر : من خلف ، مؤخر . (٧) متنتان : المتنة : المتن . وقد عيب عليه وصف المتن بالغلظ ؛ خظاتا : خظا لحمه خظوًّا وخظي يخظى اكتنز . والخظاة المكتنزة من كل شيء . قيل أصله خظتا ، ولما حركت التاء رُدّت الالف . وقيل : خظاتان ، فحذفت النون للتخفيف . وقيل ان لغة طيء يقلبون الياء الفا فيقولون في (رضيتا) (رضاتا) ، فعلق ذلك امرؤ القيس منهم لمجاورته فيهم .

لها عُذَرٌ كقرون النساء ركبن في يوم ريح وَصر (١)
وسالفة كسَحوق اللُّبان أضرم فيها الغَوِيُّ السُّعُر (٢)
لهــا جبهة كسراة المجن م حَذَّقه الصانع المقتدر (٣)
لهــا مَنخَر كوِجار السباع فمنه تُربح إذا تنبهر (٤)
وعين لها حَدْرَةٌ بَــدْرَةٌ فشقت مآقيهما من أُخُر (٥)
إذا أقبلتْ قلتَ دُبَّاءَةٌ من الخُدر مغموسة في الغُدُر (٦)
وإن أدبرت قلت أُثْفِيَّة ململمة ليس فيهــا أُثُــر (٧)

ـ النمر: أي كساعدي النمر البارك ، أو كأن نمراً بار كافوق متنها (١) عذر: شعرات قدام القربوس ، وهو آخر العرف . والعذْرة الناصية والعرف ، جمعها عذر ؛ وصر: برد وشدته (٢) السالفة: صفحة العنق ، والمراد هنا العنق ؛ السحوق: الطويلة ؛ اللبان شجر الصنوبر . والاولى «اللبان» ج . لبنة ، وهي النخلة . وكذا رواه السيوطي ؛ السعر: ج . سعير شدة الوقود . أراد أنه أشقر أو أن حفيفها إذا جرت كحفيف النار (٣) السراة الظهر ؛ المجن الترس . يمدحها بسعة الجبهة ؛ حذقه: صنعه بحذق ومهر فيه (٤) الوجار الجحر ؛ تربح تستربح أو تتنفس ؛ تنبهر: يتتابع نفسها من الإعياء . وقيل بضيق نفسها (٥) حدرة واسعة أو مكتنزة ؛ بدرة: يبادر نظرها نظر الخيل ، أو تامة كالبدر ؛ الماق: طرف العين الذي يلي الانف . وقد أفرد العين وأعاد عليها ضمير المثنى ؛ من أخر: من خلف ، أي من آخرهما يريد انفتحت فكأنها انشقت من مؤخر العين (٦) دباءة قرعة . يريد أنها ملساء شبهها بالدباءة لان أولها رقيق وآخرها غليظ ؛ من الخدر في نسخة «من الخضر» ، مغموسة أي ريا مغموسة في غدير من النبت يكنها من الشمس ؛ والغدُر ، ج . غدير . والغَدَر ، ج . غدْرة ، وهي ما أغدرته أي تركت من شيء كالغدَر . (٧) أثفية: صخرة مدورة . والاثفية الحجر توضع عليه القدر ؛ ململمة: مجتمعة ؛ الاثر: أثر الجراح يبقى بعد البرء .

وإن أعرضت قلت سُرعوفة   لها ذنب خلفها مُسبَطِر [1]
وللسوط فيها مجال كما   تنزل ذو بَرَد مُنهمر [2]
لها وثبات كوثب الظباء   فواد خِطاء ووادٍ مطر [3]
وتعدو كعدو نُجاة الظبا   ء أخطأها الحاذف المقتدر [4]

وقال في معلقته يصف جواده :

وقد أغتَدِي والطيرُ في وَكُناتها
بِمُنجرِدٍ قَيْد الأوابد هَيكل [5]
مِكَرٍّ، مِفَرٍّ، مُقبلٍ، مُدبِرٍ معًا
كجلمود صخرٍ حَطّهُ السيل من علِ [6]
كُميت يزل اللِّبد عن حال متنه
كما زلَّتِ الصفواء بالمتنزَّلِ [7]

---

(١) السرعوفة: المرأة الناعمة الطويلة والجرادة ؛ مسبطر : ممتد . (٢) مجال أي لها عن السوط مجال ، جولانها كسرعة البرد المنصب (٣) الوثب القفز ؛ الخِطاء ج . خطوة ، كركاء وركوة ، أي تخطو مرة فتكف عن العدو وتعدو مرة عدواً يشبه المطر (٤) نجاة ج . ناج ، أي سريع ؛ الحاذف يقال حذفه بالعصا اي رماه بها (٥) أغتدي أذهب وقت الغداة ؛ الوكنات ج . وكنة (مثلثة) عش الطائر في جبل أو جدار . ويروى « وكراتها » ج . وُكرَ . ج . وَكر ؛ المنجرد الفرس القصير الشعر أو المتقدم الماضي غير الواني ؛ الاوابد الوحوش . وقيدها لأنه من سرعته يلحقها فكأنه قيد لها ؛ هيكل : ضخم (٦) مكر ، مفر : صالح للكر والفر كأنه آلة لهما ؛ الجلمود الصلب ؛ حطه حدره وأنزله ؛ من عل من فوق (٧) كميت : أحمر ضارب الى السواد ؛ يزل يزلق ؛ اللبد ما يوضع تحت السرج ؛ حال وسط . ويروى (حاذ) بمعنى (حال) وهما موضع اللبد ؛ المتن -

عَلَى العَقْبِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ
إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ[1]

مِسَحٍّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الوَنَى
أَثَرْنَ غُبَاراً بِالكَدِيدِ المُرَكَّلِ[2]

يُطِيرُ الغُلَامَ الخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ
وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيفِ المُثَقَّلِ[3]

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ
تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ[4]

ـالظهر ؛ الصفواء الصخرة الملساء لا ينبت فيها شيء ؛ المتنزل : الطائر الذي ينزل على الصخرة ، وقيل المتنزل السيل ، لانه ينزل الأشياء ، وقيل هو المطر (١) العقب جري بعد جري . ويروى «على الذبل» اي الضمور ، جياش يجيش في عدوه . يغلي كما تجيش القدر في غليانها ؛ اهتزامه صوته ؛ حميه غليه ، المرجل : القدر من الحجارة والنحاس . وقيل معناه اذا حركته بعقبك جاش وكفى ذلك من السوط (٢) مسح يصب الجري صبا ؛ السابحات الخيل تبسط أيديها في الجري كالسابح ؛ الونى الفتور ؛ اثرن هيجن ؛ الكديد الموضع الغليظ ؛ المركل : ما ركل بالأرجل ، اي كدّ وضرب . يريد ان هذا الفرس يصب الجري ، اي يسرع لنشاطه حين تتعب الخيل وتركل الأرض بأيديها من التعب والفتور . ويروى «بالكديد السَمَوّل» وهي الأرض السهلة التراب . وفي التبريزي الأرض الصلبة (٣) يروى يَزِل . ويروى يُزِّل ؛ الخف الخفيف ؛ والصهوات ج . صهوة وهي موضع اللبد ، وجمعها باعتبار ما حولها ، أو اعتبر كل جزء صهوة . وصهوة كل شيء اعلاه ، يلوي يرمي بها فيبعدها ؛ العنيف الذي ليس برفيق ؛ المثقل الثقيل وقيل المراد بأثواب العنيف نفسه (٤) درير : در الفرس عدا عدوا شديداً أو سهلاً ؛ درير مستدر في عدوه ؛ والخذروف الخرارة التي ـ

له أيطلا ظـبي ، وساقـا نعامـة

وإرخاء سِرحان ، وتقريب تتفل [1]

ضليع إذا ما استدبرته سدَّ فرجه

بضاف فُويق الأرض ليس بأعزل [2]

كأن علَى الكتفين منه إذا انتحى

مَداك عروس أو صلاية حنظل [3]

ـ يدورها الصبي بخيط في يديه فيسمع لها دوي ؛ الوليد الصبي ؛ امرّه أحكم فتله ؛ وتتابع كفيه متابعتهما بالتخرير • ويروى « تقلب كفيه » أي تقلبهما بالخذروف ومعنى موصل ان الصبي لعب به حتى تقطع خيطه فوصل فهو اسرع لدورانه • (١) الايطل الكشح وهو ما بين آخر الضلع الى الورك ، والإرخاء جري غير شديد ، السرحان الذئب ، التقريب ان يرفع يديه معاً ويضعهما ، والتتفل ولد الثعلب • شبه ايطله بأيطل الظبي لانه طاو ليس بمنفضج متسع ، وساقها بساق النعامة وهي قصيرتهما لان قصر الساق شد لرميها بوظيفها ، السرحان أحسن الدواب ارخاء ، والتتفل أحسن الدواب تقريباً (٢) ضليع قوي منتفخ الجنبين • وقيل ضليع تام الخلق مجفر غليظ الالواح كثير العصب ، فرجه ما بين رجليه ، ضاف سابغ ، والاعزل الذي يكون ذنبه مائلا الى جانبه • وفي تعبيره بلفظ فويق من البراعة في الصنعة مالا يطول اليه غيره ، وربما كان هذا البيت أحسن ما قيل في وصف الذنب • (٣) الكتف كحمل وحبل لغة في الكتف ، انتحى اعتمد • ويروى « كأن سراته لدى البيت قائماً » السراة الظهر ، المداك الحجر الذي يسحق به ، والمدْوَك الحجر الذي يسحق عليه • وشبهه بمداك العروس لان مداك العروس قريب العهد بالطيب • والصلاية والصلاءة حجر يدق به الحنظل فيخرج دهنه فيبرق على الصلاءة • ويروى « صرابة حنظل » والصرابة الحنظلة التي اصفرت فهي تبرق كأنها قد صقلت • شبه ظهر الفرس بمداك العروس أو صلاءة الحنظل في الصفاء والملاسة والبريق

كأن دماء الهاديات بنحره

عُصارة حِناء بشيب مُرَجَّل (١)

ثم استطرد إلى وصف بقر الوحش التي اصطادها عَلَى هذا الفرس فقال :

فَعنَّ لنا سِرْبٌ كأن نعاجه

عذارى دُوارٍ في مُلاء مُذَيَّل (٢)

فأدبرن كالجزع المفصل بينه

بجيد معمٍّ في العشيرة مخول (٣)

فألحقنا بالهاديات ودونه

---

(١) الهاديات المتقدمات من كل شيء ، وهنا المتقدمات من الوحش إذا لحقها طعنت فأصابت دماؤها نحره ، العصارة ما اعتصر من شيء وتحلب . والمراد هنا ما بقي من أثر الحناء ، والمرجل المسرح .

ويروى « كأن دماء العاديات » « نهاية الارب ٣ — ١٢٢ » ومعناه أنهم كانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة له . واستشهدوا عَلَى ذلك بقوله كأن دماء الماديات . وهذا من أوابد العرب .

(٢) عنَّ اعترض ، السرب القطيع من بقر الوحش ، نعاجه اناثه . ج . نعجة ، عذارى : ج . عذراء أي بكر ، دوار صنم كانوا يدورون حوله ، الملاء ج . ملاءة . وهي الملحفة ، ومذيل سابغ له هدب او له ذيل اسود ، وهذا اشبه بالمعنى بصفة بقر الوحش ، وهي بيض الظهور سود القوائم (٣) أدبرن : ولين ، الجزع خرز فيه سواد وبياض ، المفصل الذي فصل بينه وفرق ، المعم المخول الكريم الاعمام والاخوال ، اي الكريم الابوين بصيغة الفاعل والمفعول ، وإنما قال ذلك لان الصبي اذا كان كريم الابوين كان الجزع في قلادته أصفى واحسن . شبه البقر حين تفرقها بالجزع المذكور .

جـواحـرها فـي صرة لم تزيّل (١)

فعادى عـداءً بـين ثور ونعجة

دِراكاً ولم ينضـح بمـاء فيغسـل (٢)

وظل طهاة اللحم ما بين منضج

صفيف شواء أو قدير معجل (٣)

ورحنا وراح الطرف يَنفُض رأسه

متى ما تَرَقّ العين فيه تَسهّل (٤)

---

(١) يروى « فالحقه » (والضمير للغلام ، أي الحق الغلام الفرس ، أو للفرس ، أي ألحق الفرس الغلام) . الجواحر المتخلفات التي لم تلحق ، الصرة الشدة أو الصيحة أو الجماعة ، تتزيل : تتفرق . يقول لحق هذا الفرس أوائل الوحش فبقيت أواخرها لم تتفرق فهي خالصة له . (٢) عادى بين صيدين طعنهما طعنتين متواليتين ، العداء أن يتابع بين اثنين بصرع أحدهما على إثر الآخر في طلق واحد ، دراكا مداركة ، متابعة ، لم ينضح لم يعرق فيغسل ، أي فيصير كأنه قد غسل ، و « الفاء » للعطف ، أي لم ينضح ولم يغسل . (٣) طهاة ج . طاه وهو الطباخ . ونضج اللحم أدرك ، وأنضجه ، الصفيف الذي قد صفف ورق على الجمر ليشوى ، الشواء اللحم المشوي ، القدير المطبوخ في القدر . وإنما جعله معجلا لانهم كانوا يستحسنون تعجيل الطعام اذا كان من الصيد . «أو» بمعنى الواو . ويروى مابين والمعنى من بين . (٤) الطرف الكريم ينفض يحرك من المرح والنشاط ، وترق تنظر الى اعلاه ، تسهل تنظر الى أسفله . يريد أن هذا الجواد بعد ان اصطاد عليه كان في العشي يحرك راسه من نشاطه لانه لم يتعب . وهو كامل الصورة والحسن اذا نظر الانسان إلى أعلاه رأى ما يعجبه ، ولم يسعه الا ان ينظر الى أسفله ليستتم النظر إلى جميع جسده لانه كله حسن .

ويروى « ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه » ؛ الطرف : العين . أي اذا نظر الي ـ

وبات عليه سرجه ولجامه

وبات بعيني قائماً غير مرسل (١)

وقال من قصيدة مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي (٢)

ـ هذا الفرس انسان اطال النظر إلى ما ينظره منه لحسنه فلا يكاد يستوفي النظر الى جميه (١) فبات اي الفرس . وبات بعيني أي حيث أراه بعيني . غير مرسل أي مهمل . (٢) قال الواحدي لما أنشد المتنبي لسيف الدولة قوله :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردي وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

أنكر عليه سيف الدولة ، وقال له : كان ينبغي أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم

ثم قال : وانت في هذا مثل امرئ القيس في قوله :

« كأني لم اركب جواداً للذة ... »

قال : ووجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز الاول مع الثاني ، وعجز الثاني مع الاول ليستقيم الكلام فيكون ركوب الخيل مع الامر للخيل بالكر ، ويكون سباء الخمر مع تبطن الكاعب . فقال أبو الطيب : « أدام الله عز مولانا ! ان صح ان الذي استدرك هذا على امرئ القيس اعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس واخطأت أنا ! ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك . لان البزاز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفصيله ، لانه أخرجه من الغزلية الى الثوبية ، وانما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة في شراء الخمر للاضياف بالشجاعة في منازلة الاعداء . وانا لما ذكرت الموت في اول البيت اتبعته بذكر الردى ليجانسه ، ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً وعينه من أن تكون باكية قلت : « ووجهك وضاح وثغرك باسم » لأجمع بين الاضداد في المعني . » فأعجب سيف الدولة بقوله ، ووصله بخمسين

كأني لم اركب جواداً للذة   ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال (1)

ولم أسبإ الزّق الرويّ ولم أقل   لخيلي كرّي كرّة بعد إجفال (2)

ولم اشهد الخيل المغيرة بالضحى   على هيكل عبل الجزارة جوال (3)

سليم الشظى، عبل الشوى، شنج النسا   له حجبات مشرفات على الفالي (4)

وصم صلاب ما يقين من الوجى   كأن مكان الردف منه على رال (5)

وقد أغتدي والطير في وكناتها   لغيث من الوسمي رائده خال (6)

تحاماه أطراف الرماح تحاميا   وجاد عليه كل أسحم هطال (7)

ـ ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمئة دينار . قال في الصناعتين (ص ١٠٨) (بعد أن ذكر مثل ما تقدم في بيتي امرئ القيس) قال أبو أحمد : والذي جاء به امرؤ القيس هو الصحيح وذلك أن العرب تضع الشي مع خلافه فيقولون : الشدة والرخاء ، والبؤس والنعيم وما يجري مع ذلك .

( ) أتبطن : أجعلها بطانة أي أجعل بطني عليها ؛ الكاعب : التي كعب ثديها .
(٢) لم أسبأ : لم اشتر ؛ الزق : السقاء ظرف للخمر ؛ الروي : يروي شاربه ؛ كري : ارجعي ؛ إجفال : إسراع . (٣) هيكل : فرس طويل عظيم ؛ عبل : غليظ ؛ الجزارة : القوائم و كثرة عصبها ، لا يراد رأسه لأن ذلك في الخيل هجنة . وأصل الجزارة : اليدان والرجلان والعنق ، لأنها لا تدخل في أنصباء الميسر ، وإنما يأخذها الجزار جزارته أي أجره . جوال : كثير العصب قليل اللحم (٤) الشظى : عظم لازق بالقداح ؛ الشوى : اليدان والرجلان ؛ شنج : قصير منقبض ؛ النسا : عرق في الفخذ ؛ حجبات : رؤوس عظام الوركين ؛ مشرفات : مائلات مقبلات ؛ الفالي : اللحم الذي على الورك ، أصله الفائل فقلب (٥) صم : حوافر ؛ الوجى : الحفا أو وجع الحافر ، أي : لا تبقين ؛ الرال : فرخ النعامة . (٦) لغيث : بقل ونبت ؛ الوسمي : أول مطر الخريف . رائده : الذي يرتاده ؛ الخالي : الذي يكون في الخلاء (٧) تحاماه : تتجنبه ؛ جاد : أمطر ؛ أسحم : أسود ؛ هطال : كثير الهطل والسيلان .

بِعَجلزةٍ قد أترز الجري لحمها ... كميت كأنها هراوة منوال [1]
ذَعَرْتُ بها سرباً نقياً جلوده ... وأكْرُعُهُ الوشْي البرود من الخال [2]
كأن الصِّوار إذ تجهد غـدوة ... على جُمُدٍ خيل تجول بإجلال [3]
فجال الصُّوار واتقين بقرهب ... طويل القرا والرُّوق أخنس ذيَّال [4]
فعادى عداءً بين ثور ونعجـة ... وكان عداء الوحش مني على بال [5]
كأني بِفَتْخَاء الجناحين لَقْوَةٍ ... صَيُود من العقبان طأطأت شِملال [6]
تُخَطِّفُ خِزَّانَ الشَّرِبَّةِ بالضحى ... وقد حَجَرَتْ منها ثعالب أوْرال [7]

---

(١) العجلزة: فرس شديد الخلق صلب؛ أترز: أيبس ؛ الهراوة: العصا ؛ منوال: خشبة السدي والحائك (٢) ذعرت : أخفت ؛ السرب : القطيع من بقر الوحش ؛ نقياً جلوده : بيضاً لا خطوط فيها ؛ أكرع : ج . كراع : ما دون الكعب من الدواب . الخال : الثوب الناعم المخطط . وفي نسخة : « وشي البرود » أي فيها نقط سود وبيض (٣) الصوار : قطيع بقر الوحش ؛ تجهد : روي « إذ تجاهدن » بالغ في عدوه ؛ جمد : ما غلظ من الارض . ويروى « تجهد عدوه على جمزى » أي عدو شديد ؛ إجلال: ج . جُل أي ظهورها بيض وقوائمها سود منقطعة ، فأسافلها تشبه البر ودوأعاليها تشبه الاجلال وهي ما تلبسه الدابة . يشبه الصوار في عدوه بخيل تجول باجلال بيض . (٤) القرهب: الكبير الضخم من بقر الوحش ؛ القرا : الظهر ؛ الروق : القرن ؛ أخنس : قصير الانف ؛ ذيال : طويل الذيل (٥) يروى « فعادبت منها » أي واليت ؛ على بال: أي إذا صرعت منها شيئا فمن شأني أن أرمي (٦) الفتخ : لين وطول في الجناح . يشبه فرسه بعقاب لينة الجناح موصوفة بما ذكر ؛ لقوة : سريعة تخطف كل شيء ؛ صيود : كثيرة الصيد . ويروى « دفوف » أي تدنو من الارض وهي طائرة إذا انقضت ؛ طأطأت : دانيت أو حثثت وأسرعت ؛ شملال : سريعة . (٧) : تخطف . ويروى « تكفت » أي تضم وتجمع ؛ الخزان : ج . خزن وهو ذكر الارنب ؛ الشربة : موضع بنجد ؛ حجرت : تخلفت أو توارت ؛ ثعالب أورال فلا تسرح خوفاً من هذه العقاب أو دخلت جحرها ؛ أورال :-

كأن قلوب الطير رَطباً ويابساً   لدى وكرها العناب والحشف البالي [8]

وقال يصف الجواد من قصيدة مطلعها :

خليليّ مرّا بي على أم جندب   لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

وقد أغتدي والطير في وكراتها

وماء النَّدى يجري على كل مِذنَبِ [1]

بمنجرد قيد الأوابد لاحه

طراد الهوادي كل شأوٍ مُغرب [2]

على الأين جياش كأن سراته

على الضُّمر والتعداء سرحة مرقب [3]

يباري الخنوف المستقل زماعه

ترى شخصه كأنه عود مشجب [4]

موضع . (١) العناب : ثمر أحمر ؛ الحشف : ما يبس من التمر ولم يكن له طعم ولا نوى (٢) وكراتها : وكناتها ؛ المذنب : كهيئة الجدول يسيل عن الروضة ماؤها إلى غيرها فيفرق ماؤها فيها والتي يسيل عليها الماء مذنب أيضاً (٣) لاحه : أهزله ؛ الهوادي : المتتابعة ؛ السوابق المتقدمة ؛ شأو : طلق وهو جري مرة الى الغاية ؛ مغرب : بعيد (٣) الاين : التعب والإعياء ؛ سراته : ظهره ؛ ؛ الضمر : الهزال ؛ التعداء الجري ؛ سرحة : شجرة ؛ مرقب : موضع يرقب منه (٤) يباري : يعارض ؛ الخنوف : خنف يديه في السير ، مال بهما نشاطاً أو رمى بهما فيه فهو أوسع ؛ المستقل : المرتفع ؛ زماع : ج . زَمَمَة وهي الشعرة التي خلف الرسغ أو الثنة ، والثنة الشعرات في مؤخر رسغ الدابة ، وليس للفرس زماع وإنما أراد المستقل ؛ المشجب : خشبات موثقة منصوبة تضم رؤوسها ويفرج بين قوائمها توضع عليها الثياب وتنشر ، وقد تعلق عليها الأسقية لتبريد الماء وهي الشجاب .

له أيطلا ظبي وساقا نعامة
وصهوة عير قائم فوق مرقب (١)

ويخطو على صُمٍّ صلاب كأنها
حجارة غيل وارسات بطلحب (٢)

له كفل كالدِّعص لبَّده الندى
إلى حارك مثل الغبيط المذأّب (٣)

وعين كمرآة الصناع تديرها
بمحجرها من النصيف المنقب (٤)

له أذنان تعرف العتق فيهما
كسامعتي مذعورة وسط ربرب (٥)

ومستفلك الذِّفرى كأن عنانه
ومثناته في رأس جذع مشذب (٦)

---

(١) أيطلا : خاصرتا ؛ صهوة عير : ظهر حمار ؛ مرقب : مكان مرتفع (٢) غيل : ماء جارٍ على وجه الأرض ؛ وارسات مصفرات ؛ طحلب : خضرة تعلو وجه الماء (٣) كفل : عجز ؛ الدعص : كثيب رمل صغير ، حارك : أعلى الكاهل ؛ الغبيط : قتب الهودج ، المذأب : الموسع ، له ذؤابة . (٤) الصناع : المحسنة الصنعة بيدها ؛ المحجر (كمجلس ومنبر) : ما دار بالعين وبدا من البرقع من جميع جوانب العين ؛ النصيف : الخمار ، ؛ المنقب : الذي ينتقب بـه ، وأراد موضع عينيها من الخمار . (٥) العتق : الكرم ، والمراد الحسن والنقاء ؛ سامعتي : أذني . أي بقرة خائفة (٦) مستفلك : مستدير ؛ الذفرى : العظم الشاخص خلف الاذن ، وكل مستدير فلكة ؛ مثناة : حبل مشدود في رأسه ؛ مشذب : نزع عنه شوكه . أي له رأس مستفلك ذفراه كان عنانه من طول عنقه في رأس جذع مشذب ، فتبين طوله .

وأسحم ريان العسيب كأنه

عثا كيل قنو من سميحة مرطب (١)

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه

تقول : هزيز الريح مرت بأثأب (٢)

إذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا :

تعالوا إلى أن يأتي الصيد نحطب (٣)

يدير قطاة كالمحالة أشرفت

إلى سند مثل الغبيط المذأب (٤)

فيوماً على سرب نقي جلوده

ويوماً على بيدانة أم تولب (٥)

فبينا نعاج يرتعين خميلة

كمشي العذارى في الملاء المهدب (٦)

---

(١) أسحم : ذنب أسود ؛ ريان : ممتلئ ؛ العسيب : عظم الذنب ؛ عثا كيل : أغصان ؛ قنو : عنقود . سميحة : بئر غزيرة فيها نخل ؛ مرطب : فيه رطب . (٢) شاوين طلقين ؛ هزيز : صوت ؛ أثأب . شجر . أي له حفيف كالريح إذا مرت بهذا الشجر . (٣) ويروى : « إلى أن يأتنا الصيد » ، واستشهد به بعض النحاة على الجزم بأن ويروى « إلى ما يأتنا الصيد » ، وجعل بعضهم ما شرطية وما بعدها شرطاً وجواباً ، والرواية التي اخترناها غنية عن الاحتياج إلى مثل هذا التكلف . والمراد من البيت : أنهم واثقون بالصيد على هذا الفرس لسرعته ، ولذلك إذا ركبوه للصيد شرعوا في جمع الحطب وإعداده لشي الصيد ، وذلك مدح للفرس .

(٤) القطاة : مقعد الرديف . المحالة : البكرة . سند : حارك . الغبيط : الهودج . المذأب : له ذؤابة . (٥) نقي جلوده : بيض . بيدانة : حمارة .

(٦) نعاج : إناث بقر الوحش . خميلة : رملة فيها شجر . مهدب : له هدب .

فكان تنادينا وعقد عذاره   وقال صحابي: قد شأونكَ فاطلب (١)

فلأياً بلأيٍ ما حملنا غلامنا   على ظهر محبوك السَّراة مُحنبِ (٢)

وولى كشؤبوب العشي بوابل   ويخرجن من جَعْدٍ ثراه منصب (٣)

فللساق ألهوبٌ وللسَّوط درة   وللزجر منه وقع اهوج مِنْعب (٤)

فأدرك لم يُجهَد ولم يثن شأوه   يمر كخذروف الوليد المثقب (٥)

ترى الفأر في مستيفع القاع لاحباً   عَلَى جدَدِ الصحراء من شَدَّ ملهب (٦)

خفاهن من انفاقهن كأنما   خفاهن وَدْق من عشي مجلب (٧)

فعادى عداءً بين ثور ونعجة   وبين شبوب كالقضيمة قَرْهب (٨)

---

(١) تنادينا: مناداة بعضنا بعضاً · عذار: سير في اللجام · شأونك: سبقتك ·

(٢) اللاي: البطء والجهد ، وهو مصدر في موضع الحال ، وما زائدة · أي: حملنا غلامنا مبطئين أو مجهودين · محبوك: مجدول موثق · السراة: الظهر · محنب: بعيد ما بين الرجلين ، أو معوج الساقين ، وهو مدح · (٣) الشؤبوب: الدفعة من المطر بشدة · الجعد: المتراكم بعضه فوق بعض والمراد الغبار · منصب: انتصب عَلَى كل شيء وغطاه · ويروى «عصبصب» · أي: شديد · يصف الفرس بانه يندفع كالشؤبوب في آثار الصيد · (٤) الهوب: شدة جري · درة: درّ جريه إذا أسرع · أهوج أحمق · منعب أحمق مصون · ويروى «أخرج مُهْذِب» · أي ظليم مسرع · (٥) أدرك طريدته بغير مشقة · ثنى الشيء (كرمى) صار معه ثانياً · الخذروف الدوارة يلعب بها الصبيان · (٦) اليفع واليفاع ما ارتفع من الارض أو التل ، وكل مرتفع يفاع · القاع السهل · لاحباً ظاهراً · الجدد المستوي من الارض · ألهب الفرس اشتد جريه فهو ملهب أو مُلْهَب ، بمعنى الهاب أي شدة جري ، أي شدة وقع حوافره · أخرج الفأر من جحرتها لانها ظنته مطراً · (٧) خفاهن أظهرهن · أنفاقهن: ج · نفق · سَرَب له مخلص إلى مكان آخر استعاره لجحر الفأرة · ودق مطر · مجلب له جلبة أي رعد · (٨) عادى والى · شبوب ثور فتي · القضيمة الصحيفة

وظل لثيران الصريم غماغم يداعسها بالسمهري المعلب (١)

فكاب على حر الجبين ومتق بمدرية كأنها ذلق مشعب (٢)

وقلنا لفتيان كرام ألا انزلوا فقالوا علينا فضل ثوب مطنب (٣)

وأوتاده مازبة وعماده ردينية فيها أسنة قعضب (٤)

وأطنابه أشطان خوص نجائب وصهوته من اتحمي مشرعب (٥)

فلما دخلناه اضفنا ظهورنا الى كل حاري حديد مشطب (٦)

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب (٧)

نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب (٨)

ورحنا كأنا من جوأثى عشية نعالي النعاج بين عدل ومحقب (٩)

ـقرهب مسن أو ضخم . (١) الصريم رمل منقطع عن الرمال . غماغم أصوات تتردد في الحلق ، يداعسها : يطاعنها . ويروى « يدعسها » أي يطعنها . المعلب المشدود بالعلباء (٢) كاب ساقط . حر الجبين . ما بدا من الجبين مدرية قرن ذلق حد . شعب مخرز يشعب به النعال . (٣) قالوا ارفعوا . مطنب ذي أطناب . (٤) مازبة : دروع بيض . ردينة رماح . قعضب رجل جاهلي يصنع الرماح . (٥) أطنابه حبال أوتاده . أشطان حبال . خوص ج . خوصاء ، وهي الناقة الغائرة العيون . صهوته أعلاه . أتحمي ضرب من الثياب . قال المبرد هذا من التشبيه العجيب . مشرعب . مصنف أو مقطوع طولا . (٦) أضفنا سندنا . حري سيف منسوب إلى الحيرة أو رحل . مشطب . فيه شطب أو طرائق . (٧) الجزع خرز أسود فيه بياض . (٨) نمشي تمسح . العرف شعر العنق . الشواء اللحم المشوي ؛ مضهب لم ينضج . (٩) جوأثي موضع بالبحرين يمتار منه التمر ، احقبه أردفه ، وأحقب زاده خلفه جعله وراءه . أي رحنا نحمل في الصيد اعدالنا وحقائبنا ، كأنا رحنا من جوأثى ، لان الرائح منها يملأ اعداله وحقائبه تمراً .

وراح كتَيْسِ الرَّبْلِ ينفض رأسه   أذاةً بِـهِ من صائِكٍ متَحلَّبِ (١)

كأنَّ دِماء الهاديات بنحره   عُصارة حِناء بشيب مخضب (٢)

وانت إذا استدبرته سد فرجه   بضاف فويق الارض ليس بأصهب (٣)

وقال من قصيدة مطلعها :

لمن طلل ابصرته فشجاني   كخط الزبور في العسيب اليماني

وإن امس مكروباً فيا رُبّ غارةٍ   شهدت على أقبَّ رِخوَ اللَّبان (٤)

على رَبِذٍ يزداد عفواً إذا جرى   مِسحّ حثيث الركض والذألان (٥)

وَيردي على صمٍّ صلابٍ ملاطس   شديدات عقدٍ لينات مثاني (٦)

وغيثٍ من الوسميّ حوٍ تلاعهُ   تبطنته بشيظم صلتان (٧)

مِكَرٍّ مِفرٍّ مقبل مدبر معاً   كتيس ظباء الحُلَّبِ العدوان (٨)

---

(١) وراح : في اللسان (وظل) ؛ الربل : ورق يتفطر في آخر القيظ بعد الهيج يبرد الليل من غير مطر ، أو شجر إذا برد الزمان عليها أدبر الصيف ، تفطرت بورق أخضر . رأسه : في اللسان (متنه) . الصائك : الذي تغير لونه وريحه . يقول الفرس في نشاطه كالتيس الذي تحلب عليه صائك المطر من الشجر . وقيل : ينفض رأسه من ربح عرقه الذي تحلب منه ، لأنه يتأذى به . تحلب : سال (٢) الهاديات : المتقدمات (٣) الصهبة : بياض إلى حمرة (٤) أقب : ضامر البطن . رخو : لين . اللبان : الصدر . (٥) ربذ : سريع . عفواً : جماماً ، ويروى «عدواً» . الذألان : المشي السريع . (٦) يردي : يرجم الارض بحوافره . ويروى «ويجري» . ملاطس : على حوافر صلاب ، والملطس معول تكسر به الحجارة وتنقر به الأرحاء . عقد : عقد الأرساغ . مثاني : مفاصل تثنى . (٧) حو : خضر . تلاعه : ج تلعة : ما ارتفع من الأرض . تبطنته : تبطن الكلأ جول فيه . شيظم : طويل . صلتان : منجرد قصير الشعر أو ماض أو حديد الفؤاد . (٨) الحلب : نبات في القيعان تأكله الشاء والظباء ؛ مَفَرَّة —

إذا ما جنبناه تأوّد متنه

كعِرْقِ الرُّخامى اهتزّ في الهطلان (١)

وقال من قصيدة مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ....

وغيث كألوان الفنا قد هبطته

تعاور فيه كل أوْطَفَ حنّانِ (٢)

على هَيكل يُعْطيك قبل سؤاله

أفانين جرْيٍ غيرَ كَزٍّ ولا وانِ (٣)

كتيس الظباء الأعفر انضرجت له

عُقاب تدلت من شماريخ ثهلان (٤)

وخَرْقٍ كجَوْف العَيْرِ قفرٍ مَضَلَّةٍ

قطعتُ بسامٍ ساهمِ الوجه حُسّانِ (٥)

ـ مسنة . يقال تيس حلَّب ، وتيس ذو حلب . العدّاء : الشديد العدو ، وروي الغَذَوان ، أي النشيط المسرع . (١) جنب الدابة : قادها . تأود : تثنى . الرخامى : ضرب من الخلفة غراء الخضرة ، زهرته بيضاء ، له عرق أبيض تأكله الوحش كلها لحلاوته . الهطلان : تتابع المطر . (٢) الغيث : الكلأ . الفنا : عنب الثعلب ، وهو شجر ذو حب أحمر يتخذ منه قلائد . تعاور : تداول . أوطف : في وجهه كالحِمل الثقيل ، أو فيه استرخاء من جوانبه لكثرة الماء . حنان : فيه صوت الرعد . (٣) هيكل ضخم . أفانين أنواع وضروب . كز : منقبض . وان : فاتر . (٤) انضرجت : اتسعت في طيرانها أو انقضت . الشماريخ : الرؤوس . ثهلان : جبل . (٥) خرق : قفر . مضلة : لا يهتدى فيه . سام : مرتفع مشرف . ساهم الوجه : قليل لحم الوجه أو متغيره ، محمول على كريهة الجري . حسان حسن الخلق .

يُدافع أعطاف المطايا برُكنه   كما مال غصنٌ ناعم بين أغصان [1]

وقال من قصيدة :

وَمَرْقَبَةٍ كالزُّجِّ أشرفتُ فوقها   أُقلّب طَرْفي في فضاء عريض [2]
فَظَلْتُ وظلَّ الجَوْنُ عندي بلبده   كأني أعدّي عن جناح مهيض [3]
فلما أجنّ الشمس عني غيارها   نَزَلتُ إليه قائماً بالحضيض [4]
يُباري شَباةَ الرمح خدٌّ مُذَلَّق   كَصَفْحِ السِّنان الصُّلَّبي النحيض [5]
وقد أغتدي والطير في وكناتها   بمنجرد عَبْلِ اليدين قَبيض [6]
له قُصْرَيا عَيْرٍ وساقا نعامة   كفحلِ الهجان القيسري الغضيض [7]
يَجِمُّ عَلَى الساقين بعد كلاله   جُمُومَ عيون الحِسْي بعد المخيض [8]

---

(١) يدافع : يدفع . أعطاف : جوانب ونواحي . بر كنه : بمنكبه أوجانبه . (٢) المرقبة ما أوفيت عليه من علم أو راية لتنظر من بعد . الزُّج حديدة تجعل في أسفل الرمح . يريد أنها محددة الرأس مثل الزج . (٣) الجون اسم فرسه . أعدي اتنحي . المهيض المكسور . يريد أنه تنحى عنه كما يتنحى من جناح الطائر المكسور إبقاء عليه . (٤) أجن ستر . غيارها غروبها . الحضيض (في الأصل) قرار الارض عند سفح الجبل ، والمراد هنا الارض . (٥) باراه : عارضه وجاراه وفعل مثل فعله . شباة الرمح حده . مذلق محدد . السنان الحجر الذي يسن عليه . ويروى « كحد السنان » ؛ الصلبي حجارة المسن ، أو الصلبي الذي جلي وشحذ بحجارة الصُّلَّب ، وهي حجارة تتخذ منها المسان . النحيض المرقق المحدد . يصف خد الفرس . (٦) عبل ضخم غليظ . قبيض سريع نقل القوائم . (٧) القصرى الضلع التي تلي الشاكلة بين الجنب والبطن . العير حمار الوحش . الهجان من الابل البيض الكرام . القيسري الضخم الشديد القوي . غضيض بمعنى فتي من قولهم شيء غضيض طري ، او بمعنى دليل ، من قولهم رجل غضيض اي ذليل . (٨) جم الفرس يجم إذا ترك فلم يركب ، فعفا من تعبه وذهب إعياؤه ، وقد يكون الجموم في السير والارتفاع ، جم الفرس إذا ـ

ذَعرتُ به سربا نقياً جلودها كما ذعر السرحان جَنب الربيض (١)
فأقصد نعجة فأعرض ثورها كفحل الهجان ينتحي للمضيض (٢)
ووالى ثلاثاً واثنتين واربعاً وغادر أُخرى في قناة رفيض (٣)
فآبَ إياباً غير نكدٍ مُواكل وأخلف ماءً بعد ماءٍ فضيض (٤)
ومِن ٍ كسُنبق سناء وسنَّم ذعرت بِمدلاج الهجير نهوض (٥)

وقال يصف الناقة:

وإنك لم تقطع لُبانة عاشق بمثل غُدُو أو رَواح مأوِّب (٦)

ـ مار وار تفع ومنه قوله هذا. الكلال الإعياء. وجمّت البئر كثر ماؤها واجتمع. الحسي سهل يستنقع فيه الماء أو غَلُظ فوقه رمل يجتمع فيه ماء السماء، فكلما نزحت دلواً جمت أخرى. مخض بالدلو: تهتز بها في البئر، ومخض البئر بالدلو أكثر النزع منها وحركها. (١) ذعرت أخفت، الجنب معظم الشيء والناحية والقطعة من الشيء. الربيض الغنم في مرابضها (٢) أقصد السهمُ: أصاب فقتل مكانه، وأقصدت الرجل طعنته أو رميته بسهم فلم تخط مقاتله. أعرض: ظهر واعترض. ينتحي يعتمد ويقصد. المضيض القِرْن والقرين (٣) والى: تابع. غادر ترك. قناة رفيض ورمح رفيض متكسر منقصد. يريد أنه صرع ثلاثة على الولاء وترك في الاخرى قناة مكسورة (٤) آب رجع. النَكد المشؤوم، والمنكد قلة العطاء. مواكل عاجز كثير الاتكال على غيره، والمواكل من الخيل الذي يتكل على صاحبه في العدو والمواكل المسيء السير والذي يلجأ الى التأخر. الفضيض ما انتشر من الماء إذا تطهر به، المتفرق من ماء المطر والعرق (٥) السن الثور الوحشي. سُنبق جبل، أو اسم أكمة. سناء رفعة. السُنَّم البقرة. وقوله «مدلاج الهجير» رواه في اللسان «بزلاج الهجير»، وفي التاج «بمدلاج المحين». (٦) لبانة حاجة. الرواح من زوال الشمس إلى الليل، الأَوب الرجوع، والرواح المأوب الذي يجد السير حتى يبلغ فيه إلى ما يراد

بأدماء حُرْجوج كأن قتودها على أبلق الكَشْحَين ليس بمُغرب (١)
يغرد بالاسحار في كل سُدفة تغرد مياح الندامي المطرَّب (٢)
اقبَّ رَباع من حمير عَماية يمج لُعاع البقل في كل مشرب (٣)
بمحنية قد آزر الضال نبتها مجرَّ جيوش غانمين وخيَّب (٤)

وقال من قصيدته الرائية :

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا

فدع ذا وسلِّ الهم عنك بجسرة ذمول اذا صام النهار وهجرا (٥)
تقطع غيطانا كأن متونها إذا اظهرت تكسى ملاءً منشرا (٦)
بعيدة بين المنكبين كأنما ترى عند مجرى الضَّفر هراً مشجرا (٧)
تطاير ظرَّان الحصى بمناسم صلاب العُجى ملثومُها غيرأمعرا (٨)

---

(١) أدماء: ناقة بيضاء مشربة بسواد · حرجوج طويلة · قتود أداة الرحل ؛ الكشحين : الخاصرتين ؛ مغرب أبيض الأشفار · والمُغرَّب الذي كل شيءٍ منه أبيض (٢) يغرد يطرب ويصوت · سُدفة ظلمة · مياح يميح في ناحية من النشوة (٣) أقب ضامر البطن · رباع سنه رباع · عماية جبل بنجد · يمج يطرح ، اللعاع أول النبت بقي في الاناء لعاعة أي قليل ، وفي الأرض لعاعة من كلاء أي شيء · رقيق أي يرمي خضرة البقل في الماء إذا شرب أي في الربيع فهو أقوى وأنشط (٤) بمحنية حيث ينحني الوادي · آزر ساوى · الضال شجر · مجرّ من مرَّ بها من الجيوش لم يلو عليها · (١) جسرة : تجسر على الهول أو طويلة أو ماضية · ذمول : سريعة · صام النهار قام قائم الظهيرة (٢) غيطان ج · غائط المطمئن من الأرض · أظهرت دخلت في الظهيرة (٣) الضفر حبل من شعر من حبال الهودج · هراً مشجراً قطاً مربوطاً ، فهي تثب وتسرع (٤) ظران ج · ظرر حجر له حد · وروي « شذان الحصى » أي المتفرق منه · مناسم ج · منسم طرف خف البعير · العجى ج · عجاية عصبة في باطن يد الناقة · ملثومها خفها الذي تلثمه الحصى · غير أمعر ـ

كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته رجلها خذف أعسرا (١)
كأن صليل المرو حين تشده صليل زيوف ينتقدن بعبقرا (٢)

وقال من قصيدة مطلعها:

غشيت ديار الحي بالبكرات فعارمة فبرقة العبرات

كأني ورد في والقراب ونمرقي على ظهر عير وارد الخبرات (٣)
أرن على حقب حيال طروقة كذود الأجير الاربع الاشرات (٤)
عنيف بتجميع الضرائر فاحش شتيم كذلق الزج ذي ذمرات (٥)
ويأكلن بهمى جعدة حبشية ويشربن برد الماء في السبرات (٦)
فأوردها ماء قليلاً أنيسه يحاذرن عمرواً صاحب القترات (٧)
تلث الحصى لثا بسمر رزينة موازن لا كزم ولا معرات (٨)

لم يذهب شعره . (١) نجلته رمته . خذف رمي . أعسرا الذي يعمل بيده اليسرى (٢) صليل صوت . المرو حجارة براقة تقدح منها النار . تشده ، وروي « تشذه » أي تنحيه وتطيره . زيوف ج . زيف درهم صلب لا فضة فيه . عبقر موضع باليمن . يريد أن رميها غير منتظم إلى جهة واحدة كخذف الاعسر . (٣) الخبرات: ج . خبرة: وهي أرض تنبت الخبر الدر . (٤) أرن: صوت ؛ الحقباء: بيضاء العجز ؛ حيال: ج . حائل ؛ طروقة يضربها الفحل ؛ الذود: ما بين ٣ — ١٠ ؛ الاجير: الراعي ، وخص الاربع ليكون اقوى على تعهدها . (٥) عنيف: قليل الرفق ؛ ضرائر: ج . ضرة ؛ فاحش: متجاوز القدر ؛ شتيم كريه المنظر ؛ ذلق: حد ؛ ذمرات ج . ذمرة الزجرة . (٦) بهمى: نبت ؛ جعدة: ندية ؛ حبشية: شديدة الخضرة أو كثيرة ملتفة ؛ السبرات: الغدوات الباردة . (٧) عمروا: هو عمرو بن الشبح من بني ثعل من طيء من ارمل العرب ؛ القترة: بيت الصائد الذي يكمن فيه . (٨) تلث تسحق تدق ؛ سمر: حوافر

وبِرَخين أذناباً كأنّ فروعهــا   عرى خِلَلٍ مشهورة ضفرات (١)
وعَنْس كألواح الإِران نَسأتها   على لاحب كالبُرد ذي الحِبرات (٢)
فغادرتهـا من بعــد بُدْن رَذِيّة   تغالي على عوج لهـا كَدِنات (٣)
وأبيضَ كالمخراق بَلَّيْتُ حدَّه   وهبّته في الساق والقَصَرات (٤)

وقال من قصيدة مطلعها :

أماوي هل لي عندكم من معرس

كأني ورحلي فوق أحقب قارح   بشربة أوطى وبعرنان موجس (٥)
تعشى قليــلاً ثم أنحى ظلوفــه   يثير التراب عن مبيت ومَكْنِس (٦)

ـ ثقال ؛ موازن : صلاب لا تؤثر فيها الحجارة ؛ كزم : قصار ؛ معرات : يمرط شعرهن . (١) الخلة : بطانة ، يعني بها جفن السيف ، وجفن السيف كل جلد منقوش ؛ ضفرات : مفتولات ؛ ويروى « صفرات » اي مكشوفة . (٢) عنس : ناقة قوية ؛ ألواح : التابوت ، لصلابتها وضمرها ، الاران : سرير الموتى ؛ نسأتها : زجرتها ؛ لاحب : طريق واضح ؛ حبرة : وشي في الثوب (٣) بدن : سمن ؛ رذية : مهزولة ؛ تغالي : تجد وتسرع ؛ عوج : قوائم ؛ كدنات : ج . كدنة : غلاظ صلاب . (٤) أبيض : سيف ؛ مخراق : منديل يلف فيضرب به ، وأورده في اللسان شاهداً على أن المخراق السيف ؛ بليت : اختبرت ؛ هبته سرعة مضيه في ساق الابل يعرقبها للضيوف ؛ القصرات : ج . قصرة : أصل العنق ، يريد أنه ضرب به اعناق الابطال فيفخر بالكرم والشجاعة . (٥) الرحل مركب للبعير والناقة ويقال الاعواد الرحل بغير اداة رحل ؛ احقب : حمار أبيض الحقوين ، أي الخاصرتين ؛ قارح : مشاه في قوته ؛ شربة : (بفتح أوله وضمه) موضع ؛ طاو : ضامر البطن ، والطاوي : الذي يطوي عنقه عند الربوض ثم يربض ، يقال : ظبي طاو ؛ عرنان : غائط واسع منخفض من الارض ؛ اوجس : وقع في نفسه الخوف ، وأوجس فزعاً أحس به ، وأوجست الاذن : سمعت حساً . (٧) تعشى : أكل طعام العشاء ، وقيل : دخل في العشاء ؛ لا أنحي : اعتمد ؛ ـ

يهيل ويذري تربها ويثيره ... إثارة نبّات الهواجر مُخْمِس (١)
فبات على خد أحمَّ ومنكب ... وضجعته مثل الأسير المُكَرْدَس (٢)
وبات إلى أرطاةَ حِقفٍ كأنها ... إذا ألثقتها غبيةٌ بيتُ معرس (٣)
فصبّحه عند الشروق غُدَيَّةً ... كلاب ابن مُرٍّ أو كلاب ابن سِنْبِس (٤)
مُغَرَّثة زُرْقا كأن عيونها ... من الذمر والإيحاء نُوّار عضرس (٥)

ظلوف : ج ظلف : وهو من الشاء والبقر والظباء بمنزلة القدم من الانسان ٠ وفي المصباح كالظفر من الانسان ، المكنس : مولج الظباء والبقر تستكن فيه من الحر ٠ يريد انه اعتمد باظلافه بثير التراب ليتخذ فيه مبيتا يبيت فيه ومكنسا يأوي إليه ٠

(١) هال التراب : حرك أسفله فسال من اعلاه ، أو أرسله فجرى ، وهال الرمل : دفعه ؛ يذري : يفرق التراب عن وجه الارض ؛ نبث التراب : نبشه وحفره بيده ، ونباث الهواجر : الذي ينبث التراب في وقت الهاجرة لتباشر إبله برد الثرى فيسكن عطشها الثرى ؛ المخمس : الذي ترد ابله الخمس ، قال رؤبة عن أبيه : ما وُصف الثور الوحشي بأحسن من هذا الوصف في هذا البيت ٠ ورواه في اللسان :

بثير ويبدي تربها ويهيله

(٢) احم : أسود ؛ كردس الاسير : أوثقه ٠ يريد : ان ضجعته مثل ضجعة الاسير وقد تكردس ، أي تجمع وتقبض ٠ (٣) الأرطاة : نوع من الشجر ؛ الحقف : ما اعوج الرحل ؛ ألثقتها : ندتها وبلتها ؛ الغبية : الدفعة من المطر ؛ المعرس : الباني بأهله ٠ يقول : اذا اصابها مطر فاحت منها رائحة طيبة كأنها بيت معرس ٠ (٤) ابن مر وسنبس صائدان معروفان ٠ (٥) مغرثة : مجوعة ؛ زرقا : ازرقت عيونهم من العطش ٠ ورواه في اللسان وغيره «مغرثة حُصًّا» ج ٠ أحص ، أي انحص شعرها ، أي انجرد وتناثر ؛ الذمر : الحث مع لوم واستبطاء ؛ الايحاء : الايماء والاشارة وان تكلمه بكلام تخفيه عن غيره ، ويروى « من الدم والايساد » يقال :

فأدبر يكسوها الرّغام كأنه

على الصمد والآكام جذوة مقْبِس [1]

وأيقن إن لاقَيْنَهُ أن يومه

بذي الرِّمْث أو ماوته يوم أنفُس [2]

فأدركنه يأخذن بالساق والنَّسا

كما شَبْرَقَ الولدان ثوب المقدس [3]

وغَوَّرْنَ في ظل الغضا وتركنه

كفحل الهِجان القادر المُتَشَمِّس [4]

ـ أوسد الكلب اذا اغراه ، ويروى «من الزجر والايحاء» ؛ العضرس : شجرة لها زهرة حمراء ، وقيل : نبات له لون أحمر تشبه به عيون الكلاب . (١) الرغام : التراب الصمد : ماغلظ من الارض وارتفع لايبلغ أن يكون جبلا ؛ آكام : ج . اكمة : وهي التل ؛ الجذوة : الجمرة او عود غليظ أخذ فيه نار ، وهي القبس ، واقبسه اعطاه قبسا . (٢) الرمث : شجر من الحمض ، وذو الرمث الموضع فيه ذلك ؛ يومه : حتفه وموته ؛ ماوته صايره وثابته ؛ يوم أنفس : يريد يوما تقتل فيه أنفس كثيرة من الكلاب التي يقتلها هذا الثور (٣) أدركه : لحقه ؛ يأخذن بالساق : أي أخذت تعضه بساقه ؛ النسا : عرق في الفخذ ؛ شبرق : قطع ومزق ؛ المقدس : الراهب ينزل من صومعته إلى بيت المقدس فيأخذ الصبيان خيوطاً من ثيابه يتبركون به حتى يتمزق عنه ثوبه . ورواه في اللسان « ثوب المقدمي » والنسبة إلى بيت المقدس «مقدِسي» : و «مُقدّسي» وقيل : يعني بهذا البيت يهودياً (٤) غور : نزل في القائلة ونام في ذلك الوقت ؛ الهجان: البيض الكرام من الابل . وروي « كقرم الهجان » والقرم: الفحل يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة ؛ القادر العاجز عن الضراب ؛ المتشمس القوي الشديد .

وقال يصف الناقة أيضا :

ومُجِدَّة نسأتُها فتكمشت رَتَكَ النعامة في طريقٍ حام (١)

تَخدي على العِلات سام رأسها

روعاء مَنسِمها رثيم دام (٢)

جالت لتصرعني ، فقلت لها : أقصري !

إني امروءٌ صرعي عليك حرامُ (٣)

فجزيتِ خير جزاء ناقة واحد ورجعت سالمة القرا بسلام (٤)

* * *

وقال من قصيدة يصف الفرس والرمح والسيف والدرع :

---

(١) أجد : أسرع ، وأجد : أسرع ، وأجد صار ذا جد واجتهاد ، ويقال للناقة إنها لمجدة بالرجل إذا كانت جادة في السير ، فمن قال : مَجِدَّة فهي من جد يجد ، ومن قال مُجِدَّة فهي من أجدت أي أسرعت ؛ نسأها : زجرها وساقها ؛ كنَسَاها ؛ تكمشت : اسرعت ؛ رتكت الناقة ترتك رتكا ورَتكا : مشت في اهتزاز ، وقد يستعمل في غير الابل ؛ حام : شديد الحر . (٢) تخدي : تسرع ؛ على العلات : أي على كل حال ؛ سام : مرتفع ؛ روعاء : حديدة الفؤاد شهمة ذكية ؛ المنسم : طرف الخف أو الظفر الذي في يد الناقة ؛ رثيم : كل ما لطخ بدم أو كسر فهو رثيم ومنسم رثيم أدمته الحجارة ، ودمي (كتعب) خرج منه الدم فهو دام ، ويروى :

يأتي عليها القدم واهٍ خفها عوجاء منسمها رثيم دام

(٣) هكذا روي وفيه إقواء (٤) القرا : الظهر ، ولعله أول من دعا للناقة بالسلام وسلامة الظهر .

وأعددت للحرب وثّابة جواد المَحَثّة والمُرْوَدِ [1]
سبوحاً جموحاً وإحضارها كمعمعة السَّعف الموقَدِ [2]
ومطرداً كرِشاء الجرور من خُلُب النخلة الأجرد [3]
وذا شُطَب غامضاً كَلْمُهُ إذا صاب بالعظم لم ينأد [4]
ومشدودة السك موضونة تضاءلُ في الطيّ كالمِبْرَدِ [5]
تفيض على المرء أردانها كفيض الأتيّ على الجَدْجَدِ [6]

(١) أعددت: هيأت؛ وثب: طفر وقفز، أي أنها تثب وثباً في مشيها لمرحها، وفرس جواد رائع بين الجودة؛ المحثة: من حثه إذا حضه، وفرس جواد المحثة: إذا حث جاءه جري بعد جري؛ المرود مصدر من أرود إذا رفق. يريد أنه جواد اذا حث على السرعة وإذا رفق في سيره. (٢) سبح الفرس: مد يديه في جريه كالسابح؛ جمح اعتز فارسه وغلبه؛ الإحضار: ارتفاع الفرس في عدوه؛ المعمعة: صوت الحريق في القصب ونحوه والعمل في عجل؛ السعف: جريد النخل أو ورقه وأكثر ما يقال إذا يبست. (٣) رمح مطرد: مستقيم مستو؛ الرشاء: الحبل؛ الجرور: الفرس يمنع القياد والبطيء، والبئر البعيدة القعر، وبئر جرور يستقى منها على بعير يجر دلوها على شفيرها لبعد قعرها، وبعير جرور: يُسقى به؛ الخلب: لب النخله والليف والحبل منه الصلب الرقيق؛ الأجرد في الأصل قصير الشعر أو الذي لا شعر عليه. (٤) الشُّطْبة والشُّطَبة: طريق السيف والجمع شطب كغرف وكتب؛ غمض السيف في اللحم: غاب؛ الكلم: الجرح. أي يغيب في اللحم فيكون جرحه غامضاً عميقاً غير ظاهر؛ صاب يصيب: أصاب؛ ينأد: يعوج وينعطف. (٥) السك: السد والدرع الضيقة الحلق، ويروى «مسرودة السك» والسرد نسج الدرع وسائر الحلق؛ الموضونة الدرع المنسوجة حلقتين حلقتين أو بالجواهر؛ تضاءلُ تصغر وتنحف إذا طويت حتى تصير كالمبرد. (٦) تفيض: تسيل؛ الأردان ج. رُدن: أصل الكم؛ الأتي: السيل؛ الجدجد: الأرض الصلبة المستوية.

وقال من قصيدة يصف السيف :

متوسداً عضباً مضاربه ... في متنه كمدبة النمل (١)
يدعى صقيلاً وهو ليس له ... عهد بتمويه ولا صقل (٢)

وقال يصف الغيث :

ديمة هطلاء فيها وطف ... طبق الأرض تحرّى وتدر (٣)
تخرج الودّ إذا ما أشجذت ... وتواريه إذا ما تشتكر (٤)
وترى الضب خفيفاً ماهراً ... ثانياً برثنه ما ينعفر (٥)
وترى الشجراء في ريّقها ... كرؤوس قطعت فيها الخمُر (٦)
ساعة ثم انتحاها وابل ... ساقط الأكناف واهٍ منهمر (٧)

---

(١) توسد الشيء : جعله وسادة له ؛ والعضب : السيف القاطع ؛ ومضرب السيف حده ومتنه ؛ مدب النمل مجراه . (٢) صقيل : مصقول مجلو . (٣) الديمة : المطر الدائم في سكون بلا رعد وبرق أو يدوم يوماً وليلة أو أكثر ؛ الهطل : تتابع المطر المتفرق العظيم ، والمطر الضعيف الدائم ، ديمة هطلاء وهُطل ؛ الوطف : الاسترخاء لكثرة مائها ، وفيها وطف : تدلت ذيولها ؛ الطبق : غطاء كل شيء ، والطبق من كل شيء ما ساواه ، والطبق من المطر : العام . يريد أنها عمت الارض كأنها طبق لها ؛ تحرى : تقصد وتعمد ، وتحرى بالمكان : تمكث ؛ تدر : تصب وتسيل . (٤) الود : الوتد وجبل ، أشجذت : ضعف مطرها ، أو أقلعت : أقلعت بعد الانجام ؛ تواريه : تستره وتغطيه ؛ تشتكر : يكثر ماؤها ويجد مطرها ويروى تعتكر أي تشتد . (٥) الماهر : الحاذق بكل عمل ، والسابح الجيد ؛ ثانياً : لاوياً عاطفاً ؛ البرثن : الكف مع الاصابع والمخلب ؛ ينعفر : يتمرغ في التراب ، أي لا يصيبه ولا يلصق به . (٦) الشجراء : الشجر ؛ ريقها : أولها ؛ الخمر : ج . خمار (٧) انتحاها : قصدها واعتمدها ؛ الوابل : المطر الشديد الضخم القطر ،

راحٍ تَمْرِ به الصَّبا ثم انتحى ... فيه شؤبوبُ جَنوبٍ مُنفجر (1)

ثَجَّ حتى ضاق عن آذيِّه ... عرضَ خَيم فخُفاف فيُسر (2)

قد غدا يحملني في أنفه ... لاحق الأيطل محبوك مُمَر (3)

وقال يصف البرق والسحاب :

أعنّي على برقٍ أراه وميض ... يضيء حَبياً في شماريخ بيض (4)

ويهدأ تارات سناه وتارة ... ينوء كتعتاب الكسير المهيض (5)

وتخرج منه لامعات كأنها ... أكُفٌ تلقّى الفوز عند المُفيض (6)

ـالأكناف : النواحي ؛ وهى الشيء : تخرق وانشق واسترخى ، ووهى السحاب : انبثق شديداً ؛ منهمر : سائل منسكب . (1) راح : جاء بالعشي ؛ تمريه : تستخرج ماءه ؛ الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش ؛ الشؤبوب : الدفعة من المطر ، وحد كل شيء وشدة دفعه ، الجنوب : ريح تخالف الشمال مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا ، منفجر : سائل . (2) ثج : سال ، آذيه : موجه ، العرض : الجبل أو سفحه أو ناحيته ، والعرضُ السعة . خيم وخفاف ويسر : مواضع . (3) أنف المطر : أول ما أنبت . لاحق : ضامر . الأيطل الخاصرة ، ويروى « الإطَلين » أي الخاصرتين . محبوك : شديد الخلق . ممر : من أمر الحبلَ إذا أحكم فتله ، أو من المرة وهي القوة . (4) أعني : أسعدني . ومض وميضاً : لمع خفيفاً ولم يعترض في نواحي الغيم . الحبي (بفتح الحاء وضمها) السحاب يشرف من الافق على الأرض ، أو الذي بعضه فوق بعض . الشماريخ : رؤوس الجبال وأعالي السحاب . (5) يهدأ : يسكن . التارة : المرة والحين . السنا : الضوء . ينوء : ينهض ، يجهد . التعتاب مصدر من عتَب يعتُب ويعتِب إذا مشى على ثلاث قوائم من العُقر وإذا وثب برجل ورفع الأخرى . الكسير المكسور . المهيض الذي كسر بعد جبر . (6) تلقى تتلقى وتتناول . الفوز الظفر والربح . المفيض الذي يفيض قداح الميسر ، أي يضرب بها .

قعدت له وصحبتي بين ضارج ... وبين تلاع يثلث فالعريض [1]
أصاب قُطيات فسال اللوى لها ... فوادي البدي فانتحى للأريض [2]
بميث دماث في رياض أثيثة ... تحيل سواقيها بماء فضيض [3]
بلاد عريضة وارض أريضة ... مدافع غيث في فضاء عريض [4]
فأضحى يَسُحُّ الماء عن كل فيقة ... يحور الضباب في صفاصف بيض [5]
فأسقي به أختي ضعيفة إذ نأت ... وإذ بعد المزار غير القريض

وقال يصف البرق والسحاب والغيث وما أثره :

أصاح ترى برقا أريك وميضه ... كلمع اليدين في حبيّ مكلل [6]

---

(١) ضارج موضع . تلاع ج . تَلْعَة ما ارتفع من الارض وما انهبط منها (ضد) ، ومسيل الماء في الصحارى الى الأودية . يثلث (على وزن يضرب ويمنع) موضع ، وكذا العريض . (٢) قطيات واد . اللوى ما التوى من الرمل ، أو ما استرق منه . وادي البدي موضع . الأريض (ويروى البريض) بلد أو واد . (٣) ميث ج . مَيْثاء الأرض السهلة . دماث ج . دَمِثَة المكان السهل . الرياض ج . روضة وهي الارض الخضرة والموضع يجتمع إليه الماء ، فيكثر نبته . أثيثة كثيرة النبات ملتفته . تحيل تصب . الفضيض العذب ، وكل متفرق من ماء المطر والبرد . (٤) عريضة واسعة . أرض أريضة زكية معجبة للعين ، خليقة للخير . مَدافع ج . مدفع وهو مسيل يدفع فيه الماء ويجري . الفضاء (كسحاب) ما اتسع من الارض ، و (ككساء) : الماء يجري على وجه الارض . العريض : الواسع . ويروى «مدافع ماء» . (٥) يسح يصب . الفيقة ما اجتمع من الماء في السحاب ، وأصلها اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين ، عن بمعنى بعد . يحور يرجع . الضباب سحاب رقيق كالدخان . الصفاصف ج . صفصف المستوي من الارض . (٦) وميضه لمعه الخفيف . لمع اليدين تحريكهما . الحبيّ السحاب بعضه فوق بعض ، والسحاب الذي يعترض اعتراض الجبل قبل أن يطبق السماء والسحاب المكلل هو السحابة ـ

يضيءُ سناه أو كمصباح راهب
أهان السليط في الذُّبال المفتل [1]

قعدت له واصحابي له بين ضارج — وبين العُذَيب بعدَ ما متأمّلي [2]
علا قَطَناً بالشيمْ أيمن صوبه — وأيسره على الستار فيذبلِ [3]
وأضحى يسح الماء عن كل فيقة — يكب على الاذقان دوح الكنهبل [4]
كأن مكاكيّ الجواء غُدَيّة — صُبحن سُلافا من رحيق مُفَلفل [5]
ومرّ على القنان من نفيانه — فأنزل منه العصم من كل موئل [6]

ـيكون حولها قطع من السحاب ، فهي مكللة بهن وسحاب مكلل ملمع بالبرق . وفي التبريزي « المكلل : المستدير كالا كليل والمتبسم بالبرق » . (١) سناه ضوؤه . المصباح السراج ، ويروى « أو مصابيح راهب » . أهان أذل . السليط الزيت ، أي أكثره . الذبال ج . ذُبالة الفتيلة . المفتّل المفتول ، شدد للكثرة . (٢) ضارج والعذيب موضعان . بعد ما متأملي أي يا بعد ما أتأمله ! (٣) قطن جبل لبني أسد في نجد . شام البرق شيماً نظر إليه أين بقصد وأين يمطر . (٤) يكب يقلب . الاذقان ج . ذقن مجتمع اللحيين من أسفلهما . الدوح ج . دوحة الشجرة العظيمة . الكنهبل شجر عظام . أي أن هذا المطر اقتلع هذه الاشجار فألقاها على الارض كأنما كبها على وجوهها وأذقانها . (٥) مكاكي ج . مكاء طائر حسن الصوت . الجواء البطن الواسع من الارض وموضع . غدية مصغر غداة ، وأما غدية فلغة في غدوة ، كضحية وضحوة . صبحن سقين صبوحاً وهو ما بات من الشراب فشربوه ، وما شرب صباحاً . السلاف الخمر ، أو ما سال منها من غير عصر . الرحيق أطيب الخمر أو الصافي . مفلفل بلذع لذع الفلفل . يريد أن المكاكي في وقت الغداة تتابع التصويت كأنما سقيت شراباً مفلفلا بلذعها فتصيح . (٦) القنان : جبل . نفيانه : ما تطاير منه . العصم ج . أعصم الوعل في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أحمر أو أسود . الموئل : مستقر السيل والملجأ . يريد أن نفيان أصحاب ـ

وتَيماء لم يترك بها جِذع نَخلة ... ولا أُطُماً إلا مشيداً بجَندَلِ (١)
كأنّ ثبيراً في عرانين وَبْله ... كبيرِ أُناس في بجاد مزَمّل (٢)
كأن ذُرى رأس المُجَيْمِرِ غُدْوَةً ... من السَّيل والغُثّاء فَلْكَةُ مِغزَلِ (٣)
كأنّ سِباعاً فيه غرقى غُدَيَّةً ... بأرجائه القُصوى أنابيش عُنصُلِ (٤)
وألقى بصحراء الغبيط بَعاعَه ... نزول اليماني ذي العِياب المُحَمَّل (٥)

ـ هذا الجبل ، فكاد يغرق الاوعال في مقارها الحصينة ، فنزلت منها هربا منه ، ولا يُنزلها إلا الامر الجلل . (١) التيماء : الارض التي لا ماء فيها ولا نحو ذلك ، وتيماء : بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى ؛ جذع النخلة : ساقها ؛ الاطم : الحصن المبني بالحجارة والقصر وكل بيت مربع مسطح ؛ شاد الحائط : طلاه بالشيد وهو ما يطلى به من جص ونحوه فهو مشيد؛ الجندل : الحجارة . (٢) ثبير : جبل بظاهر مكة ؛ عرانين : ج . عرنين وهو من كل شيء أوله . الوبل : المطر الشديد، والضخم القطر . ويروى :

كأن أبانا في افانين ودقه

أبان : جبل . أفانين : ج . أفنون : وهو الضرب من الشيء ، وافنون السحاب أوله . الودق : المطر . البجاد : الكساء المخطط . المزمل : الملفوف . (٣) ذرى : ج . ذروة (بضم الذال وبكسرها) أعلى الشيء ، رأس الشيء اعلاه . المجيمر جبل . السيل الماء الكثير السائل والمجتمع من المطر الجاري في الاودية . الغثاء (كغراب ورمان) القمش ، والبالي من ورق الشجر الذي إذا خرج السيل رأيته مخالطاً زبده . المغزل (مثلث الميم) ما يغزل به . فلكة المغزل ما استدار منه . يريد أن هذا الجبل أحاط به السيل والغثاء ، فلم يبق إلا رأسه المستدير كفلكة المغزل . (٤) كأن سباعاً في ... يروى « كأن السباع » . غرقى ج . غريق بارجائه بنواحيه . القصوى البعيدة ، والقصوى طرف الوادي . أنابيش ج . أنبوش اصل البقل أو الشجر المقتلع باصله . العنصل البصل البري ، ويقال بصل الفار والاسقيل والاسقال (٥) الغبيط الارض المطمئنة الواسعة المستوية ، يرتفع طرفاها ، ومسيل من الماء

وقال يصف الليل :

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدُوله ... عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي (١)
فقلتُ له لما تَمطّى بصُلبه ... وأردف أعجازاً وناء بكلكل (٢)
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل (٣)
فيالك من ليل كأنَّ نجومه ... بكل مُغار الفَتْل شُدَّت بيَذْبُل (٤)

ـ يشق في القفف ، وارض لبني يربوع ؛ البعاع : ثقل السحاب من المطر ؛ والقى السحاب بعاعه : كلّ ما فيه من المطر ؛ اليماني : التاجر اليماني ؛ العياب : ج. عيبة : ما يجعل فيه الثياب . (١) شبه الليل بموج البحر في كثافة ظلمته ، أو في هوله ونكارة أمره ؛ ارخى : ارسل واسدل ؛ السدول : ج. سدل : الستر ، والباء في قوله « بانواع » بمعنى « مع » ؛ الهموم : الاحزان ؛ ليبتلي : ليختبر ما عندي من الصبر والجزع . (٢) تمطى : تمدد ؛ من مطا الشيء إذا مده ، او محول من التضعيف ، أصله تمطط ، كما يقال : تظنى ، من الظن وتقضى من التقضض ؛ الصلب : عظم من لدن الكاهل إلى العجب . ويروى « تمطى بجوزه » أي وسطه ؛ اردف : أتبع ، اعجاز : ج. عجز ؛ ناء : بمعنى بعد ، مقلوب نأى ، او تهيأ لينهض ، أو من ناء بالحمل : نهض به مثقلا ؛ الكلكل : الصدر . قال بعضهم : معنى البيت : ناء بكلكله ، وتمطى بصلبه ، واردف اعجازا ، فقدم واخر ، واستعار الليل صلباً ، واراد وسطه ، وكلكلا واراد اوله ، واعجازا واراد مآخيره . قال الاصمعي : « معناه حين رجوت أن يكون قد مضى اردف اعجازاً . » (٣) انجلي : انكشف ؛ الإصباح : الصبح ؛ أمثل : افضل وادنى الى الخير . ومعنى البيت : ليس الصبح بامثل منك عندي لاني اقاسي فيه من الهموم ما اقاسي فيك . ويروى :

وما الاصباح فيك بامثل !

ومعناه أن جاء الصبح وانا فيك فليس ذاك بامثل ، لان الصبح قد يجيء والليل مظلم . وقيل معناه : وما الاصباح في جنبك او بالاضافة اليك افضل منك ، لاني اقاسي فيه مثل ما اقاسي فيك ، وهو لا يعقل ومخاطبته الليل مخاطبة من يعقل يدل على شدة الوله والتحير . (٤) يالك من ليل : فيه معنى التعجب المستفاد من اللام ، أي يا عجباً

كأن الثُريّا عُلِّقَت في مَصامِها بأمراس كتّان إلى صُمّ جَندَل[1]

ولقد أجاد امرؤ القيس غاية الإجادة في وصف الليل ، إذ شبهه بموج البحر في شدة ظلمته ، وتتابع أهواله الكثيرة ، وإذ جعل له سدولاً لتكون ظلماته أشد . وبرع غاية البراعة في استعارته لليل الصلب والعجز والكلكل ، وفي كنايته عن طوله بشد نجومه بيذبل ، وفي مخاطبته إياه مخاطبة الند للند . ولا يعلم لشاعر من المتقدمين وصف لليل يساوي وصف امرئ القيس هذا أو يتقدمه .

وقد تشاجر[2] الوليد بن عبد الملك وأخوه مسلمة في شعر امرئ القيس والنابغة في وصف الليل ، أيهما أجود ؟ فرضيا بالشعبي ، فأحضر

ـلك من ليل ! المغار : المحكم الفتل ، يذبل : جبل في بلاد نجد ، أي : كأن نجومه ربطت بحبل محكم الفتل بيذبل ، فلا تسير من اماكنها . كنى بذلك عن طول الليل . ويروى :

. . . . . . كأن نجومه بامراس كتان إلى صم جندل

والرواية الاولى اعرف واشهر واسير ؛ الامراس : ج مرس ، ج . مرسة ، وقد يكون المرس للواحد ؛ الصم : الصلاب المصمتة ؛ الجندل : الحجارة . (١) الصوم : القيام بلا عمل ، وصام الفرس : امسك عن العمل مع قيامه ومصام الفرس : مقامه وموقفه ، ومصام النجم : معلقه . ويروى « على صم جندل » يقول : كأن الثريا مشدودة معلقة في موقفها بحبال من كتان علىّ حجارة صلبة ، فهي لا تنتقل ولا تسير . يريد : طول الليل . ويروى هذا البيت عند وصفه الفرس ، والمعنى حينئذ : أنه شبه تحجيل الفرس في بياضه بالثريا ؛ وشبه حوافره بالحجارة ، وقد علقت الثريا في مقام الفرس بحبال من كتان من تلك الحوافر ؛ الثريا : تصغير ثروى مقصورة . (٢) الخزانة والموشح .

فأنشده الوليد أبيات النابغة الثلاثة :

كليني لِهَمٍّ يا أُمَيمةَ ناصبِ ..

وأنشد مسلمة قول امرئ القيس :

وليل كموج البحر ..

فضرب الوليد برجله طرباً ، فقال الشعبي : بانت القضية !

***

الخلاصة

ان امرأ القيس بلغ من الإجادة في الوصف ، ولاسيما وصف الخيل ما لم يبلغه غيره من شعراء الجاهلية وغيرهم ، وافتنانه في وصف الشيء الواحد ، وايراده في صور مختلفة أو متقاربة ، كلها في الدرجة القصوى من البراعة ، شاهد عدل على ان امرأ القيس شاعر فذّ ، خِنديد مفيق ، أتى بما لم تستطعه الاوائل والاواخر .

وصف الفرس

وصف الفرس في مواضع من شعره ، ولم يكد يدع وصفاً حسناً الا وصفه به واجاد فيه .

واذا أمعنت النظر في معلقته ، تبين لك ان فرسه فيها منجردٌ ، قيد الأوابد ، هيكل ، مِكَرّ ، مِفَر ، مقبل مدبر معاً ، سريع كالحجر الذي

حطه السيل من مكان عال ، كميت اللون ، مصقول المتن ، جياش مع ضموره ، مسح حين يميا غيره ، لايستطيع ان يستقر على ظهره راكب لسرعته ، سريع كخذروف الوليد ، يشبه الظبي في ضمور خاصرتيه ، والنعامة في قِصَر ساقيها ، والذئب في إرخائه ، والتتفل في تقريبه ؛ وهو قوي ، سابغ الذنب ، ليس باعزله ، يشبه ظهره مداك العروس في اكتنازه وملاسته ولمعانه ، مخضب النحر بدماء الصيد ، يوالي بين ثور ونعجة في طلق واحد ، تام الحسن ، إذا نظرت العين اعلاه لا بدّ ان تنظر اسفله ، لأنه حسن كله ، وبعد ان اصطاد عليه بات ينفض رأسه من المرح والنشاط لأنه لم يتعب في الصيد .

وهذا الفرس اصطاد عليه ، فوصفه بكل ما يتطلبه الوصف لهذا الغرض : من قوة وصلابة وسرعة ونشاط ، وشبهه بأجمل ماعنداهل البادية من المشبهات بها ، للدلالة على الأغراض ألتي يقصدها . ولم يصف جميع اعضائه ، لأن غرضه ان يصفه بما يتطلبه الصيد ، وهذا لايتوقف عليه ذكر الأعضاء وما شاكلها .

وأما فرسه في مواطن أخرى من شعره ، فهو : منجرد ، قيد الأوابد ، غيّره مطاردة السوابق من الوحش ، جيأش مع تعبه ، كأن ظهره سرحة مرقب ، وكأنه عود مشجب ؛ يشبه الظبي في خاصرتيه ، والنعامة في ساقيها ، والعير في صهوته ؛ حوافره صلبة مصفرة كحجارة الغيل ، وكفله كالدِعص الملبد ، وحاركه كالغبيط المذأّب ، وعينه كمرآة الصناع ، وأذناه كريمتان حسنتان ، كأذني البقرة الوحشية المذعورة ، ودفراه مستديرة

ورأسه عال ، وذنبه اسود ، كثير الشعر ، ريان العسيب اذا اسرع سمعت له حفيفاً كحفيف الأثأب اذا ضربته الريح ، قطاته كالمحالة ، يغير به يوما على بقر الوحش ، ويوما على حمرها ، وهو محبوك الظهر ، مجنب ، سربع كشؤبوب المشي ، سربع كالخذروف ، يدرك الصيد من غير ان يجهد ، أزعج الفأر من انفاقها ، وعادى بين ثور ونعجة وبين شبوب ، وترك للثيران غماغم ، وهي بين كاب على جبينه ، ومتق بقرنه ، وقد تأذى من رائحة عرقه ، فجعل ينفض رأسه ، وتلطخ نحره بدماء الهاديات وذنبه ضاف فويق الأرض .

وقد وصف كثيراً من أعضائه كعينه ، وأذنه ، وذفراه ، ورأسه ، وشعره ، وعذره ، وسالفته ، وجبهته ، ومنخره ، وظهره ، وخاصرتيه ، وحاركه ، وصدره ، و كفله ، وقطاته ، وذنبه ، وساقيه ، وحوافره ، وثننه ؛ ولم يكد يدع شيئا من اعضائه وشبهه بتشبيه رائع مونق ، ووصفه مقبلا ومدبراً ومعرضا ، ونعته بالسرعة والنشاط والتقدم .

وقص علينا اصطياده عليه ، ووثوقه بالصيد منذ ركبه ، و كثرة الصيد الذي ألقيت عيونه حول الخباء ، كل ذلك باسلوب ساحر عذب .

وقد افتن في التشبيه افتناناً يدل على براعة رائعة ، وملكة مطاوعة وكثيراً ما يشبه العضو الواحد بأشياء متعددة مختلفة : فقد شبه ظهره بمداك العروس ، وصلاية الحنظل ، وصهوة العير ، وعرف الرخامي ، وسرحة مرقب .

وشبه حافره بعقب الوليد ، وحجارة الفيل الوارسة ، والملاطس ، وهكذا كثير من اعضائه .

ووصفه بالسرعة بأبيات لا يمكن لغيره أن يحوم حولها او يدانيها مثل قوله:

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولا وان

وقوله:

على ربذ يزداد عفواً اذا جرى مسح حثيث الركض والذألان

وقوله:

كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله: دريرٍ كخذروف الوليد ..

وقوله:

يجم على الساقين بعد كلاله جموم عيون الحسي بعد المخيض

وقوله: وولى كشؤبوب العشي بوابل ...

وقوله:

سبوحاً جموحاً وإحضارها كمعمعة السعف الموقد

وقوله:

كأني بفتخاء الجناحين لقوة صيود من العقبان طأطأت شملالا

وقوله:

كأن غلامي اذا علا حال متنه على ظهر باز في السماء محلق

وقوله:

يخرجن من خلل الغبار عشية بالدارعين كأنهن ظباء

وبهذا وأمثاله يتضح لنا معنى قولهم «أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب.»

وصف الناقة:

أما وصف الناقة فلا يقل في اجادته وبراعته عن وصف الفرس ، فقد وصفها في مواطن من شعره ، فهي : أدماء ، طويلة ، جسرة ، ذمول ، بعيدة بين المنكبين ، كأن قطاً مربوطاً عند ضفرها ، صلبة ، قوية كألواح التابوت ، قوائمها صلاب غلاظ .

وهي نشيطة ، سريعة تطاير الحصى فيصك بعضه بعضا ، حتى كأنه صليل زيوف في يد النقاد .

وقد شبهها مرة بحمار وحش عنيف بتجميع الضرائر ، أورد أتنه ماء ، وهن يحاذرن صياداً من بني ثعل .

وشبهه اخرى بحاربات إلى أرطاة ، فصبحته كلاب ابن مر ، أو ابن سنبس ، فأدبر يثير التراب ، ثم أدركنه ، فأخذن بساقه ونساه ثم تركنه ، وشبهها بالظليم في قوله :

كأني ورحلي والقراب ونمرقي　　إذا شب للمرو الصغار وبيص (١)

على نقنق هيق له ولعرسه　　بمنعرج الوعساء بيض رصيص (٢)

وصف كلب الصيد

وصف كلب الصيد بأنه فهم ، داجن ، تبوع ، طلوب ، نكر ، ألص الضروس . وقص علينا كيف انشب اظفاره في نسا ثور الوحش

---

(١) القراب : غمد السيف ؛ النمرق: الطنفسة فوق الرحل ؛ شب : اوقد ؛المرو : ج . مروة حجارة بيضاء براقة توري النار ، وبيض : لمعان وبرق . (٢) نقنق ذكر النعام أو النافر ؛ الهيق : ذكر النعام أيضاً ، والدقيق الطويل ؛ المنعرج : المنعطف الوعساء : رابية من رمل لينة ، وموضع ؛ بيض: ج . بيضة ؛ رصيص: بعضه فوق بعض .

وكيف كر هـذا بميرانه ، وادخلها في الكلب ، فجعل يرنح ويستدير ، كالحمار النعر .

وهو الذي مهد السبيل للنابغة وزهير ، وفتح لهما هذا الباب ، فوصفا كلاب الصيد ، وما دار بينها ، وبين الثور الذي شبها به الناقة من المواثبة والعراك ، وهما طبعا علَى غرار امرئ القيس ، وترسما خطاه في ذلك .

وصف الغيث والسيل

وقد وصف المطر وصفا دقيقاً رائعاً ، فجعل الديمة الهطلاء طبق الارض ، إذا ضعفت أظهرت الجبل ، وإذا اشتدت وارته ؛ وجعل الشجر كرؤوس فيها خمرٌ مقطمة ، ثم كثر المطر حتى ضاقت عن موجه خيم وخُفاف ويسر .

وجعله في موضع آخر يكب دوح الكنهبل ، وينزل العصم عن موائلها ، ولم يدع نخلة بتيماء الا اقتلعها ، ونزل على ثبير فجعله كالشيخ المزمل في البجاد ، واحاط بالمجيمر حتى صار رأسه كفلكة المغزل ، وعامت السباع الغرقى فيه كأنها انابيش عنصل .

* * *

ووصف البرق وشبهه بلمع اليدين مرة ، وبمصابيح الكسير مرة اخرى ، وبالأكف التي تتلقى الفوز عند مفيض القداح مرة ثالثة .

ووصف النبات وشبهه بعد المطر بما في عياب اليماني من الثياب المنقوشة المختلفة الألوان ، وشبهه مرة اخرى بألوان عنب الثعلب .

ووصف الدرع والسيف والوادي والليل والذئب وصفاً يدل على براعة فائقة، ومهارة باهرة، ولعل اظهر موطن تتجلى فيه براعته وعبقريته في الوصف وصف الخيل ووصف النساء، وقد قدمنا أمثلة من شعره تدل على هذا.

الفخر

علمنا أن امرأ القيس كان مولعاً بالنساء والصيد وما اليهما، مما تقتضيه الصبوة، وكذلك كان شجاعاً فارساً، طماحاً الى معالي الامور، بعد ان أفاق من سكرته، وايقظه الدهر من رقدته.

وكان شديد الاعتداد بنفسه، واسع الآمال، لايسعى الا إلى مجد مؤثل يدرك امثاله، ولا يقيم ببلدة يأذى بها، وينازل البطل الشديد ولا تطيش سهامه. ولذلك استطاع ان يأتي في شعره بصور من الفخر رائعة، كقوله من قصيدة - بعد ان وصف ناقته -:

عليها فتىً لم تحمل الأرض مثله ... أبرَّ بميثاق وأوفى وأصبرا (١)

هو المُنزِل الآلاف من جو ناعط ... بني اسد حَزناً من الأرض اوعرا (٢)

ولو شاء كان الغزو من ارض حِمير ... ولكنه عَمداً الى الروم انفرا (٣)

---

(١) الميثاق: العهد. (٢) ناعط: جبل باليمن. أي أنزل الالاف بني أسد في هذا الجبل على كثرتهم ليتحصنوا فيه. وبني أسد بدل من آلاف، او نصب على النداء. وزعم بعضهم ان الرواية «المنزل الألاف» وانهم القصاد الذين الفوا إحسانه، والاولى اليق بالفخر، واقرب إلى البلاغة؛ الحزن: ما غلظ من الارض؛ أوعر: اكثر وعورة وهي ضد السهولة. (٣) انفر اصحابه: اغزاهم.

بكى صاحبي لما رأى الدَّرب دونه وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا [1]

فقلت له : لاتبكِ عينكَ إنما نحاول ملكاً او نموتَ فنعذرا [2]

* * *

وكنا أُناسا قبل غزوة قَرمَل ورثنا الغنى والمجد اكبر اكبرا [3]

وما جبنت خيلي ولكن تذكرت مرابطها من بَربَعِيص ومَيْسرا [4]

الا رُبَّ يوم صالح قد شهدته بتأذف ذات التل من فوق طَرْطَرا [5]

ولا مثل يوم في قَدَاران ظلته كأني واصحابي على قرن اعفرا [6]

ونشرب حتى نحسب الخيل حولنا نِقاداً وحتى نحسب الجون اشقرا [7]

وكان حُجر استعان ببني حنظلة من بني تميم ، فبعث بنو اسد الى حنظلة تسألها ان تخلي بينها وبين كندة ، فاعتزلت حنظلة وخذلت حجراً ، فلما التقت اسد و كندة انهزمت كندة وقتل حجر ، فاقسم امرؤ القيس

---

(١) صاحبه : عمرو بن قميئة ، وقد تقدم خبره ؛ الدرب : كل مدخل إلى بلاد الروم • (٢) يروى « لا تبك عيناك » • (٣) قرمل : مقول استنجد به امرؤ القيس فثبطه ، او غزا كندة قبل امرئ القيس فاصاب منهم • (٤) بربعيص وميسر (كمقعد) : موضعان بالشام وقد أكرم فيهما • (٥) تأذف (كتضرب) : بلد على بريد من حلب ؛ طرطر : موضع في الشام وقد أوقع فيهما بعدوه • (٦) قداران : موضع ظفر فيه أكثر من ظفره بتأذف ؛ الاعفر : الظبي الابيض ليس بالشديد البياض ، أو الذي يعلو بياضه حمرة ، وكأنه على قرن ظبي ، أي على غير طمانينة • ورواه في التاج :

ولا مثل يوم في قدار ظللته كاني وأصحابي بقُلّة عندرا

وقدار : موضع ؛ القلة : اعلى الجبل ، او كل شيء ؛ عندر : جبل • (٧) نقاد : ج • نقد : جنس من الغنم قبيح الشكل •

لابنة العامري أن تميم بن مر وأشياعها لا يدعون أنه يفر إذا كانت كندة مجتمعة حوله ، لأن الارض تحترق إذا ركبوا واستلأموا في اليوم البارد وذلك حيث يقول :

فلا وأبيك ابنة العامري ... لا يدعي القوم أني أفرّ
تميم بن مر وأشياعها ... وكندة حولي جميعاً صبر[1]
إذا ركبوا الخيل واستلأموا ... تحرّقت الارض واليوم قرّ[2]

وقال :

فلو أنما أسعى لأدنى معيشة ... كفاني - ولم اطلب - قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل ... وقد يدُركُ المجد المؤثل امثالي[3]

وقـال

وشمائلي ما قد علمت وما ... نبحت كلابك طارقاً مثلي

وكان بين امرئ القيس وبين سُبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة قرابة ، فأتاه امرؤ القيس يسأله ، فلم يعطه شيئاً ، فقال سبيع أبياتا يعرّض فيها بامرئ القيس ، فقال امرؤ القيس مجيباً له من قصيدة :

أبلغ سبيعا ان عرضت رسالة ... أني كهمك إن عشوت أحامي[4]
فاقصر اليك من الوعيد فإنني ... مما أُلاقي لا أشدُّ حزامي[5]

(١) أشياع : ج . شيعة ، بمعنى اتباع وانصار ، يقع للواحد والمذكر وغيرهما . صبر : ج . صبور . (٢) استلأم : لبس اللأمة أي الدرع ؛ تحرقت : احترقت ؛ قر : بارد (٣) المؤثل : المعظم (٤) كهمك : أي كما هممت به وحسبته ؛ عشى النار : رآها ليلا من بعيد فقصدها مستضيئا ؛ احامي : ادافع . (٥) اقصر إليك من الوعيد : امسك وعيدك . يريد : اني مما ألاقي لا احتاج أن انشدد للاشياء ولا اتحزم لها .

وأنا المنبة بعد ما قد نوّموا وأنا المعالن صفحة النوّام [1]
وأنا الذي عرفت معدٌّ فضله ونَشَدْتُ عن حُجْر بن أمّ قطام [2]
خالي بن كبشة قد علمت مكانه وأبو يزيد ورهطه اعمامي [3]
وإذا أذيت بِبلْدَة ودّعتها ولا أقيم بغير دار مُقام [4]
وأُنازل البطل الكريه نزاله وإذا أُناضل لاتطيش سهامي [5]

وقد تقدم ان امرأ القيس بعد حب النساء له مفخرة يفتخر بها كما يفتخر بشجاعته ورباطة جأشه .

وتقدمت كلمته التي ذكر فيها انه سما إلى محبوبته بعد ما نام أهلها ، وهصر بغوديها وراضها فذلت ، وافتخر بحبها إياه حتى اصبح معشوقا لها ، وأصبح بعلها سيء الحال ، يغط غطيط البكر ، ثم تغنى بقوله :

كأني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

---

(١) نوموا : ناموا ؛ عالنه : اعلن اليه الامر وجاهره ؛ الصفحة : الوجه . يريد : انه يغير عليهم ، فيوقظهم ، فيقاتلهم وهم مستيقظون لشجاعته وقدرته عليهم . ويروى « وانا المنبه » (بفتح الباء) اي اليقظان ، ويروى « المنبّه » (بكسر الباء) اي انبه من نام . ومن روى هذه الرواية قال : المعالي صفحة النوام ، اي ارفع خدودهم من الارض اذا استثقلوا من النوم . (٢) عرفت معد : خص معداً لان امرأ القيس من اليمن . يريد : ان البعداء عرفت فضله ، فما لك بالقرباء ؛ نشد الشعر : أشاد بذكره ، وانشد : رفع صوته . ويروى « اشدت » أي رفعت وفخرت به . (٣) ابن كبشة وابو يزيد من اشراف كندة ؛ رهط الرجل : قومه وقبيلته . (٤) أذيت : تاذيت ؛ البلدة : كل قطعة من الارض مستحيزة عامرة او غامرة ، وجنس المكان . ودعتها : رحلت عنها ؛ المقام : محل الإقامة (٥) اناضل : ارمي ؛ لا تطيش سهامي : لا تجاوز الغرض .

الى آخر الأبيات ....

وقال من قصيدة أخرى يفتخر بنظر احبائه اليه ، وتطربه بالقيان ، وكشفه المعضلات ، لسداد رأيه ، ورجاحة عقله ، وشهوده الغارات لشجاعته :

ليالي يدعوني الهوى فأجيبه ... وأعين من أهوى اليّ روان [1]
وان أمس مكروبا فيا رُب بهمة ... كشفت اذا ما اسودّ وجه الجبان [2]
وان امس مكروبا فيارُبَّ قَينةٍ ... منعمةٍ اعملتها بِكران [3]
لها مِزهر يعلو الخميس بصوته ... أجش إذا ما حركته يدان [4]
وان أمس مكروباً فيا رب غارة ... شهدت على أقبَّ رِخوِ اللّبان [5]

وقال حين أغار على قتلة أبيه في بني كنانة ولم يظفر بهم :

والله لا يذهب شيخي باطلا [6]
حتى أبير مالكا و كاهلا [7]
القاتلين الملك الحُلاحلا [8]

(١) روان : ج ٠ رانية : مديمة النظر ٠ (٢) الكرب : الحزن ياخذ بالنفس ؛ البهمة الخطة الشديدة ، والامر المشكل ، والشجاع او الفارس الذي لايهتدى من أين يؤتى له من شدة بأسه ، والجيش ؛ كشف : اظهر ، ورفع الشيء عما يواريه ٠ (٣) القينة : المغنية ؛ الكران : العود ٠ (٤) المزهر : العود ؛ الخميس : الجيش ؛ اجش : غليظ الصوت ٠ (٥) اغار على القوم غارة واغارة : دفع عليهم الخيل ؛ شهدت : حضرت ؛ اقب : ضامر البطن ؛ الرخو « بتثليث الراء » الهش اللين من كل شيء ؛ اللبان : الصدر او وسطه ٠ (٦) يريد بشيخه اباه ؛ باطلا : ضائعاً ، أي لا يذهب دمه هدرا ٠ (٧) أبير : اهلك ؛ مالك و كاهل : قبيلتان من اسد من قتلة أبيه ٠ (٨) الحلاحل : السيد الشجاع أو الضخم الكثير المروءة ، يريد أباه ٠

خير معدّ حسباً ونائلا (١)
وخيرهم قد علموا فواضلا (٢)
يا لهف هندٍ إذ خطئن كاهلا (٣)
نحن جلبنا القُرّح القوافلا (٤)
يحمِلْننا والأسَل النواهلا (٥)
مستفرمات بالحصى جوافلا (٦)
نستثفِر الأواخر الأوائلا (٧)

وقال من قصيدة بعد أن وصف الجواد بأبيات تقدمت وذكر فيها أنه قطع خرقاً بعيداً كجوف العير مضلة :

---

(١) معد : قبيلة من مضر خصها بالذكر لان أباه يمني من قحطان ؛ الحسب : ما تعده من مفاخر آبائك ، والشرف في الفعل ؛ النائل : العطاء . (٢) الفواضل : ج . فاضلة : الدرجة الرفيعة ، واليد الجسيمة أو الجميلة (٣) هند : اخت امرئ القيس قيل : زوجة أبيه . (٤) القرح : ج . قارح : المسن من الخيل ؛ القافل : اليابس الجلد يريد : الضوامر . (٥) الاسل : الرماح ؛ النواهل : العطاش يروى بعده : « وحي صعب والوشيج الذابلا » ؛ صعب : من احياء اسد ، كانوا مع امرئ القيس ؛ الوشيج : شجر الرماح ، والمراد الرماح ؛ الذابل : الرقيق اللاصق بالليط أي القشر (٦) الفِرام دواء تتضيق به المرأة ، والفِرامة : خرقة تحتشي بها اوان الحيض ، استفرمت فهي مستفرمة : يريد أن هذه الخيل تضرب فروجها بالحصى من شدة سيرها وسرعته ، فكانها تستفرم به ؛ جوافل : مسرعة . (٧) الاستثفار : ان يدخل ازاره بين فخذيه ملويا وان يدخل الكلب ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه ، والثفر للسباع كالحياء للناقة ، والسير في مؤخر السرج . يريد انها تضرب اثفارها بالحصى ويروى : « يستشرف الاواخر الاوائلا » أي يعلو .

وَمَجْرٍ كغُلَّانِ الأُنَيْعِمِ بالغٍ ... دِيارَ العدو ذي زُهاءٍ وأركان (١)

مَطَوْتُ بهم حتى تكلَّ مطيُّهم ... وحتى الجيادِ ما يُقَدْنَ بأرسان (٢)

وحتى ترى الجون الذي كان بادناً ... عليه عوافٍ من نُسور وعقبان (٣)

وقال من قصيدة يتوعد بها بني اسد ، وقد نسبها في « معاهد التنصيص » الى امرئ القيس بن عانس الكندي الصحابي الجليل :

تطاول ليلك بالأثمد ... ونام الخليُّ ولم ترقُد (٤)

وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العائر الأرمد (٥)

وذلك من نبأٍ جاءني ... وأُنبئته عن أبي الاسود

ولو عن نثا غيره جاءني ... وجُرْحُ اللسان كجرح اليد (٦)

لقلت من القول مالايزا ... ل يؤثر عني يدَ المُسْنَد (٧)

---

(١) المجر : الجيش الكثير العظيم ؛ الغلان : منابت الطلح ، او اودية غامضة في الارض ، ج . غال وغليل ، ونبات ج . غال ؛ الانيعم : موضع ؛ يقال قوم ذوو زهاء : أي ذوو عدد كثير ؛ الاركان : ج ركن : الجانب الاقوى ، والعز والمنعة ، وما تقوى به من ملك وجند وغيره . وركن الرجل : قومه ، وعدده ، ومادته (٢) مطا : جد في السير واسرع ؛ تكل : تعيا وتتعب ، الجياد : ج . جواد : الفرس البين الجودة ، الرائع ؛ يقدن : من قاد الدابة جرها من امامها ؛ ارسان ج . رسن . (٣) الجون من الخيل : الادهم ؛ البادن : الجسيم ؛ عواف : ج . عاف وهو الرائد والوارد ، والضيف ، وكل طالب فضل او رزق . (٤) الاثمد موضع ؛ الخلي الفارغ من الهم ؛ لم ترقد لم تنم . (٥) العائر الرمد ، وبثر في الجفن الاسفل ، وغمصة تمض العين ، كأنما وقع فيها قذى ، الأرمد : من الرمد وهو وجع العين وانتفاخها . (٦) النثا ما اخبرت به عن الرجل من حسن او سيء . (٧) روي في « معاهد التنصيص » « لقلت في القول » يؤثر يروى وينقل ، المسند الدهر ، يقال لا آتيه يد المسند ويد الدهر أبداً .

بأيـّ علاقتنا ترغبو ... ن اعن دم عمرو على مرثد (1)
فان تدفنوا الداء لا نخفه ... وان تبعثوا الحرب لا نقعد (2)
وان تقتلونا نُقَتّلكم ... وان تقصدوا لدم نقصد (3)
متى عهدنا بطعان الكما ... ة والمجد والحمد والسؤدد
وبَني القباب ومَلء الجفا ... ن والنار والحطب المفأد (4)
واعددت للحرب وثابة ... جواد المحثة والمُرود

* * *

الخلاصة

كان امرؤ القيس شديد الإعجاب بحسنه ، شديد الاعتداد بنفسه وبشجاعته ، كثير الطموح إلى المعالي ، شديد الإباء .

وكل ما يفتخر ويتمدح به ميل الحسان اليه ، وشغف أفئدتهن به ، وشرب الخمر ، وسباء الزق للذة ، وتبطن الكاعب ، وإعمال القيان بالكران ، ونحو هذا مما تقتضيه جهلة الفتوة .

ويتمدح بركوب الجياد ، ومطاردة الوحش عليها ، وشهود الغارات وكشف البهم ، وركوب النوق لتسلية الهموم .

---

(١) العلاقة النيل ، وما تعلقوا به عليهم ، مثل علاقة المهر ، اي ما يتعلقون به على المتزوج ، ورواه في اللسان « ترغبون عن دم » . (٢) رواه في « المعاهد » « وان تبعثوا الداء » . (٣) رواه في « المعاهد » « نقاتلكم » . (٤) الجفان ج جفنة القصعة الكبيرة ، وفي (المعاهد) « والحطب الموقد » وهو أحسن ؛ لأننا لم نجد « أفأد الحطب » بمعنى أوقده ، وانما يقال لحم مفأد ، اذا شوي فوق الجمر .

ويفتخر بخلائقه ، فهو المنية أو المنيه ، وهو الأبيُّ الذي لايقيم على ضيم ، والشجاع الذي ينازل الأبطال ، والرامي الذي لا تطيش سهامه ، والبطل المنزل الآلاف من بني أسد ، ولا ينام على وتر ، ويطو بالمجر حتى تكل جياده ، ويهزل سمانها ، ونحو هذا مما تتطلبه الشجاعة والأنفة .

ويفتخر بعظم آماله وأمانيه ، وكبر نفسه . فهو لم تحمل الأرض مثله أبرَّ وأوفى وأصبر . وهو يحاول ملكاً أو يموت ، وهو لا يسعى إلا لمجد مؤثل قد يدركه أمثاله .

ونحو هذا مما يلائم النفس العظيمة ، العظيمة الأمل .

ويفتخر بقومه وشجاعتهم ، ويعتز بأسهم وصبرهم .

وهذه الخلال التي يتمدح بها أهل عصره وبيئته . وقد أجاد فيها كلها .

ولم ينقصه إلا التمدح بالجود ، ولعله لم ير إطعام الطعام لصحبه ومعتفيه منقبة تستحق أن يباهى بها . على أنه ذكر في معلقته عقر ناقته للعذارى ، وذكر فيها وفي غيرها ما كان من عمل الطهاة وإنضاجهم صفيف شواء أو قديرا معجلاً . وذكر في بائيته ما كان من مشهم أيديهم بأعراف الجياد ، ولكنه لم يورد شيئاً من هذا على سبيل الفخر إلا في قوله السابق :

وبني القباب وملْء الجفا　　ن والنار والحطب المُفْأَد

المدح

قال يمدح عوير بن شجنة من بني عوف الطائي ، و كان أجاره وأجار هنداً أخته ، فوفى لها حتى أتى بها نجران :

إن بني عَوف ابتَنوا حَسَباً ... ضيّعه الدُّخلُلُون إذ غَدَروا [1]
أدوا إلى جارهم خفارتـه ... ولم يضع بالمَغيب من نصروا [2]
لم يفعـلوا فعل آل حنظلة ... إنهم، جَيْرِ، بئس ما ائتمروا [3]
لا حِميَرِيٌّ وفى ولا عُدَس ... ولا است عَيرٍ يحكها الثَفَر [4]
لكن عُوَير وفى بذمتـه ... لا عَوَر شانه ولا قِصر [5]

(١) ابتنوا حسباً : أي بسبب اجارتهم لي . الدخلل : الذي يداخل الرجل في أمره ويصاحبه عليه ، وهم الخاصة . (٢) جارهم : يريد نفسه . الخفارة (مثلثة) : اسم من خفره إذا آمنه واجاره ومنعه ، يريد : ذمته وعهده . المغيب : أي من غاب عن أهله وأنصاره ، فإنهم ينصرونه . (٣) اقتتل في يوم الكلاب الأول بنو تغلب والنمر ابن قاسط وسعد بن زيد مناة ، وكانوا مع أبي حنش التغلبي — وبكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبنو أسد وطوائف من تميم ، وكانوا مع شرحبيل بن عمرو ، فقتل أبو حنش شرحبيل وخذلته طوائف من تميم ، وقد أشار إلى ذلك امرؤ القيس بقوله :

فما قاتلوا عن ربهم وربيبهم ... ولا آذنوا جاراً فيظعن سالما

جير بمعنى أجل ، أي إن بني عوف لم يفعلوا من الغدر ما فعلته بنو حنظلة من خذلان شرحبيل . (٤) حميري وعدس : رجلان من حنظلة ، واست العير : منهم أيضاً ، سماه بذلك استهانة . يحكها الثفر : أي يمتهن في الخدمة . والثفر : السير الذي في مؤخر السرج . (٥) يريد : أنه آمن أخت امرىء القيس حتى اوصلها إلى نجران .

وقال يمدحه أيضاً ويمدح رهطه :

ألا إن قوماً كنتم أمس دونهم ... هم منعوا جاراتكم آل غُدْران (١)
عُوَير ومن مثلُ العوير ورهطه ... وأسعد في ليل البلابل صفوان (٢)
ثياب بني عوف طهارى نقيــة ... وأوجههم عند المشاهد غُرّان (٣)
هم أبلغوا حيَّ المضلل أهلهم ... وساروا بهم بين العراق ونجران (٤)
فقد أصبحوا والله أصفاهم به ... أبرّ بميثاق وأوفى بجيران (٥)

وقال يمدح المعلى أحد بني تيم من بني ثعلبة ، وقد أجاره من المنذر ابن ماء السماء حين طلبه :

كأني إذ نزلت على المُعلَّى ... نزلت على البواذخ من شَمَام (٦)
فما ملك العراق على المعلى ... بمقتدر ولا الملك الشآمي (٧)
أصدَّ نشاص ذي القرنين حتى ... تولّى عارض الملك الهمام (٨)
أقرّ حشى امرئ القيس بن حجر ... بنو تيم مصابيح الظلام (٩)

---

(١) آل غدران : بطن من العرب . (٢) البلابل : الهموم والوساوس . عوير وصفوان : سيدا بني عوف . (٣) المشاهد : محاضر الناس ، ج . مشهد . غران : ج . أغر أي أبيض . (٤) أبلغوا : اوصلوا . المضلل : امرؤ القيس نفسه ، ويقال له : الملك المضلل والضليل ، ويقال إنه سمي الملك الضليل بهذا البيت . (٥) أصفاه بالشيء : آثره به . (٦) الباذخ : الجبل الطويل والعالي . شمام : جبل معلوم . (٧) ملك العراق : المنذر بن ماء السماء ، والملك الشآمي : الحارث الغساني . (٨) أصد : منع وصرف ورد ، ويروى « أشذ » أي نحى وفرق . نشاص ما ارتفع من السحاب . ذو القرنين : المنذر الاكبر ، سمي بذلك لضفيرتين كانتا له . العارض : السحاب المعترض في السماء ، شبه الجيش بالسحاب لعظمه وسواده . تولي : انهزم . (٩) أقر : سكن وطامن ، يريد : أمنوه فسكنت نفسه ، وقد ــ

ونزل امرؤ القيس على رجل من جديلة يقال له « طريف بن مالك » فأكرمه وأحسن إليه ، فقال امرؤ القيس يمدحه :

لَنِعمَ الفتى تعشو إلى ضوءِ ناره
طريف بن مالٍ ليلة الجوع والخَصِر [1]

إذا البازل الكوماء راحت عشية
تُلاوِذ من صوت المُبسّين بالشجر [2]

وقال يمدح سعد بن الضباب وكان نزل به :

منعت الليث من أكل ابن حُجْر ... وكاد الليث يودي بابن حجر [3]
منعت فأنت ذو مَنٍّ ونُعْمَى ... عليَّ ابن الضباب بحيث تدري [4]
سأشكرك الذي دافعت عني ... وما يجزيك مني غير شكري [5]
فما جار بأوثق منك جاراً ... ونصرك للفريد أعز نصر [6]

* * *

ـ شهروا بقول امرىء القيس هذا حتى سموا مصابيح الظلام .

(١) نعشو تنظر ، يقال : عشا ناره ، وإلى ناره : رآها ليلاً من بعيد ، فقصدها مستضيئاً . الخصر : البرد . (٢) البازل : التي انتهى سنها . الكوماء : العظيمة السنام عادت من المرعى عشيةً إلى مراحها . لاوذ به : امتنع به . أبسها : قال لها عند الحلب : بَسْ بَسْ ، أو بُسْ بُسْ لتدرّ . وقوله : المبسين بالشجر ، لعله يريد الحظائر المتخذة من الشجر ، ويروى « بالسحر » . (٣) أراد بابن حجر ، نفسه . يودي به : يذهب به . (٤) المن : الإنعام واصطناع الصنيعة . النعمى : اليد البيضاء . (٥) الشكر : عرفان الإحسان ونشره . (٦) الجار : المجاور والمجار والمستجير . وثق به : ائتمنه ، ووثُق : صار وثيقاً أي محكماً ، أو أخذ بالثقة . الفريد : المنفرد أو الواحد .

ونزل امرؤ القيس على خالد بن سدوس بن اصمع النبهاني فأغار عليه باعث بن حويص الجديلي الطائي في رجال معه، فذهبوا بإبله، فلما علم ذلك امرؤ القيس أخبر جاره خالداً، فقال له خالد: «أعطني رواحلك ألحق بها القوم، فأردّ إبلك»، فأعطاه رواحله، فركبها خالد، فلما أدركهم قال: «يا بني جديلة! أغرتم على جاري فردّوا إليه إبله فقالوا: «ما هو لك بجار». فقال: «بلى والله! ما هذه الإبل التي معكم إلا كالرواحل التي تحتي؟» فقالوا: «أكذاك؟» فرجعوا إليه، فأنزلوه عنها، وذهبوا بها أيضاً؛ فلما عاد إلى امرئ القيس، أخبره بما وقع، فتحول عنه إلى جارية بن مر الثعلي، فأجاره وأكرمه، فقال يمدحه ويمدح بني ثُعل[1]:

دع عنك نهباً صيح في حَجَراته ولكن حديثاً ما حديث الرواحل[2]
كأنَّ دِثاراً حلقت بلَبُونه عُقاب تنوفى لا عُقاب القواعل[3]

---

(١) وفي السيوطي: أن خالداً ردّ الإبل ثم انتقل امرؤ القيس إلى بني ثعل.

(٢) نهبا: ما يغار عليه، وما انتهب. حَجَراته: نواحيه. والرواحل ج. راحلة الإبل الصالحة لأن ترحل (٣) دثار بن فقعس بن طريف: من بني أسد، راعي امرئ القيس. حلقت: ارتفعت في طيرانها. اللبون: الإبل ذوات اللبن. والعقاب طائر. وتنوفى جبل عالٍ، وفي القاموس ثنية مشرفة قرب القواعل، ويقال: يَنوفى. وفيه أيضاً: ويَنوفى أو تنوفى أو تنوف: موضع بجبلي طيء. القواعل ج. قوعلة: الجبيل الصغير، أو الأكمة الصغيرة. والقاعلة: الجبل الطويل. ويقال: «عقاب قوعلة» على الصفة والإضافة، أي تأوي إليها، وتعلوها. قال ابن الكلبي أخبث العقبان ما أرى في الجبال المشرفة (وهذا مثل) أراد كأن لبون دثار ذهبت بها ذاهبة أي آفة، وأراد: أنه أغير عليه من قبل —

تَلعب باعِث بـذمـةِ خالد وأودى عصام في الخطوب الأوائل [1]
وأعجبني مَشي الحُزُقَّة خالد كمشي أتان حُلِّئت في المناهل [2]
أبَت أجأٌ أن تُسلِم العامَ جارَها فمن شاء فلينهض لها من مقاتل [3]
تبيت لبُوني بالقُرَيَّةِ أُمنًا وأسرَحها غِبًّا بأكناف حائل [4]
بنو ثُعَل جيرانهـا وحُماتهـا وتُمنَع من رُمـاة سَعْد ونائل [5]
تلاعب أولاد الوُعُول رِباعها دوين السماء في رؤوس المجادل [6]
مُظَلَّلة حمراء ذات أسِرَّة لها حبك كأنها من وَصائل [7]

ـ تنوفى . ويروى « عقاب مَلاع » مَلاع : أرض أضيفت إليها عُقاب ، أو نعت عقاب : أي سريعة .

(١) تلعَّب : لعب . باعث تقدم ذكره ، ويروى بجيرة خالد ، وقد تقدم ذكره . عصام راعٍ آخر لامرئ القيس . ويروى « وأودى دثار » أودى : هلك . الخطوب الأمور . (٢) الحزقة القصير العظيم البطن ، إذا مشى أدار بأليتيه أو السيء الخلق ، والضيق الأمر . الأتان الحمارة . حلئت طردت عن الماء . المناهل الموارد . (٣) أجأ جبل لطيّ ، والمراد أهله . تسلم تخذل أو تسلِم وتعطي . والجار المستجير والمجاور . فلينهض فليقم ، أي من شاء أن يعرف كيف نحمي الجار ونمنعه فلينهض لها . (٤) القرية موضع . أمنًا آمنة . أسرحها ، أسومها ، وأسرحها الى المرعى . غبًا : حينًا ، أو يومًا بعد يوم . أكناف : جوانب . حائل : موضع بجبلي طيّ . (٥) جيرانها ج . جار : وهو المجير والناصر والمجاور . حماتها ج . حامٍ . سعد ونائل من بني نبهان . (٦) الوعول ج . وعل : تيس الجبل . رباعها ج . رُبَع : الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج . المجادل ج . مِجدَل : القصر ، وفي السيوطي « المجادل : الجبال العالية » . (٧) مظللة : مغطاة ، ويروى « مكللة » أي متوج أعلاها . أسرة : خطوط وطرائق وكذا حُبُك . وصائل : ثياب يمانية حمر مخططة .

الهجاء

قال يوم ظفر ببني أسد (قاتلي أبيه حجر)، وكان قد حرم على نفسه شرب الخمر حتى يدرك ثأره:

يا دار ماوية بالحائل فالسهب فالجنبتين من عاقل [1]
صم صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل [2]
قولا لدودان عبيد العصا ما غركم بالأسد الباسل [3]
قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل [4]
ومن بني غنم بن دودان إذ نقذف أعلاهم على السافل [5]
نطعنهم سلكى ومخلوجة كرك لأمين على نابل [6]

---

(١) الحائل والسهب والجنبتين: مواضع. عاقل: موضع بطريق مكة. ويروى «فالفرد فالجنبتين من حائل»

(٢) الصدى: الدماغ، بكون السمع عنه، والصدى ما يرده الجبل على المصوت، وصم صداه: هلك. عفا: درس. استعجمت: خرست وسكتت. ويروى «بعدك صوب المسبل الهاطل». (٣) دودان: قبيلة من بني اسد قتلت حجراً أبا امرىء القيس، وهو المراد بالأسد الباسل، وقيل: أراد نفسه. عبيد العصا: أي لا يعطون إلا على الضرب والإذلال. (٤) مالك وبنو عمرو وكاهل: أحياء من بني أسد اشتركوا بقتل أبيه، فقتلهم وأخذ ثأره منهم فقرت عيناه. (٥) بنو غنم قبيلة من بني اسد. نقذف: نرمي من علو إلى أسفل. (٦) نطعنهم سلكى: طعناً مستوياً تلقاء الوجه. مخلوجة: طعناً معوجاً إلى يمين أو شمال. كرك: ردك. للأم: السهم عليه ريش. لؤام. وهو ما كان بطن الريشة منه يلي ظهر

إذ هن أقساط كرِجل الدبى | أو كقطا كاظمة الناهل (١)
حتى مو كناهم لدى معرك | أرجلهم كالخشب الشائل (٢)
حلت لي الخمر وكنت امرءاً | عن شربها في شغل شاغل (٣)
فاليوم أُسقى غير مستحقب | إثماً من الله ولا واغل (٤)

وقال يهجو البراجم لأنهم قعدوا عن نصرة عمه شرحبيل وهم خمسة إخوة: الظُّليم، وكلفة، وغالب، وعمرو، وقيس بني حنظلة، وهم من أم واحدة، ولهم إخوة لأبيهم:

ألا قبح الله البراجم كلَّها | وجدَّع يَرْبوعاً وعفَّر دارِما (٥)
وآثَر بالمَلْحاة آل مُجاشع | رِقاب إماء يقتنين المَفارِما (٦)

ـ الأخرى، يلزق بالغراء على السهم قصد السرعة، أي كمناولة السهام لراميها في السرعة. نابل: صاحب نبل. (١) اذ هن: أي الخيل. أقساط: فرق. الرجل القطعة من الجراد. الدبى: ج. دباة: صغار الجراد. كاظمة: موضع قريب من البصرة من ناحية البحر. الناهل: العطشان. (٢) معرك: موضع قتال. الشائل الذي ألقي بعضه على بعض وارتفع إلى فوق. (٣) كان حلف ان لا يشرب حتى يدرك ثأر ابيه، فلما أدركه حلت له. (٤) مستحقب مكتسب للإثم، من استحقب الشيء: إذا حمله في حقيبته، أي غير حامل إثماً. الواغل: من يدخل على قوم يشربون بغير دعوة (هكذا رواه المبرّد في الكامل) وروي: «فاليوم أشربْ» وخرج على الجزم على تقدير الوقف ثم الوصل، وقبل السكون ضرورة. (٥) قبحه الله نحاه عن الخير. جدع: قطع الأنف، والمراد أذلها. عفرها: أذلها وألصقها بالعفر وهو التراب. (٦) آثر: اختص. الملحاة: مفعلة من لحاه إذا لامه، ويروى «بالمخزاة». رقاب: نصب على الذم. المغارم: خِرَق الحيض لا واحد لها، وقال الوزير أبو بكر جعلهن يتخذن ما يتفيقن به، ولا يضع هذا إلا العواهر.

فما قاتلوا عن ربِّهم وربيبهم ... ولا آذنوا جاراً فيظعَنَ سالما [1]
ولا فعلوا يوم العُوَيْر بجاره ... لدى باب هندٍ إذ تجرَّد قائما [2]

ونزل [3] بعامر بن جُوَيْن الطائي فأراد أخذ ماله ، فارتحل ونزل بسعد بن الضباب الإيادي ، فقال من قصيدة يمدحه ويهجو عامراً ، وقيل إنه يهجو هانىء بن مسعود :

لعمرك ما سعد بخلّة آثم ... ولا نأنأٍ يوم الحفاظ ولا حَصِرِ [4]
لعمري لقوم قد نرى في ديارهم ... مرابط للأمهار والعَكَر الدَّثِرِ [5]
أحب إلينا من أناس بقُنّة ... يروح على آثار شائهم النمر [6]
يفاكهنا سعد ويغدو لجمعنا ... بمثنى الزِّقاق المترعات وبالجَزَر [7]

---

(١) سيدهم ، يريد به شرحبيل بن عمرو الذي قتله أبو حنش الثعلبي . الرّبيب : المربوب ، ربَّيت الصبي : ربيته حتى أدرك ، والربيب الملك . أعلموه بخذلانهم إياه فيرحل سالماً بل فرّوا وانهزموا (٢) هو العوير بن شجنة الطائي الذي أجار امرأ القيس ، ويروى : « ولا فعلوا فعل العوير » . بجاره : هو امرؤ القيس نفسه . تجرد : أي جدّ في نصرته . (٣) شرح الكامل : ٧/١٢٨ (٤) الخلة : الصديق ، أي ما سعد بخال رجلاً إثماً ، والخلة الصداقة ، ومعناه : ما خلة سعد بخلة رجل آثم . النأنأ : العاجز الضعيف الجبان . الحفاظ الذب عن المحارم عند الحرب ومنعها من العدو . وحصِر : عيٌّ في منطقه ، او ضيق الصدر أو بخيل . (٥) المربط : (بفتح الباء وكسرها) موضع ربط الدابة ، الأمهار : ج . مُهْر : ولد الفرس ، العكر : ج . عَكَرة : القطعة من الإبل ما بين الخمسين الى المائة ، وقيل أكثر واقل . والدَّثْر : الكثير ، وحرك الثاء للضرورة . (٦) القنة : الجبل الصغير أو السهل المنبسط ، وقنة الجبل اعلاه . والشاء ج . شاة الغنم ذكراً أو أنثى . النمر سبع أخبث من الاسد ، لا يُلقى إلا متنكراً غضبان . (٧) يفاكهنا : يمازحنا . والزقاق : ج . زق : ـ

لعمري لَسَعْدُ بن الضِّباب إذا غدا ... أحبُّ الينا منك فا فرس حَمِرْ (١)

ونعرف فيه من أبيه شمائلاً ... ومن خاله ومن يَزيد ومن حجر (٢)

سماحة ذا وبِرَّ ذا ووفاء ذا ... ونائل ذا إذا صَحا واذا سكر

ونزل في بني عدوان فلم يحمدهم فقال :

بُدِّلْتُ من وائل وكندة عَدْ ... وانَ وفهما صَمّي ابنة الجَبَلِ (٣)

قوم يحاجون بالبِهام ونسـ ... وان قصار كهيأة الحَجَلِ (٤)

وقال يهجو بني حنظلة :

أبلـغ بني زيد إذا ما لقيتهم ... وأبلغ بني لبنى وأبلغ تُماضِرا (٥)

وأبلغ ولا تترك بني ابنة منقر ... أفقرهم إني أفقرُ خابرا

أحنظلَ لو كنتم كراماً صبرتم ... وحطتم ولا يلفي التميمي صابرا

ـ سقاء الخمر ، المترعات: المملوءة والجزر : ج جزور : الناقة أو الحمل يجزر أي ينحر ويقطع . ويروى :

يفاكهنا سعد وينعم بالنا ... ويغدو علينا بالجفان وبالجزر

(١) فا : فم اراد يا فم فرس ، حمر : الحَمَر داء يعتري الدابة من كثرة الشعير فينتن فمه ، حَمِرَ يحمَر حَمراً ، بعيره بالبخر ، ولقبه بفي فرس حمر لنتن فمه . (٢) الشمائل ج . شِمال : الطبع والخلق . (٣) وائل وكندة وعدوان وفهم : قبائل . ابنة الجبل : الداهية ، والحية . صَمّي: زيدي ، ويقال: صمت حصاه بدم : أي كثرت الدماء ، حتى لو ألقيت فيها حصاة لم يسمع لها صوت ، ومنه قوله : « صمي ابنة الجبل » . (٤) حاجاه : فاطنه ، والحجاء : المعاركة . البهام : ج . بهمة : ولد الضأن والمعز . الحجل : طائر معروف ، وصغار الإبل . (٥) بنو زيد وما بعدهم : قبائل .

الخلاصة

اذا استقرأنا كلام امرىء القيس في المدح والهجاء ، يتضح لنا أن مدحه كان اعترافاً بالجميل ، وشكراً على الصنيع ، وإشادة بالمعروف الذي أسدي إليه . ولذلك نجد الصور التي تمثل مدحه خالية من الغلو ، قريبة المنال ، ليس فيها شيء من البراعة التي تتمثل في بقية أغراضه ، وانما هو عبارة عن التعبير عما يخالج نفسه بصورة بسيطة . فقد مدح بني عوف بأنهم ابتنوا حسباً ، وأدوا الخفارة الى جارهم ، وأن ثيابهم نقية ، وأنهم أبلغوا حيه أهلهم ، وأنهم أبر الناس بميثاق ، وأوفاهم لجار .

ومدح المعلى بأنه منيع الحمى ، لا يقتدر عليه ملكا العراق والشام .

ومدح قومه بأنهم مصابيح الظلام ، وأنهم أقروا حشاه .

ومدح طريف بن مالك بأنه كريم عند الجدب والشتاء .

ومدح سعد بن الضباب بأنه حماه ومنعه ، وأنه أوثق الناس جاراً ، وأعزهم نصراً للفريد .

وهذه الصور التي أوردها ، وإن كانت قوية الأسر ، متينة التأليف ، جميلة الأسلوب - إلا أنها خالية من الروعة التي تلمس في غزله ووصفه وقصصه ، وأقل رونقاً ، وأنزر نوطة في القلب ، وهزة في النفس .

وكذلك اذا تصفحنا هجاءه ، لا نجد فيه من جمال الديباجة ، وروعة الأسلوب ، ما نجده في غزله ووصفه وطردياته .

فلقد هجا « دودان » فجعلهم عبيد العصا ، ومثل ضعفهم إذ جعلهم يطمنون سلمكى ومخلوجة ، وهم فرق كرجل الدبى ، حتى أصبحت أرجلهم كالخشب الشائل .

ودعا على البراجم ويربوع ودرام ، وجعل آل مجاشع رقاب إماء ، وجعل بني عدوان وفهم يحاجون بالبهام ، والنساء القصار ، وهكذا دواليك . . .

فمديحه عبارة عن الثناء على معروف ، وهجاؤه عبارة عن اللوم على خذلانه ، والقعود عن نصرته .

وكلامه في المدح والهجاء مثل أعلى في بلاغته ، وجلاء معناه ، وحسن ترصيفه ، ولطف كناياته ؛ إلا أنه أدنى في الصناعة والبراعة من بقية شعره

ولعل السبب في هذا أن امرأ القيس لم يتكسب في شعره ، فيجهد قريحته في المدح ؛ وكان ملكاً وابن ملك ، فترفع عن الإسفاف في هجائه .

ومديحه وهجاؤه يمثلان لنا صورة المدح والهجاء في عصره : فقد كان كل منهما بسيطاً قريباً من الطبع ، بريئاً من التعمل والغلو . وظل هذا سبيله حتى قام عبيد الشعر ، فأجهدوا أنفسهم ، وكدوا قرائحهم في الابتكار والتنقيح والمغالاة ، تزلفاً من الممدوحين ، وإرهاباً للمهجوين ، فأصبح كل من المدح والهجاء غرضاً مقصوداً ، وأمنية متوخاة ، وميداناً يتبارى فيه الطامعون في التكسب .

الشكوى

ولامرئ القيس في باب الشكوى من الزمان ومن تنكر الاخوان وتجهم الأخدان والنزوح عن الاوطان والتحسر على ما اصابه من المحن ونعي نفسه وحظه، أبيات هي من مقلدات الشعر فتح بها هذا الباب ومهد السبيل لمن بعده وان كان لا يشق غباره فيها .

منها قوله :

ألا هل أتاها والحوادث جَمّةٌ بأن امرأ القيس بن تَمِلكَ بيقَرا [1]

تذكرتُ أهلي الصالحين وقد أتت

على خَملي خوص الرِّكاب وأوْجرا [2]

فلما بدَتْ حوْران والآلُ دونه

نظرتُ فلم تنظر بعينيكَ منظرا [3]

تقطع أسباب اللُّبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا [4]

---

(١) بيقر : خرج من الشام الى العراق ، وخرج من بلدٍ الى بلد . (٢) قال الوزير في شرحه : خملى جبل بأرض الشام . وقالوا : خملي وأوجر موضعان . وفي بعض النسخ : «على خمل بنا الركاب وأعفرا» . الخوص ج . خوصاء : أي غائرة العيون . (٣) حوران : كورة بدمشق ، قال الوزير : إنه مذكر ، وحوران ماء بنجد وموضع ببادية السماوة . الآل : ما يشبه السراب ، ويروى : «فلما بدا حوران والآل دونه» ، ويروى «والآل دونها» أي المرأة . يريد لم تنظر منظراً يسرك فكأنك لم تنظر . (٤) اللبانة : الحاجة . حماة وشيزرا : بلدتان في الشام ، يقول لما جاوزنا هذين البلدين تقطعت أسباب الهوى للاشتغال بسواه .

بَسير يضجّ العَوْد منه يَمُنّهُ أخو الجهد لا يلوي عليّ تَعذّرا (١)

. . . .

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ولَابن جريج في قرى حمص أنكرا (٢)

. . . .

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته وقرّت به العينان بدّلتُ آخَرا

كذلك جدّي ما أصاحب صاحبا من الناس إلا خانني وتغيرا (٣)

ومنها قوله :

ألا أبلغ بني حجر بن عمرو وأبلغ ذلك الحَيَّ الجديدا

بأني قد هلكت بأرض قوم بعيداً من ديار كم بَعيدا

ولو أني هلكت بأرض قومي لقلت الموت حَقٌّ لا خلودا

أعالج مُلْكَ قيصر كل يوم وأجدِرْ بالمنية أن تقودا

بأرض الشام لا نسب قريب ولا شافٍ فيُسنِد أو يعودا

ومنها قوله :

فلا تنكروني إنني أنا ذا كم ليالي حلّ الحَيّ غَوْلا فألْعَسا (٤)

---

(١) يضج : يصيح ٠ العود الجمل المسن : يمنه يضعفه ويعييه ٠ وأخو الجهد : المجتهد ٠ يلوي يعطف او ينتظر او يتحبس ٠ تعذر : اعتذر ويروى تغدر اي بقي ٠ يقول بسير يضعف العود منه اذ الصبر والجلد لا يحتبس فيه على من بقي او اعتذر (٢) بعلبك بلدة بالشام يريد انكرتني بعلبك لانها لم توافقني وأنكرني اهلها انكار من لا يعرف وانكرني ابن جريج ٠ ومفعول انكر محذوف ٠ ويروى « ولابن جريج كان في حمص أنكرا » والمعنى والله لابن جريج كان أشد انكارا (٣) الجد : البخت والحظ (٤) روي « اناذلكم » وروي « اناجار كم » ٠ روي « عشية حل » وغول وألعس موضعان ٠

تأوبني دائي القديم فغلسا	أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا[1]
فإما تريني لا أغمض ساعة	من الليل إلا أن أكب فأنعسا[2]
فيا رب مكروب كررت وراءه	وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا[3]
ويا رب يوم قد أروح مرجلا	حبيبا الى البيض الكواعب أملسا
. . . . .	. . . . .
وما خلت تبريح الحياة كما أرى	تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا[4]
فلو أنها نفس تموت جميعة	ولكنها نفس تساقط أنفسا[5]
وبدلت قرحا داميا بعد صحة	فيالك من نعمى تحولن أبؤسا

ومنها قوله :

ألم أنض المطي بكل خرق	أمق الطول لماع السراب[6]
وأركب في اللهام المجر حتى	أنال مآكل القحم الرغاب[7]

(١) تأوبني أتاني ليلا وغلس سار بغلس وهو ظلام آخر الليل ونكس المريض عاودته العلة بعد النقه (٢) كبه صرعه وقلبه وأكب هو على وجهه وأكب نكس ونعس نام او قارب النوم والنعسة الخفضة وهي امالة الرأس من النعاس (٣) تنفس الرجل استمد النفس يريد انه فرج عنه (٤) التبريح الشدة والمشقة وضاقت ذراعه ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا ولم يطقه ولم يقو عليه (٥) جميعة أراد جميعاً فبالغ بالحاق الهاء والجميع ضد المتفرق وحذف الجواب للعلم به كأنه قال غنيت واسترحت وقال الاصمعي معنى قوله تموت جميعة أي لو أني أموت بدفعة ولكن نفسي لما بها من المرض تقلع قليلا قليلا وتخرج شيئاً شيئاً من طول المرض . ومعنى تساقط يموت بموتها بشر كثير وفي العمدة تموت سوية كانه قال لهان الأمر ولكنها تموت موتات ونحو هذا وهو من الايجاز (٦) أنضى أهزل من طول السير والخرق الارض الواسعة تنخرق فيها الرياح والامق الطويل والسراب ما يرى نصف النهار في الفلاة كانه ماء (٧) اللهام الجيش الكثير العدد العظيم والمجر الثقيل والقحم جمع قحمة ـ

وكل مكارم الأخلاق صارت إليه همتي وبه اكتسابي
وقد طوّفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

الى آخر الأبيات المتقدمة .

وقوله المتقدم :

أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

الرثاء

لم يقع إلينا شيء من قصائد امرئ القيس في الرثاء لنتبين كيف كانت سبيله فيه، وإنما رويت له أبيات في هذا الباب أو قريبة منه . منها قوله حين قتل المنذر إخوته بالحيرة أو أقرباءه بجفر الأملاك :

الا يا عين بكّي لي شنينا وبكّي لي الملوك الذاهبينا (1)
ملوكا من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا

وقد تقدمت بقية الأبيات

ومنها قوله حين بلغه نعي أبيه وهو بدمون :

أتاني وأصحابي على رأس صيلع حديث أطار النوم عني فأنعما (2)
فقلت لعجليّ بعيد مآبه أبن لي وبيّن لي الحديث المجمجما (3)
فقال أبيت اللعن عمرو وكاهل اباحا حمى حجر فأصبح مسلما

ـ الانقحام في السير والمهلكة والقحط وقال الوزير القحمة الدفعة الكثيرة من المال وغيره و الرغاب الواسعة (1) الشنين قطران الماء شيئاً بعد شيء ويقال : دم شنين اي مصبوب (2) صيلع جبل أو موضع . أنعم : بالغ أو زاد (3) مآبه : مرجعه ومنقلبه . المجمجم : الذي لم يبين . مسلما : مخذولا .

وقوله السابق:

أرقت لبرق بليل أهل بضيء سناه بأعلى الجبل

إلى آخر الأبيات المتقدمة.

وكان الحارث بن حبيب السلمي خرج مع امرئ القيس الى الشام فمات، فرثاه بقوله:

ثوى عند الوديَّة جوفَ بُصرى أبو الأيتام والكلّ العِجاف[1]

فمن يحمي المُضاف إذا دعاه ويحمل خُطّة الأُنس الضعاف[2]

وهذه الأبيات وأمثالها تمثل لنا أسلوب الرثاء في عصر امرئ القيس، وتمثل لنا في بعضها شبح ضئيل مما يسمونه عاطفة حزن وان كانت طافحة بالتحسر والتلهف، مكتظة باستفظاع الخطب وتهويله واستصغار كل ما سواه.

ما يستنتج من شعر امرئ القيس

من الاحوال الاجتماعية في عصره

اذا استقرأنا كلمات هذا الشاعر تمثل لنا في تضاعيف كلماته أمور:

١. أن الحياة الغالبة في عصره حياة البداة بين حل وترحال وسكنى الأخبية والخيام وانتجاع الكلإ والانتقال بسببه من مكان إلى آخر على الإبل والخيل، وأن هناك أطما مشيدة بجندل وأشجارا وانهارا وغدرانا ورياضا ومرابئ وربى ممرعة يتمتعون بجمالها وأزهارها وأطيارها.

(١) ثوى: أقام. الوديّة: النخلة الصغيرة. بصرى: موضع في الشام. الكَل: العيال العجاف جمع أعجف وعجفاء: غير السمان (٢) المضاف في الحرب: من أحيط به الملجأ. الخطة: الأمر والاقدام على الأمور. الأُنس الجماعة الكثيرون. الحي المقيمون

وأن هناك ضروباً من النعمة والترف في المطعم والملبس والمضجع ونحوه يتمثل في قوله في المرأة :

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها ... نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وقوله : كأن المدام وصوب الغمام ... وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به برد أنيابها ... إذا غرد الطائر المستحر

وقوله : إذا قامتا تضوع المسك منهما ... برائحة من اللطيمة والقطر

وقوله : " " " ... نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وقوله : حور تعلل بالعبير جلودها ... بيض الوجوه نواعم الأجسام

وقوله : وفوق الحوايا غزلة وجآذر ... تضمخن من مسك ذكي وزنبق

وقوله :

وريح سنا في حقة حميرية ... تخص بمفروك من المسك أذفرا [1]
وباناً وألوياً من الهند ذاكياً ... ورَنداً ولُبنى والكِباء المقترا [2]
جعلن حوايا واقتعدن قعائدا ... وحففن عن حوك العراق المنمق [3]

---

(١) السنا ضرب من الطيب . والحقة ما صنع من الخشب وهي الربعة . والمفروك الطيب . والاذفر الشديد الرائحة (٢) البان شجر . والالوي العود . والرند شجر طيب . ولبنى ضرب من الطيب والكباء البخور . والقتار الدخان ريح البخور وقتره تقتيراً اهيج قتاره وكباء مقتر كمعظم (٣) الحوايا جمع حويّة كساء محشو حول سنام البعير . والقعائد جمع قعيدة شيء تنسجه النساء كالعيبة يجلس عليه . واقتعدت قعيدة اتخذتها . وحفف حوله أحدق به . والحوك النسج .

وقوله :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى النوم إلا لبسة المتفضل

وقوله :

خرجت بها أمشي تجر وراءنا على أثرينا ذيل مِرْطٍ مرَحَّلِ

وقوله :

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

وقوله :

والقى بصحراء الغبيط بعاعه نزول اليماني ذي العياب المحمل

وقوله :

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

وقوله :

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيل

يدل على أن للمرأة ضروباً من الملابس كالمفضل والاتب والمرط ، وان منها ماهو مزين بالنقوش ، وان ذيولها طويلة تجر على الارض ، وانها تلتحف بالملاءة ، وان الخادم تتخذ النطاق .

الزينة

وقوله :

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل

وقوله :

سالي سلمى إذ تؤبك منصباً وجيداً كجيد الريم ليس بمعطال

قليلة جرس الليل الا وساوساً وتبسم عن عذب المذاقة سلسال[1]

كأني لم اركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

وقوله :

غرائر في كن وصون ونعمة يحلين ياقوتاً وشذاراً مفقرا[2]

وقوله :

اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل

وقوله :

فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم في العشيرة مخول

يدل على أنواع الحلي من قلائد ووشاح وخلخال.

وقوله :

وفرع يغشي المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل

وقوله :

غدائرها مستشزرات إلى العلى تضل العقاص في مثنى ومرسل[3]

يمثل لنا طريقة النساء في اتخاذ الشعور : مثناة ومرسلة ومعقوصة ومضفورة وغرز المداري فيها .

وغزله يمثل لنا الصفات الخلقية التي كانوا يحبونها في المرأة :

---

(١) الجرس الصوت والوساوس جمع وسواس وهو صوت الحلي .

(٢) الشذر الذهب . والمفقر المصوغ على هيئة فقار الجرادة كما في الشرح ، وفي غيره الفقر ثقب الخرز للنظم . (٣) وفي رواية : تضل المداري .

فهي مهفهفة غير مفاضة مصقولة الترائب كأن على لَباتها جمر مصطلِ
كالدرة يخلط بياضها صفرة ، الخ ...

والصفات الخُلُقية :

فهي قطيع الكلام:

عقيلة أتراب لها لا ذميمةٌ ولا ذات خلق إن تأملت جأنب

وهي مع هذا ترعوي إلى صوت الرجل كما ترعوي النوق إلى الجمل الفحل .
وتكرهُ الرجل إذا قلّ ماله أو شاب رأسه أو قوّس ظهره وكلّ
ما تبديه من عسر لا يلبثُ أن ينقلب الى مياسرة ، فإذا قالت له :
« سباكَ الله إنك فاضحي » أسمحت بعد ذلك وصارت معه إلى الحسنى
وذلّت .

وهي تتبع الهوى سُبل الردى وتقول لأهل الحلم ضُلاً بتضلال .

وقوله :

فأدبرنَ كالجزع المفصل بينه بجيد معمٍ في العشيرة مخول

وقوله :

دريرٌ كخذروف الوليد أمرّه تتابع كفّيه بخيط مُوصَل

وقوله :

فمثلك حبلى قد طرقتُ ومُرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول

وقوله :

ومنهن سوف الحود قد بلّها الندى تُراقب منظوم التمائم مُرضَعا

يمثل لنا ما كان يعوذ به الأطفال وما يلعبون به .

وقوله :

كأنَّ دِماءَ الهادياتِ بنَحرِهِ عصارةُ حِناءٍ بشيبٍ مُرَجّلِ

وقوله :

كأن ثبيراً في عرانين وَبلهِ كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزمّلِ

يمثل لنا ناحيةً من حالة الشيوخ ولباسهم .

وقوله :

أيا هندُ لا تنكحي بوهةً . . . . .

مرسّعة بين أرساغه به عسمٌ يبتغي أرنبا

ليجعل في كفه كعبها حذار المنية أن يعطبا

وقوله :

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس

وقوله :

كأن دماء العاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل

يصوّر لنا ما كان عندهم من المزاعم .

وقوله :

ومطرد كرشاء الجرور من خلب النخلة الأجردِ

وذا شطب غامضاً حكمه إذا صاب بالعظم لم ينأد

ومشدودة السبكِ موضونةٍ تضاءلُ في الطيِّ كالمبرد

وقوله :

عارض زوراء من نشم غير باناة على وترِه

فرماها في فرائصها بإزاء الحوض أو عقره
برهيش من كنانته كتلظي الجمر في شرره
راشه من ريش ناهضة ثم أمهاه على حجره

يدلنا على ما كان عندهم من الأسلحة .

أخلاقه من شعره

إذا صح أن كلام الإنسان مرآة تمثل دخيلة نفسه وتصور سجاياه ، فإن كلام امرئ القيس يمثل لنا صورة واضحة تامة عنه :

فهو قبل كل شيء مولع بالنساء والصبوة والخمر وركوب الخيل للصيد ونص العيس في مجاهل الارض وما يقتضيه كل واحد من هذه الاشياء من مجانة ، وأكثر شعره في صباه لا يخلو من هذه الأمور وهو لم يفارقها بعد أن فارق صباه ، كما يشهد لذلك قوله :

أصبحتُ ودَّعتُ الصِبا غيرَ أنَّني
أُراقِبُ خَلاتٍ من العيشِ أَرْبَعا [1]
فمنهنَّ قَوْلي للندامى : تَرَفَّقوا
يُداجونَ نَشاجاً من الخمرِ مُتْرَعا [2]
ومنهنَّ رَكضُ الخيلِ تَرْجُمُ بالقَنا يُبادِرْنَ سِرْباً آمناً أن يُفزَّعا [3]

(١) ودع الصبا فارقه وصار إلى الكبر والخلات جمع خَلَّة وهي الخصلة .
(٢) الندامى جمع نَدْمان وهو المنادم اي المجالس على الشراب ثم استعمل في كل مسامر .
يداجون يدارون والنشاج الزق يقال نشج الزق اذا غلى ما فيه حتى سمع له صوت .
ومترع مملوء . (٣) ترجم ترمي وتطرد والقنا الرماح . يبادرن يعاجلن والسرب ـ

ومنهن نصُّ العيس والليلُ شامل
يُيمِّمنَ مجهولاً من الارض بلقعا[1]

خوارجُ من بَرِّيةٍ نحو قَرْيَةٍ
يُجدِّدْنَ وصلاً أو يُرجِّين مَطمعا[2]

ومنهنَّ سوفُ الخَوْدِ قد بلَّها النَّدى
تُراقِبُ منظومَ التمائمِ مُرْضَعا[3]

يَعزُّ عليها رِيبتي ويَسوءُها بكاهُ فتَثني الجيد أن يتضوَّعا[4]

بعثتُ إليها والنجومُ ضواجعٌ حِذاراً عليها أن تَهُبَّ فتسمعا[5]

ـ القطيع من بقر الوحش والظباء (١) نص الابل استخرج أقصى ماعندها من السير والعيس جمع أعيس أو عيساء : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . شامل : عام أو مغط ، يقال : شمله بالشملة إذا غطاه بها ، أو من قولهم لون شامل : وهو أن يكون أسود يعلوه لون آخر . ييممن : يقصدن . المجهول من الأرض ما لم يسلك فيعلم أو مالا يهتدى فيه . البلقع : القفر الخالي . (٢) البرية الصحراء . القرية : المصر . يجددن : يحدثن ويصيرنه جديداً . الرجاء : ضد اليأس رجاه ترجية أطمعه . المطمع : كمقعد ما يطمع فيه ، يريد أن هذه الإبل يخرج عليها من البرية الى الأمصار لوصل حبيب أو لطلب مرغوب فيه . (٣) ساف الشيء : شمه . الخود : الشابة أو الناعمة . بلها : أصابها ونداها ، والندى : شيء يتطيب به كالبخور . تراقب : تحرس . التمائم : جمع تميمة خرزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقد في العنق . (٤) عزَّ عليه أن يفعل كذا : اشتد . الريبة : الظنة والتهمة والحاجة . يسوءها : يحزنها ، ساءه فعل به ما يسوءه . تثني : تلوي . يتضوع يتضور : أي يتلوى من البكاء . (٥) النجم الضاجع : المائل للمغيب . تهب : تنتبه من نومها .

فجاءت قطوف المشي هيابة السرى
يدافع رُكناها كواعب أربعا[1]
يُزجّينها مشي النزيف وقد جرى
صُباب الكرى في مخها فتقطعا[2]

تقول ، وقد جرّدتُها من ثيابها : كما رعت مكحول المدامع أتلعا

وقد تقدم من قوله ما يدلّ على مغامراته في سبيل شهوته ومجاوزته في سبيل من يهوى أحراساً ومعشراً يحرصون على قتله ، وسموّه إلى أخرى بعدما نام أهلها ، ودنوّه إلى ثالثة وتسديها وما كان خلال ذلك

وتدلنا أقواله في وصف الخيل والإبل والأودية على شجاعته وحبه للصيد .

قوله :

ولستُ بخزرافة في القعود ولست بطيّاخة أخدبا[3]
ولستُ بذي رثْية إمّر إذا قيد مستكرهاً أصحبا[4]

---

(١) قطوف : ضيقة المشي . هيابة : كثيرة الهيبة والخوف . السرى : السير في الليل . يدافع : يدفع . ركناها : جانباها . الكواعب : ج . كاعب التي نهد ثديها . (٢) يزجينها : يسقنها ويدفعنها فتمشي مشي النزيف وهو السكران . صباب الكرى : بقية النوم . المخ : نقي العظم والدماغ وخالص كل شيء . (٣) الخزرافة : من لا يحسن القعود في المجلس أو الكثير الكلام الخفيف الرخو . الأخدب : الأهوج والطويل والذي يركب رأسه . (٥) رثية : مرض المفاصل . الإمر : الضعيف الرأي يوافق كل أحد على ما يريد من أمره كله . أصحب : ذلّ وانقاد بعد صعوبة .

على أنه وقور في مجلسه نزر الكلام غير أهوج ولا ضعيف الرأي .
وقوله :

وخليل قد أفارقه ثم لا أبكي على أثره
وابن عم قد تركت له صفو ماء الحوض عن كدره

على أنه جلد صبور صفوح يقابل السيئة بالحسنة .
وأقواله السابقة في المدح على أنه لا يجحد نعمة ولا ينكر معروفاً أسدي إليه .
وأقواله في الهجاء على كرهه الغدر وخذلان الجار وحبه الانتقام .
وأقواله في الفخر على أنه شجاع جريء أبي لا يقيم على أذى .
وأبياته : « إذا ما لم تكن إبل فمعزى » الخ ..
وأبياته : « أرانا موضعين لأمر غيب » الخ ..
على أنه يئس من السعادة في الحياة والنجح في الطلب فقنع من الغنيمة بالإياب ورضي بالمعزى بدلاً من الخيل العتاق والإبل النجائب .
واستسلم للقدر فتلفع بشملة الزهاد واتخذ من حوادث الكون عبراً أقام عليها صرح حكمته .

الخلاصة

تدلنا أقوال امرىء القيس على أنه كان تبع نساء وطلب نساء من شب(١) إلى دب ، وأنه كان خليعاً ماجناً في غزله وصبوته مغامراً في

(١) أي من الشباب إلى أن دب على العصا .

سبيل لبانته محباً للخمر آمراً بالتمتع بها و بالنساء الحسان ، مولعاً بركوب الخيل واجتياب المفاوز للاصطياد ، كثير الفخر شديد الاعتداد بنفسه ، طلوباً لمعالي الأمور ، وقوراً في مجلسه وقوله ، بريئاً من الحمق وضعف الرأي ، جلداً على النوائب ، صفوحاً عن السيئات ، شاكراً للنعمة ، كارهاً للغدر ، محباً للانتقام ، شجاعاً أبياً قنوعاً ، قد اسودّت في وجهه الدنيا في أخريات أمره ، فياض القريحة غمر البديهة ، حكيماً حنكته التجارب ونجذته النوائب .

دين امرئ القيس

اختلفت كلمة الباحثين في دين امرئ القيس وعقيدته على وجوه جروا فيها على الأهواء وأفاضوا على ما خيلت واتخذ كل قائل لتأييدمذهبه حججاً أوهى من بيت العنكبوت .

وثنيته

ذهب فريق الى أن امرأ القيس وثني واستدل على ذلك باسمه « امرأ القيس » وزعم أن قيساً صنم ، فيكون المعنى « انسان القيس او عبد القيس »

وأن امرأ القيس خرج لغزو فمر بتبالة وفيها صنم يقال له ذو الخلصة فاستقسم بقداحه الثلاثة : الآمر والناهي والمتربص ، ولو لم يكن وثنياً لما استقسم بها .

وهذا زعم لحمته الوهم وسداه الباطل فإن لفظ « امرئ » لا يفيد

معنى العبودية ولم يرد في اللغة إلا بمعنى الانسان والرجل . وقد أطلقه بعضهم على الذئب مجازاً .

ولفظ القيس وردت لمان كثيرة ذكرها أصحاب المعاجم : كالشدة والتبختر والجوع والذكر ، وقالوا للرخمة أم قيس .

وليس في معاني اللفظين مايدل على معنى العبودية او المعبود او الصنم ، ولم يذكر ابن الكلبي في كتاب الأصنام صنماً يسمى قيساً ، وكلمة اللغويين متفقة على أن معنى امرئ القيس رجل الشدة ، ولو فرضنا أن لفظ امرئ يفيد معنى « عبد » لا يوجب ذلك أن يكون وثنياً . فإن عبد المطلب سمي كذلك ، ولم يكن المطلب وثناً ولا كان هو عابداً له ، واستنباط الاحكام والعلل من الاسماء أمر غير مطرد .

على أن امرأ القيس لقب لا علم ، فلعله لقب بذلك لشدته كما لقب رجل بجذل الطعان وآخر بملاعب الأسنة وثالث بحامي الظعينة .

ويدل على أن امرأ القيس ليس معناه : عبد الصنم أو رجل الصنم أو إنسان الصنم ، أن كثيراً من المسلمين كانوا يسمون بهذا الاسم ولم ينكر النبي (ص) ولا أصحابه عليهم أسماءهم ولا غيروها ، منهم : امرؤ القيس بن عابس الكندي ، وامرؤ القيس بن الاصبغ الكلبي ، وامرؤ القيس بن الفاخر بن الطماح .

ويدلنا عَلَى أن امرأ القيس لم يكن يعبد الأوثان ولا يحترمها ماذكره ابن الكلبي [1] وغيره : أنه لما مرّ بذي الخلصة واستقسم عنده ثلاث

(١) كتاب الاصنام ص ٤٧

مرات ، فخرج الناهي ، كسر القداح وضرب بها وجه الصنم ، وقال : عضضت بـ . . . أبيك ! لو كان أبوك قتل ما عوّقتني ، ثم غزا بني أسد فظفر بهم . فلم يستقسم عنده ، أي الصنم ، بشيء حتى جاء الله بالإسلام ، فكان امرؤ القيس أول من أخفره .

فهذه الواقعة تدل على أن امرأ القيس إنما أتى ذا الخلصة ليتفاءل بقداحه ولو كان يعبده أو يعبد غيره من الاوثان لما اخفره وضرب وجهه بالقداح وأعضه على هن أبيه وخالفه فنجح بمخالفته . ولا يكاد الباحث يجد في شعره ما يدلّ على أنه كان يعبد وثناً . وما ورد في شعره من أسماء بعض الأوثان لا يدل على أنه كان يعبدها لانه ذكر الفرس والناقة والذئب والكلب والجبال والاودية وغيرها وليس شيء منها معبوداً .

مزدكيته

ذهب فريق آخر إلى أن امرأ القيس كان على دين مزدك واحتج لهذا الرأي بأن جده الحارث تابع مزدك على رأيه وشايعه في هواه .

وان امرأ القيس اقترف كثيراً من الفواحش وطلق النساء وارخى لنفسه العنان في ميادين اللذة والشهوة

وقد كان مزدك أمر بتناول اللذات والانهماك في الشهوات والمشاركة في الحرم والازواج !!!! وامرؤ القيس طبع على هذا الغرار وهذا الفريق أعمى من الاول وأضلّ سبيلا ! لأن التاريخ لم ينقل الينا ان جد امرئ القيس ظل على دين مزدك واعتصم به أعقابه من بعده ، بل ان الحارث لم يدن بهذا المذهب اعتقاداً بصحته او حسنه وانما اتخذه

وسيلة يقوم مقام المناذرة في التقرب من كسرى والتملك على العرب . فلما طارده كسرى لم يسمع من فمه كلمة تتعلق بهذا الدين حتى فارق الحياة ولا نقل الينا ان بنيه كانوا يدينون به والحكم على شخص بالتزامه كهذا الدين يحتاج إلى أدلة تاريخية موثوق بها ؛ وليس لدينا شيء من ذلك .

على أن امرأ القيس صرح في شعره بأنه يصبي على المرء عرسه ويمنع عرسه ان يزني بها الخالي .

وأنه عقر للعذارى مطيته وانه اصطاد كثيراً من بقر الوحش وغيرها وطعم منها وأطعم واتخذ له الطهاة منها صفيف شواء وقديرا . .

وأنه قتل كثيرا في الحرب التي وقعت بينه وبين بني أسد منهم ومن عمرو ومن كاهل وطعنهم سلكى ومخلوجة حتى تركهم ارجلهم كالخشب الشائل .

كل هذا خروج على مذهب مزدك : فانه يبيح النساء ولا يجيز منعها وينهى عن قتل الحيوان وأكله وعن المباغضة والقتال ولا تكاد تلمس في شعره اثراً لهذا المذهب ، فإلزامه ما لم يلتزمه ضرب من الهذيان .

نصرانيته

وذهب فريق الى أن امرأ القيس كان نصرانياً واستدل على هذا بأن في شعره كثيرا من الاقرار بقدرة الله وحسابه وما شاكل هذا من عقائد النصارى التي لا يقر بها الوثني والمزدكي ، فهو يقول :

فاليوم أسقى غير مستحقب ... إثماً من الله ولا واغل

ويقول : والله أنجح ما طلبت به . . .

وفي شعره كثير من الاشارات النصرانية كقوله :

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لقفال

وقوله : تضيءُ الظلام بالعشي كانها منارة ممسى راهب متبتل

يضيء سناه أو مصابيح راهب أمال السليط بالذبال المفتل

وقوله في وصف كلاب الصيد حين ادركت الثور الذي تطرده

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس

وما شابه هذا من الادلة .

وإذا تأملنا هذه الادلة ونظرنا فيها نظر المدقق المنصف لا نجد فيها مايوجب الحكم عليه بأنه كان عَلَى دين النصرانية ؛ وبيان هذا :

١ً — أن الإقرار بالله وقدرته وذكر الحساب وما شا كل ذلك مستفيض في كلام العرب ممن كان على دين إبراهيم أو ممن كان يعبد الاوثان فإنهم لم يعبدوها إلا لتقربهم الى الله فذِكر الله وذِكر قدرته لا يقتضي الحكم بنصرانية شخص ولا وثنيته ولا مزدكيته ، لان كلاً من هذه الاديان لا يُحتم إنكار الإله ولا يحرّمُ ذكره .

٢ً — وأن تشبيه النجوم أو المرأة بمصابيح الراهب أو منارته لا يوجب أن يكون المشبه متديناً بالدين الذي له علاقة بالمشبه به . وإذا علمنا أن الشاعر قضى شطراً كبيراً من حياته في الفلوات وأنه كان يرى مصابيح الرهبان من بعيد ، وقلما رأى مصابيح غيرهم ، تبين لنا السبب في التشبيه بها لانها أكثر خطوراً في ذهنه وأقرب تناولاً إذا أراد التشبيه بها من غيرها وأن ذلك لم ينشأ عن التدين بها .

ولو جازَ لنا أن نتخذ مصابيح الرهبان دليلاً على نصرانيته لجاز لنا أن نتخذ قوله في وصف بقر الوحش :

فعنَّ لنا سِربٌ كأن نعاجه عذارى دوارٍ في ملاءٍ مذيَّل

دليلاً على وثنيته وعبادته « دواراً » وهو صنم كانت العرب تنصبه يجعلون موضعاً حوله يدورون به ·

وقد شبه في شعره بكثير مما كان يعبده الناس : كالشمس ، والثريا ، والحجارة ، والذئب ، والنار ونحوها ·

وحينئذ يجب أن نجعله متديناً بعبادة كل هذه الاشياء ، وهذا ما لا يتصوَّره عاقل ·

على أننا علمنا أن امرأ القيس تزوَّج جملةً من النساء وطلق أم جندب ، وهذا مخالف لأُصول النصرانية ·

وقد شبه الكلاب حين أخذت بنسا الثور بالولدان تشبرق ثوب المقدس ، وفي هـذا التشبيه ضرب من الغضاضة لا يصدر عمن يدين بدين و يحترم رؤساءه ·

ولا تكاد تجد في شعره أثراً يدل على اعتقاد أو عمل إلا مـا كان من التشبيه بمصابيح الرهبان ومصاحفهم ، وهذا وحده لا يصح أن يكون حجة كما أسلفنا ·

والظاهر أنه كان على دين هواه ولذَّته لا يدين بمذهب آخر ، ولا يحترم ديناً سواه ·

وقد أسلفنا قوله :

أيا هند لا تنكحي بوهة ....

وفيه من الاستخفاف بعادات الجاهلية وعقائدها ما لا يخفى .

ما أخذه الشعراء من امرئ القيس

أشرنا فيما سبق إلى أن امرأ القيس سبق الشعراء إلى أشياء ابتدعها فاستحسنوها ، واحتذوا على مثاله فيها[1] ، وقد كان أسلوبه محبوبا كمعانيه : فاستحسنه الشعراء ، وأغاروا على ألفاظه كما أغاروا على معانيه، حتى الفحول منهم : كزهير وطرفة ودريد وحسان وعمر بن أبي ربيعة وأبي نواس ومسلم بن الوليد وابن الرومي وأبي تمام والمتنبي

مثال ذلك قوله :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن   سوا لك نقبا بين حزمي شعبعب

أخذ أوله زهير فقال في معلقته :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن   تحملن بالعلياء من فوق جرثم

وأخذه في مطلع قصيدة وتمامه :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن   بمنعرج الوادي فويق أبان

وفي قصيدة أخرى وتمامه   « كما زال في الصبح الاشاء الحوامل »

وأخذه الراعي في اثناء قصيدة وتمامه « بذي النيق إذ زالت بهن الاباعر »

وقاله في مطلع قصيدة وتمامه   « تحملن من وادي العناق وثهمد »

وقاله مضرس بن ربعي في مطلع قصيدة وتمامه :

« إذا ملن من قف علون رمالا »

---

(١) السيوطي ص ٣٥

وقاله النابغة الجعدي اثناء قصيدة وتمامه :

« رحلن بنصف الليل من بطن منعم »

وقاله عبيد الابرص أثناء قصيدة وتمامه « يمانية قد بغتدي وتروح »

وقاله الاسودبن يعفير اثناء قصيدة وتمامه « غدون لبين من نوى الحي ابين »

وقاله طفيل الغنوي اثناء قصيدة وتمامه :

« تحملن امثال النعاج عقائله »

وقوله :

فلأياً بلأي ما حملنا غلامنا على ظهر محبوك السراة محنب

اخذ زهير اكثره فقال :

فلأياً بلأي ما حملنا وليدنا على ظهر محبوك ظماء مفاصله

وقوله :

علون بأنطاكية فوق عقمة كجرمة نخل أو كجنة يثرب

أخذ أوله زهير فقال على رواية الاصمعي :

علون بأنطاكية فوق عقمة وراد حواشيها مشاكهة الدم

وقوله : وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل

أخذه طرفة فقال :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لاتهلك أسى وتجلد

وقوله في وصف الفرس :

له اذنان تعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسط ربرب [1]

---

(١) يروى : «وسامعتان يعرف في التين» .

أخذه طرفة فقال في وصف الناقة :

موءللتان تعرف العتق فيهما   كسامعتي شاة بحومل مفرد

وأخذه زهير فقال :

وسامعتين تعرف العتق فيهما   إلى جذر مدلوك الكعوب محدد

وقوله

وعنس كألواح الإران نسأتها   على لاحب كالبرد ذي الحبرات

أخذه طرفة فقال

أمون كألواح الإران نسأتها   على لاحب كأنه ظهر برجد

وقوله في وصف الفرس

وعينان كالماويتين ومحجر   الي سند مثل الصفيح المنصب

واخذه طرفة فقال في وصف الناقة :

وعينان كالماويتين استكنتا   بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد

وقوله :

فيا رب مكروب كررت وراءه   وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

أخذ آخره دريد بن الصمة فقال :

فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست   وحتى علاني حالك اللون أسود

وقوله في وصف الكلاب :

فصبحه عند الشروق غدية   كلاب ابن مر أو كلاب ابن سنبس

مغرثة زرقا كأن عيونها   من الذمر والايجاء نوار عضرس

أخذه البعيث فقال :

فصبحه عند الشروق غدية　　كلاب ابن عمار عِطاف وأُطلس
محرجة حص كأن عيونها　　إذا أذّن القناص بالصيد عضرس

وقوله :

من القاصرات الطرف لو دب محول　　من الذر فوق الإتب منها لأثرا

وأخذ المتنبي معنى أوله فقال وأجاد :

وخصر تثبت الاحداق فيه　　كأن عليه من حدق نطاقا

واخذ معنى تتمته فقال واجاد :

حسان التثني ينقش الوشي مثله　　اذا مسن في اجسامهن النواعم

وأخذه جماعة من الشعراء منهم حسان اذ يقول :

لو يدب الحولي من ولد الذرّ　　رِ عليها لاندبته الكلوم

وعمر بن ابي ربيعة حيث يقول :

لو دب ذر فوق ضاحي جلدها　　لابان من آثارهن حدورا

و كرره في مواضع من شعره . ومنهم مسلم بن الوليد وحميد بن ثور .

وقوله في تشبيه الظعائن بالنخل :

أو ما ترى اظعانهن بواكرا　　كالنخل من شوكان حين صرام[1]

أخذه جرير فقال :

كان حمول الحي زلن بيانع　　من الوارد البطحاء من نخل ملهما[2]

---

(١) بواكر : مبكرة ؛ شوكان : موضع بالبحرين ، وحصن باليمن ، صرام : النخل أوان إدراكه . (٢) ملهم : أرض كثيرة النخل .

وقوله :

ونشرب حتى نحسب الخيل حولنا   نقاداً وحتى نحسب الجون أشقرا

أخذ منه أبو نواس قوله

اسقني حتى تراني   أحسب الديك حمارا

وقوله :

فلو أنها نفس تموت جميعة   ولكنها نفس تساقط أنفسا

أخذه ابن الرومي فقال :

فيالك من نفس تساقط انفسا   تساقط در من نظام بلا عقد

وقوله « كبكر المقاناة البياض بصفرة »[1]

أخذه ذو الرمة فقال :[2]

نجلاء في برج صفراء في نعج   كأنها فضة قد مسها ذهب

وقوله :

وشمائلي ما قد علمت وما   نبحت كلابك طارقا مثلي

أخذه عنترة فقال :

وكما علمت شمائلي وتكرمي

وقوله :

نمش باعراف الجياد اكفنا   اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

أخذه عبدة بن الطبيب

(١) العمدة ص ٧٩ (٢) العمدة ٢/٢٢٣

ثمة قمنا إلى جرد مسومة   اعرافنا لأيدينا مناديل

وقوله : [1]

اذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا   تعالوا الى ان يأتنا الصيد نحطب

أخذه ابن المعتز في وصف البازي فقال :

قد وثق القوم له بما طلب   فهو اذا عرى لصيده اضطرب

عروا سكا كينهم من القرب

وقوله: سموت اليها بعدما نام أهلها   سمو حباب الماء حالاً على حال

أخذه أبو تمام فقال:

سما للعلى من جانبيه كليهما   سمو حباب الماء جاشت غواربه

وقوله :

والقى بصحراء الغبيط بعاعه   نزول اليماني ذي العياب المحمل

أخذه أبو تمام فقال في وصف روضة :

عني الربيع بروضه فكأنما   أهدى اليه الوشي من صنعاء

وقال في وصف روضة :

مصفرة محمرة فكأنها   عصب تيمن في الوغى وتمضر

وقوله :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا   له حجبات مشرفات على الفال

أخذه كعب بن زهير فقال:

---

(١) العمدة ٢/٢٢١

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا   كان مكان الردف من ظهره قصر

وقوله : لها ذنب مثل ذيل العروس   تسد به فرجها من دبر

أخذه خداش بن زهير فقال :

لها ذنب مثل ذيل المدي   الى جؤجؤ أيد الزافر[1]

وقوله :

ولو انما اسعى لادنى معيشة   البيتين

اخذهما خفاف بن غضين البرجمي فقال :

ولو انما اسعي لنفسي وحدها   لزاد يسير او ثياب على جلدي

لهان على نفسي وبلغ حاجتي

من المال مال دون بعض الذي عندي

ولكنما اسعى لمجد مؤثل   وكان أبي نال المكارم عن جدي

وقوله في وصف الفرس

ويخطو على صم صلاب كأنها   حجارة غيل وارسات بطحلب

اخذه النابغة فقال :

كأن حواميه مدبرا   خضبن وإن كان لم يخضب

حجارة غيل برضراضة   كسين طلاء من الطحلب

وقوله :

كأني لم أركب جواداً للذة   ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم اسبإ الزق الروي ولم أقل   لخيلي كري كرة بعد إجفال

(١) المدي :العروس ، الجؤجؤ: الصدر ، أيد: قوي

أخذه عبد يغوث فقال :

كأني لم أركب جوادا ولم أقل ... لخيلي كرّي نفسي عن رجاليا

ولم أسبإ الزق الرويّ ولم أقل ... لأيسار صدق عظموا ضوء ناريا

وقوله :

كأن الحصى من خلفها وأمامها ... اذا نجلته رجلها حذف أعسرا

أخذه الشماخ فقال :

لها منسم مثل المحارة خفه ... كأن الحصى من خلفه حذف أعسرا

وقوله :

كميت يزل اللبد عن حال متنه ... كما زلت الصفواء بالمتنزل

أخذه أوس بن حجر فقال :

يزل قتود الرحل عن دأياتها ... كما زل عن عظم الشجيج المحارف

وقوله :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ... بصبح وما الاصباح منك بأمثل

أخذه الطرماح فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا أصبح ... بيَم وما الاصباح فيك بأروح

وقوله :

إذا ركبوا الخيل واستلأموا ... تحرقت الأرض واليوم قر

أخذه نهشل فقال :

ويوم كأن المصطلين بحره ... وإن لم يكن حر قيام على جمر

وقوله :

وسالفة كسحوق اللبا ... ن أضرم فيها الغوي السعر

أخذه طفيل فقال

كأن على اعرافه ولجامه ... منى ضرم من عرفج متلهب

وقوله :

ألم ترياني كلما جئت طارقا ... وجدت بها طيبا وان لم تطيب

اخذه المتنبي فقال:

أنث زائرا ما خامر الطيب ثوبها ... وكالمسك في أردانها يتضوع

وقوله :

وبات إلى أرطاة حقف كأنها ... إذا ألثقتها غبية بيت معرس

أخذه ذو الرمة فقال:

إذا استهلت عليه غبية أرجت ... مرابض العير حتى مازج الخشب

كأنه بيت عطار يضمنه ... لطائم المسك يحويها وتنتهب

وقوله في ممانئة الحارث اليشكري :

أصاح ترى بريقا هب وهنا

اخذه لبيد فقال من قصيدة

اصاح ترى بريقا هب وهنا ... كمصباح الشعيلة في الذبال

أرقت له وأنجد بعد هدء ... وأصحابي على شعب الرحال

وقوله:

أماوي هل لي عندكم من معرس ... أم الصرم تختارين بالوصل نيأس

أبيني لنا إن الصريمة راحة		من الشك ذي المخلوجة المتلبس

أخذه ابن ميادة فقال :

فلا صرمه يبدو وفي اليأس راحة		ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

وقوله :

لمن طلل دارس آيه		اضر به سالف الإجرس
تنكره العين من جانب		ويعرفه شغف الأنفس

أخذه أبو نواس فقال :

ألا لا أرى مثلي امترى اليوم في رسم		تغص به عيني ويلفظه وهمي
أتت صور الأشياء بيني وبينه		فظني كلا ظن وعلمي كلا علم

وقوله « قيد الاوابد » أولع به الشعراء واستعذبوه فطبعوا على غراره فيه واستعملوا القيد في معان أخر . قال الاسود بن يعفر :

بمقلص عتد جهير شده		قيد الاوابد والرهان جواد

وقال أبو تمام

لها منظر قيد النواظر لم يزل		يروح ويغدو في خفارته الحب

وقال آخر

ألحاظه قيد عيون الورى		فليس طرف يتعداه

وبدل المتنبي لفظ «قيد» «بربقة» فقال :

أجل الظليم وربقة السرحان

ما اخذه علقمة منه او تواردا عليه

في قصيدتي امرىء القيس وعلقمة اللتين حكما فيهما ام جندب أبيات

كثيرة متحدة في الألفاظ أو المعاني أو كليهما، وقد ادخل الرواة بعضا منهما في بعض حتى انك لترى البيت بلفظه ومعناه في القصيدتين. وليس لدينا من الادلة التاريخية ما يعين نسبة كل بيت إلى قائله. على أن بعض الابيات يشهد بنفسه أن امرأ القيس أبو عذرته، من ذلك قول امرئ القيس:

وقد اغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب
بمنجرد قيد الاوابد لاحه طراد الهوادي كل شأو مغرب

فقد رويا لعلقمة بلفظهما

وكذلك قوله:

وعين كمرآة الصناع تديرها بمحجرها من النصيف المثقب

روي لعلقمة:

بعين كمرآة الصناع . . .

وقوله:

فعادى عداء بين ثور ونعجة وبين شبوب كالقضيمة قرهب

روي لعلقمة

وعادى عداء بين ثور ونعجة وتيس شبوب كالهشيمة قرهب

وقوله:

ويخطو على صم صلاب كأنها حجارة غيل وارسات بطحلب
ترى الفأر في مستنقع القاع لاحبا على جدد الصحراء من شد ملهب
خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشي مجلب
وظل لصيران الصريم غمائم يداعسها بالسمهري المعلب

فكاد على حرُ الجبين ومتق		بمدرية كأنه ذلق مِشعب
وراح كتيس الربل ينفض رأسه		أذاة به من صائك متحلِب

فهذه الابيات رويت لعلقمة على هذا الوجه:

وسمر يُفَلِّقن الظراب كأنها		حجارة غيل وارسات بطحلب
ترى الفأر عن مسترغب القدر لائحاً		على جدد الصحراء من شد ملهب
خفـا الفأر من أنفاقه فكأنمـا		تجلله شؤبوب غيث منقب
فظل لثيران الصريم غماغم		يداعسهن بالنضي المعلب
فهاو على حر الجبين ومتق		بمدرانه كأنـه ذلـق مشعب
وراح كشاة الربل ينفض رأسه		أذاة به من صائك متحلب

ونحو ذلك من أبيات القصيدتين

عَلى أن علقمة أخذ منه أبياتاً من غير هذه القصيدة . كقوله من قصيدته القافية:

فأدركهن ثانياً من عنانه		كغيث العشي الأقهب المتودق

أخذه علقمة فقال:

فأدركهن ثانيا من عنانه		يمر كمر الرائح المتحلب

وقوله :

ورحنا كأنا من جواثى عشيةً		نعالي النعاج بين عدل ومشنق

أخذه علقمة فقال:

ورحنا كأنا من جواثى عشيةً		نعالى النعاج بين عِدل ومحقب

على أن هذا البيت روي لامرئ القيس.

وكذلك قوله في النساء:

أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

جاء في كلام علقمة

اذا شاب رأس المرء او قل ماله فليس له من ودهن نصيب

وأمثال هذا كثير ولكن ليس لدينا ما يعين لنا زمن كل قول حتى نتبين ايهما السابق فيه. وقد يجوز في بعض هذه الابيات ان يكون مما توارد فيه خاطر الشاعرين وكان شيطانهما فيه واحداً. اما كل ذلك فبعيد أن يكون من وقع الحافر على الحافر او من توافق الخاطر.

والاقرب ان يكون امرؤ القيس اسبق في كثير من هذه المعاني كما كان اسبق من صاحبه في غيرها.

المسمط

وينسب إلى امرئ القيس نوع من الشعر يقال له المسمط، وهو أن يبتدئ الشاعر ببيت مصرّع، ثم يأتي بأربعة أقسمة على غير قافيته ثم يعيد قسماً واحداً من جنس ما ابتدأ به. وهكذا إلى آخر القصيدة. وقد ذكروا أمثالا علَى ذلك قول امرئ القيس:

توهمت من هند معالم اطلال عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي

* * *

مَرَابع من هند خلَت ومَصَايف يصيح بمغناها صدىً وعوازف

وغيرها هوج الرياح العواصف وكل مسفّ ثم آخر رادف

باسحم من نوء السماكين هطّال

وفي التاج والمسمط من الشعر أبيات تجمعها قافية واحدة مخالفة لقوافي الابيات، الى أن قال: وأورد ابن بري مسمط امرئ القيس . توهمت من هند ... إلى آخر ما تقدم.

ونقل عن العين قول امرئ القيس:

ومستلئم كشفت بالرمح ذيله اقمت بعضب ذي سفاسق ميله

فجعت به في ملتقى الخيل خيله تركت عتاق الطير تحجل حوله

كأن على أثوابه نضح جريال

قال الجوهري: ولامرئ القيس قصيدتان سمطيتان إحداهما هذه التي ذكرها ولم يذكر الثانية وهكذا هو في العين.

وقال الصاغاني ليس هذا المسمط في شعر امرئ القيس بن حجر ولا في شعر من يقال له امرؤ القيس سواه .

* * *

اثباته ونفيه

ذهب بعض الادباء في هذا العصر إلى الشك في حقيقة امرئ القيس، ثم انتقل من الشك في ذلك الى انكار وجوده بتاتا ، واقام صرح شكه وانكاره على شبه واهية تشهد على انفسها ببطلانها، وتنادي بلسان حالها على ضعفها. زعم أن الرواة اختلفوا في اسم امرئ القيس ولقبه

و كنيته كما اختلفوا في نسبة بعض الابيات اليه ، وألف من هذه الخيوط الواهية نسيجا ظن أنه متين القوى ، وثيق العرى ، واسترسل في خياله ووهمه ما شاء وشاء له حبه بالاغراب،وطموحه الى الشهرة على قاعدة « خالف تعرف ».

فهب فريق من أرباب العلم الصحيح والعقل الراجح،الى دحض هذا الزعم وبصروه بالحقيقة الناصعة،وردوا شبهه على أعقابها بمابينوه من الحجج البالغة و الادلة الدامغة .

وأغرب ما جاء في مزاعمه:

أنه أنكر امرأ القيس للاختلاف في اسمه ولقبه و كنيته وقبيلته .

وأن الكثرة من الاساطير والاحاديث المتعلقة بامرئ القيس وقصته لم تشع بين الناس الا في عصر الرواة المدونين و القصاص،وأن الذي أنشأ هذه القصة ونماها هو المكان الذي احتلته قبيلة كندة في الحياة الإسلامية وذكر ما كان للاشعث بن قيس من المنزلة في الفتح والبلاء في الحروب،ولابنه محمد بن الاشعث وحفيده عبد الرحمن الذي خلع عبدالملك ابن مروان وثار بالحجاج ثم لجأ الى ملك الترك و هذا غدر به وسلمه إلى الحجاج واستنتج من مجموع هذه الامور أن مثل هذه الاسرة لا يظن أنها لا تصطنع القصص وتؤجر القصاص لينشروا لها الدعوة ويذيعوا عنها كل ما من شانه رفع ذكرها .

وان مايروى من أخبار كندة في الجاهلية متأثر بعمل هؤلاء .

وأراد ان يجعل قصة امرئ القيس لوناً من التمثيل لحياة عبد الرحمن

ابن الاشعث الذي ثار منتقماً لحجر بن عدي، وتنقل في مدن فارس والعراق ولجأ الى ملك الترك ثم مات في طريقه .

فان امرأ القيس ثار لقتل ابيه حجر وتنقل في قبائل العرب ولجأ إلي قيصر وهذا غدر به ثم مات في طريقه .

وزعم أن القصاص كانوا يخشون عمال بني امية فانتحلوا قصة امرئ القيس وجعلوها رمزاً لقصة ابن الاشعث .

واتخذ من اختلاف الرواة في بعض الابيات وفي نسبة بعضها الى امرئ القيس وانكارها وسيلة للشك والانكار في امرىء القيس .

وكذلك اتخذ من كون امرىء القيس يمنياً وشعره قرشياً ذريعة للإنكار .

وزعم أن ما في المعلقة من لهو وفحش يشبه أن يكون من انتحال الفرزدق ، وان هذا النحو من القصص الغرامي في الشعر فن عمر بن أبي ربيعة قد احتكره ولم ينازعه فيه أحد . ولقد يكون غريباً حقاً أن يسبق امرؤ القيس الى هذا الفن ويتخذ فيه هذا الاسلوب ويعرف عنه هذا النحو .

وانتهى به الامر الى ان قال : وقل مثل هذا في القصص الغرامي الذي تجده في قصيدة امرىء القيس « الا انعم صباحاً أيها الطلل البالي »

ففي هذا القصص الفاحش فن ابن ابي ربيعة وروح الفرزدق . ونحن نرجح اذاً ان هذا النوع من الغزل انما اضيف الى امرىء القيس اضافه رواة متأثرون بهذين الشاعرين الاسلاميين .

واضطرب كلامه قبل ذلك فقال: فنحن نقبل أن امرأ القيس هو

أول من قيد الأوابد وشبه الخيل بالعصي والعقبان ، ثم قال : ولعل أحق الشعر بالعناية قصيدتان اثنتان:

الاولى: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل،

والثانية: الا انعم صباحاً أيها الطلل البالي .

فأما ماعدا هاتين القصيدتين فالضعف فيه ظاهر ..

ثم قال: وهناك قصيدة ثالثة نجزم نحن بأنها منتحلة انتحالاً ، وهي القصيدة البائية التي يقال إن امرأ القيس أنشأها يخاصم بها علقمة بن عبدة الفحل ، وان ام جندب زوج امرىء القيس غلبت علقمة على زوجها . واحتج لذلك بان في القصيدتين رقة اسلامية ظاهرة ، والا يوجد فرق بين شخصية الشاعرين فيهما بل ليس فيهما شخصية ما . ثم انكر المفاخرة والتحكيم وزعم أن القصيدتين ليستا من الجاهلية في شيء .

وقد اكثر العلماء والشعراء والأدباء من ذكر امرىء القيس في القديم والحديث وجعلوه مثلا أعلى في كثير من النواحي وذكروه في كلامهم، فكيف يكون شخصا خياليا لا حقيقة له ؟ أم كيف ينظمون تلك الاشعار البالغة أقصى درجات البلاغة ، وينسبونها اليه ولا ينسبونها الى أنفسهم ليكونوا في طليعة المجودين كما كان ، ويكتب لهم الخلود بها كما كتب له ؟

ومن استقرأ التاريخ واستقصى سير الأدب العربي يجد امرأ القيس في كل عصر يتراءى في مقدمة الشعراء المفلقين، ويدور ذكره على ألسنة النوابغ وائمة الادب في كل عصر ومصر .

وقد اسلفنا ان قوما وفدوا على النبي (ص) وذكروا قوله في العين التي عند ضارج فكان ذلك سبباً لنجاتهم من الهلاك عطشا . وقوما آخرين سألوه من أشعر الناس، فأمرهم أن يسألوا حسان، فقال: امرؤ القيس، وصدقه النبي (ص) في ذلك . وقوما أرسلوا رجلا فسأل لبيداً من أشعر الناس؟ فقال ذو القروح ! وحسان ولبيد عاشا في الجاهلية اكثر من نصف قرن .

وقدمنا قول عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب فيه وقول الفرزدق وغيره من الشعراء والعلماء .

وجاء نافع بن الأزرق يسأل عبد الله بن عباس عن كلمات من القرآن فاستشهد له في جملة ما استشهد به بخمسة أبيات من شعر امرئ القيس وهي :

قفا فاسألا الأطلال عن ام مالك وهل تخبر الأطلال غير التهالك

ومناخ آسن بركت عليه كأن مناخها ملقى لجام

الا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن السر امثالي

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشي مجلب

وقد ذكروا ان الفرزدق كان يروي شعر امرئ القيس وذكره في شعره من قصيدة يفتخر بها على جرير فقال :

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول

ومما اسلفنا ذكره يتضح لنا ان امرأ القيس كان معروفاً مشهوراً

قبل ان يدون التاريخ، وقد روى شيئاً من اخباره الثقات منذ الاسلام الى يومنا هذا، وفيهم المخضرمون: كحسان ولبيد ووفد جهينة والصحابة الكرام. ولا يتصور عاقل أن تجمع امة منذ اربعة عشر قرنا على ذكر رجل ليس له حقيقة في الوجود !

وابعد من هذا وأغرب أن تنسب قصته الى الفرزدق . والفرزدق ذكره مفتخرا به . ولو كان شخصا خياليا ما افتخر به عَلَى جرير ولا سكت جرير عنه وهو يتتبع سقطاته وهناته.

واغرب من هذا الاغرب ان ينكر عاقل امرأ القيس ورحلته إلى قيصر وقد ذكره مؤرخو الروم .

واتفقت كلمة الادباء على ان الفرزدق كان يروي شعر امرئ القيس وانه كان يغير على شعر غيره وينتزعه .

ومن البعيد جدا ممن كانت هذه حاله ان ينظم قصائد مطولة وينحلها غيره، وأبعد من المستحيل ان يتفق لشاعر قصائد هنَّ من عيون الكلام ومقلدات الشعر: كالمعلقة واللامية، ثم يعزوها لغيره

وقد مر ان ابن عباس استشهد ببيت من كافية لامرئ القيس وهذه لم تذكر في ديوانه، وآخر من قافية له، وثالث من اللامية، ورابع من البائية. وهذا يدل على أن لامرىء القيس من الشعر ما لم يشتمل عليه ديوانه وما ذهب بذهاب رواته، كما يدل على ان القافية واللامية كانتا قبل الفرزدق وعمر بن ابي ربيعة، وان البائية جاهلية حقيقة وليست باسلامية. ولا يسوغ لنا اطراح ما سلف من الادلة على ثبوتها ونسبتها الى امرىء القيس الا اذا

اطلعنا على ادلة اقوى وانصع وليس لدى المنكر الا الوهم المجرد .

أما الاختلاف في الاسم واللقب و الكنية والقبيلة ، وتعدد شيء من هذا ، فقد وقع كثير منه ولم يقتض انكارا ولا نفيا :

فان ابا هريرة اختلف في اسمه على خمسة أقوال فأكثر ، وفي اسم ابيه على خمسة وثلاثين قولا .

وابو عمرو بن العلاء اختلف في اسمه على احد وعشرين قولا وغيرهما .. ولم يذهب احد الى انكارهما للاختلاف في نسبهما او لقبهما

وهذا الاختلاف مستفيض في اللغة في الاشخاص وغيرهم : ألا ترى تعدد اسماء السماء والسيف والجمل والعسل ونحوها ؟ وما علمنا احدا زعم ان التعدد مقدمة تنتج الجحد والانكار الا من متحذلقة هذا العصر .

والسخافة ليس لها حد تقف عنده ، ولا مدى تنتهي اليه ؟

المعلقة

منزلتها : تكاد كلمة العلماء بالشعر تتفق على أن أفضل تراث أدبي ورثه العرب من شعر الجاهليـة « معلقة امرئ القيس » ، ويعدون ابتداءها افضل ابتداء من مطالع الشعر العربي . وقد بلغت من الشهرة في عالم الادب والشعر ، منزلة ليست لغيرها ، حتى جعلت مثـلاً أعلى في الجودة ، وحتى ضرب بها المثل في الحسن والشهرة ، فقيل : « أشهر من قفا نبك ! » « وأحسن من قفا نبك ! »

وما زالت هـذه المعلقة - ولن تزال - معينا يستمد منه الأدب

العربي ثروة جديدة ، وركناً يقيم عليه صروح مجده في الماضي والحاضر .
وهي اشبه شيء بالخزائن المدفونة المشحونة بصنوف من الجواهر والأعلاق النفيسة ، كلما ازداد المنقبون فيها بحثاً رأوا مما فيها من الذخائر الرائقة ، والآيات الرائعة ، مالم يروه من قبل . فلا يكاد ينفد ما فيها من انواع الحسن والروعة !

وحسبك دليلاً ناصعاً ، وبرهاناً قاطعاً على هذا ، أنك لاتجد كتاباً في اللغة والادب (على اختلاف أنواعها وتعدد أشكالها) إلاّ ولامرئ القيس فيه ابيات يتمثل بها ، ويحتج بها ، ويشار إلى مواطن الجمال الباهر ، والفن الساحر فيها .

فمعلقة امرئ القيس وشعره كله ، عماد قام عليه الادب العربي في القديم والحديث ، ومثال احتذاه الادباء في كل جيل . ومهما تبدل الادب بتبدل الزمان وأهله ، وتغير بتغير حياتهم الاجتماعية والعقلية ، فإن في شعر امرئ القيس ما يصلح ان يكون مثلا أعلى في كل جيل وطور ، وفي كل بيئة .

سبب نظم المعلقة

ذهب بعض العلماء الى ان امرأ القيس كان يعشق عنيزة وأخذ ثيابها يوم الغدير مع صواحباتها ، ثم عقر لهن ناقته ثم ركب معها ناقتها فدخل عليها الهودج ، كما تقدم . ثم نظم المعلقة وذكر هذه القصة فيها .

وإذا صح أن هذا وحده هو السبب لنظمها ، فقد يؤخذ عليه عدم وحدة الموضوع في القصيدة ، لانه ذكر فيها وصف الجواد والليل والبرق

والسحاب ...

ويجوز أن يكون يوم الغدير سبباً من جملة الأسباب، وان الشاعر كان مولعاً بالشعر ، فاستهل هذه القصيدة بالغزل ، وثنى فيها بقصة الغدير لولعه بالنساء والتشبيب بهن ، ثم عززها بوصف الجواد لأن ركوب الخيل في المنزلة الثانية عنده من اللذاذة .

واستطرد إلى وصف الصيد والطبيعه ، جرياً على سنة الجاهلية في عدم الوحدة واشتمال القصيدة الواحدة على أغراض متعددة .

ومما لا ريب فيه ، أن هذه القصيدة وليدة الشباب ، وربيبة الصبا : نظمها الشاعر حين لم يكن في قلبه ما يشغله إلا الصبوة و"طموح في سبيل الشهوة ، قبل أن تملأ المصائب قلبه ، وتنيخ عليه بكلكلها . ولذلك يرى الباحث فيها ماء الشباب يترقرق في تضاعيف كلماتها،ونضرة النعيم تتراءى في أسرتها .

اما العوامل التي اثرت في نفس الشاعر ، واقتنص معانيه وأخيلته منها في هذه القصيدة ، وكان لها الأثر البين فيها ، فهي :

١ - لواعج الحب التي تمتلج في صدره لعنيزة ، وفاطم ، وأم الرباب ، وغيرها .

٢ - مشاهد المنازل التي كانت فيها أحبابه ثم رحلوا عنها ، والصحاري التي اجتابها ، والمياه التي وردها ، والاودية التي قطعها ، والجبال والاماكن التي شاهد نزول المطر عليها ، وشام البرق من جهتها ، والمطر الذي رأى آثاره في بعضها .

وقد ذكرها في شعره : كالدخول ، وحومل ، وتوضح ، والمقراة ، ودارة جلجل ، ووجرة ، وضارج ، والعذيب ، وقطن ، ويذبل ، والقنان ، وثبير ، وصحراء الغبيط ، وما شاكل ذلك ...

٣ - الحياة الاجتماعية التي كان يعيشها الشاعر حين نظمها : فهي تمثل لنا نوعاً من مجانته ، وتعهيره ، وتذلله لمن يحب ،

ونوعاً آخر من اجتيابه الصحاري والاودية ، ومطاردة الوحش ، واتخاذ الاطعمة منه في الفلوات ...

ونوعاً ثالثاً من خدمة أصحابه ، وحمله الماء على ظهره لهم ، ونحو ذلك ذلك مما يدل أن حياته حياة الصعاليك والشذاذ والخلعاء ...

اغراضها

وقد اشتملت هذه المعلقة على اغراض متنوعة يمكن ردهـا إلى ثلاثة أمور :

الاول : الغزل والتشبب : ويندرج فيه بكاء الديار ، والوقوف فيهـا ، وعقر المطية للعذارى ، ودخول خدر عنيزة ، وحديثه معهـا ومع فاطم ، وتشبيه المرأة بأنواع من المشبهات ، ووصف الليل والشكوى من طوله .

الثاني : وصف الخيـل : ويندرج فيه وصف الوحش ، وصيـده والاودية ، ويتبعها حديثه مع الذئب .

الثالث : وصف الطبيعة : ويندرج فيه وصف الجبال والصحاري ، والمـطر والسيل ، وآثاره .

وقد اطال في الاول لأنه مولع بالمرأة وهي غاية المتمنى والمشتهى عنده

وكذلك أطال في الثاني لان ركوب الجواد عنده لذة تقارب أو تقارن لذة المرأة يدلك على ذلك قوله :

كأني لم أركب جواداً للـذة ولم أتبطن كاعباذات خلخال !

بل قدم في هذا البيت لذة الجواد على تبطن الكاعب .

ولم يطل في الثالث ، لانه أدنى منزلة في نفس الشاعر من سابقيه .

كلمة في المعلقة

إذا أمعن الباحث النظر في هذه المعلقة ، ثم عرضها على محك النقد والتمحيص ، يتبين له فيها أشياء هي في الدرجة القصوى من البلاغة ، واشياء يؤخذ بها صاحبها إن كانت سالمة من عبث الرواة وتحريف النساخ .

والغالب على الظن أنها لم تسلم لكثرة ما فيها من الروايات المضطربة .

أما محاسنها ، وهي اكثر ما فيها ، وهي التي جعلها مضربا للمثل في الشهرة حتى قيل « أشهر من قفا نبك ! » فهي :

١ – ان أسلوب الشاعر يسهل حيث تطلب السهولة ، ويشتد امره حيث يقتضي المقام ذلك . فكلامه في الغزل رقيق لطيف عذب ، يتلاءم مع المتغزل بها رقة ورشاقة ، كأنما يتخيره من لؤلؤ رطب .

وكلامه في وصف الجواد والوادي والصيد وما شاكل ذلك متين جزل ، كأنما ينحته من صخر صلد : فأسلوبه أسلوب ساحر ماهر لبق .

٢ – أنه مجود في التشبيه ، بارع فيه . وأكثر ما يكون لديه المشبه به محسوساً لأنه أقرب الى التناول وارسخ في النفوس . ولا يخرج المشبه

عما تتضمنه البيئة البدوية ، والحياة الفطرية : فهو إذا أراد أن يشبه
أعضاء المرأة بشيء يشعر بالجمال شبهها بالمهاة في عينها ، وبالظبي في جيده وببيضة
النعام في لونها ، وشبه اناملها بالأساريع ، وليس في المحيط البدوي مثل
أعلى للجمال في هذه الأنواع إلا هذه الأشياء .

وإذا أراد أن يشبه الجواد ، شبهه بالجلمود يحطه السيل من عل ،
وبخذروف الوليد في سرعته ، وشبه ظهره بمداك العروس ، وشبه عنقه
المضرج بالدماء ، بالشيب المخضب بالحناء .

وإذا أراد أن يشبه البرق شبه خفقانه بحركة اليد ، وضوءه بصباح
راهب السليط فيه . وهكذا شأنه في كل تشبيه . وهذه التشبيهات توضح
المعنى المقصود توضيحاً تاماً . وليس في البادية شيء أدل على المراد ، وأبين
للغرض منها ، وهي تمثل المشبه تمثيلاً صحيحاً تاماً .

٣ ـ انه مجود في الاستعارات ، محسن لتخير اللطيف منها : فإنه لما
أراد أن يعبر عن طول الليل ، شبهه بشيء له صلب و كلكل وأعجاز .

واستعار السهم للعين ، ليدل على شدة تأثيره في الفؤاد .

واستعار الصيد للقلوب ، في قوله « وهن تصيد قلوب الرجال » ليدل
على شدة استيلائها على القلوب .

٤ ـ انه بارع في تخير الكنايات : فإنه لما أراد أن يصف المرأة بطيب
الرائحة وطراوة الجسم ، كنى عن ذلك بأن فتيت المسك فوق فراشها ،
وأنها نؤوم الضحى ، وأنها لا تلبس الفضل للامتهان .

و كني عن اقتلاع السيل الشجر بقوله « يكب على الاذقان دوح

الكنهبل » وكنى عن تباهي محبوبته في الجمال ، وعن حداثة سنها بقوله :

إلى مثلها يرنو الحليم صبابة   اذا ما اسبكرت بين درع ومجول

وكنى عن ارتفاع موضع بقوله « نيافاً تزل الطير عن قذفاته »

٥ ـ انه ماهر في التصوير فاذا وصف لك شيئاً أحاط بالموصوف من كل ناحية يطلبها تحقق ذلك الموصوف وتفوقه فيها فقد وصف الجواد من النواحي التي يتطلبها وصفه بالقوة والسرعة فجعله مقيداً للوحش سريعاً مطاوعاً لا يتعبه الجري ولا يفوته الوحش ووصف ظهره وخاصرتيه وساقيه وجريه وهذا ما يتطلب وصفه في الجواد من حيث صلوحه للكر والفر وطرد الصيد وزاد على ذلك فوصف لونه وذنبه .

ولما عنّ له السرب وصف لونه واجتماعه ثم تفرقه حتى كأن السامع يراه ، وكذلك وصفه السحاب والسيل وآثارهما .

٦ ـ انه بارع في تصوير الخيال او الحال الواقعة فانه لما قص دخوله على عنيزة الخدر وخروجه بها أرانا كيف كانت تعفي الأثر بذيلها وكيف هصر بفوديها وكيف كان الغبيط يميل بهما .

وأسمعنا لومها إياه ودعاءها عليه حتى كأننا نرى ونسمع ذلك حقيقة .

وكذلك حديثه في الوادي مع الذئب وتصوير اجتماع المها وافتراقها .

فهو مصور بارع يؤثر كلامه العذب في النفوس ما لا تؤثره ريشة المصور .

٧ ـ إن ابتداء هذه القصيدة أفضل ابتداء صنعه شاعر لانه وقف

واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد[1] .

وإنه ختمها بوصف السيل ولم يتعمد جعله خاتمة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات ، مع أنها أفضلها ، رغبة في اطراح الكلفة وحتى تبقى النفس متعلقة بها طامعة في بقية الكلام .

ما يؤخذ به في المعلقة

١ - وحدة الموضوع فيها فإنها جمعت بين الغزل والطرد ووصف الجواد والبرق والسحاب الخ ...

٢ - عدم التلطف في الانتقال من غرض إلى غرض : فبينا هو يتغزل ينتقل إلى وصف نفسه بالدماثة والشجاعة ثم يقفز إلى الوادي فيدور حديثه مع الذئب ثم يطفر إلى وصف الجواد وهكذا شأنه في شعره كله .

٣ - عدم الترتيب الطبيعي في الغرض الواحد : فهو عندما أراد أن يصف محبوبته وصف خصرها وترائبها ثم انتقل إلى خدها وعينيها ثم نزل إلى جيدها ثم ارتقى إلى شعرها ثم هبط إلى كشحها وساقها ثم ذهب إلى فراشها ثم وصف يديها .

وكذلك شأنه في الجواد فانه وصف خاصرتيه وساقيه ثم انتقل إلى ذنبه ثم وصف ظهره .

٤ - عدم احاطته بالموصوف من كل ناحية إحاطة تامة : فلو أكمل وصف المرأة فوصف ثدييها وحديثها وأنفها وأسنانها وما شاكل ذلك لجاءت صورة

---

(١) العمدة ٢/١٦٠

كاملة، وكذلك لو وصف أذني الجواد وجمجمته وعرفه وحوافره لكانت الصورة تامة .

٥ ـ وجود الإقواء في مثل قوله : « كبير أناس في بجاد مزمل »

وقوله : « ونصف بالحديد مكبل »

ونحو ذلك مما أسلفنا ذكره .

ولكن هذه الامور لا تعد شيئا في جانب ما فيها من المحاسن والروائع التي فتح بها الباب، ومهد السبيل لمن أتى بعده ، والكمال لله وحده .

* * *

وقد رأينا أن نجتزئ الآن بهذا القدر على أن نعود ان شاء الله تعالى إلى إتمام القول فيما يتعلق بهذا الشاعر الفذ ، وفي شرح البقية الباقية من شعره ، حتى يتبين الجاهلون لقدره أن امرأ القيس عماد يقوم عليه الأدب العربي في الماضي والحاضر، وأن له فضلاً على الادب لا ينكره إلا جاهل أو مكابر ؟

مآخذ الكتاب

الاصنام (لابن الكلبي) م · دار الكتب المصرية ، القاهرة

الاغاني (لأبي الفرج الاصبهاني) : م· مصر ، القاهرة ١٣٢٢

الأمالي (لأبي علي القالي) : م· دار الكتب المصرية ، القاهرة

أمالي المرتضى : م· السعادة ، القاهرة ١٣٢٥

بدائع البدائه (لابن ظافر الازدي) : بولاق ١٢٧٨

تاج العروس للزبيدي

جمهرة اشعار العرب (لأبي زيد القرشي) : المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٣١

خزانة الأدب (للبغدادي) : المطبعة السلفية ، القاهرة

خزانة الأدب وغاية الارب (لابن حجة الحموي) : بولاق ١٢٧٣

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٠٦

شرح ديوان رئيس الشعراء ابي الحارث : المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٠٧

شرح شواهد المغني (للسيوطي) : المطبعة البهية ، القاهرة ١٣٢٢

شرح القصائد العشر (للتبريزي) : المطبعة السلفية ، القاهرة

شرح المعلقات السبع (للزوزني) : المطبعة الميمنية ، القاهرة ١٣٢٧

الشعر والشعراء (لابن قتيبة) : م· التقدم ، القاهرة ١٣٢٢

الصحاح (للجوهري)

العمدة (لابن رشيق القيرواني) : م· السعادة ، القاهرة ١٣٢٥

عيون الاخبار (لابن قتيبة) : م· دار الكتب المصرية ، القاهرة

الكامل (للمبرِّد) : م· التقدم ، القاهرة ١٣٢٣

لسان العرب (لابن منظور)

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (للعباسي) : بولاق ١٢٧٤

الموشح (للمرزباني)

نهاية الأرب في فنون العرب (للنويري) م · دار الكتب المصرية (صدر منه ١١ جزءاً) القاهرة

ذكرنا بعض الابيات في مواطن متعددة بروايات مختلفة

إشارة الى تعدد الروايات فيها

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	١١	الغربية	الغربية
٥	٥	في الادب	في نهاية الأرب
٦	٨	قلعت عنه	قلعت منه
٧	٣	حجر	حجرا
٩	١١	ليلة	ليلته
١٢	١٣	وانما لاهلها	واننا لاهلها
١٦	١٣	مانتوقع	ما نتوقع
١٦	١٦	فنزلوا	فنذروا
١٩	١٥	بالتوبة	بالثوبة
١٩	١٧	بحفر	بجفر
٢٣	٢٠	اسعة	واسعة
٢٥	٢	حفنة	جفنة
٢٨	١٢	عمر بن	عمرو بن
٣٠	٦	وأبدأ	وإبدأ
٣٤	٤	أو أعلام	وأعلام
«	١١	دامي	دام
٣٥	٣	حموشه	حموشة
٣٥	١٣	خافت	وخافت
٤١	٢	حبائبه	حبائله
٤٢	٧	أتوا	إئتوا
٤٤	١٠	بذات (١٤) السر	بذات السر (١٤)
٤٦	٧	الارض	لأرض

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٦	٢٠	وقبصه	وقبضه
٤٨	١٣	فَحومَل	فَحَوْمَل
٥١	٣	واول جود	واول من جود
٥٤	٢	التصحيف	المضارع
٥٤	٨	دار كا	دراكا
٥٤	١٩	الرنة	الرّنة
٥٧	٦	محجته	محجتها
٥٧	١٦	الصوا	الصوى
٥٧	٢٠	على الصخر	على الضمر
٥٨	٧	يتلت	يثلث
٥٨	١٣	وارحاء	وارخاء
«	١٥	لشيب	بشيب
٦١	١٥	لمْ	لم
٦٢	١	والاسد	والشمس
٦٤	٢	اذا ما الثريا	وعيب عليه قوله إذاما الثريا
«	٩	واما هنا	وما هنا
٦٦	١و٧	مرسغة	مرسعة
٦٦	٣	بخزراقة	بخزرافة
«	٥	رسغ فهو مرسّغ	رسع فهو مرسع
«	١٧	يؤخذ	بأخذ
«	٢٣	بالمكنبين	بالمنكبين
٦٨	١٢	عندي	عني
٧١	٢١	نعتان	لغتان
٧٢	٣	مجلّحه	مجلِّحه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧٢	١٧	اجرا	اجر
٧٦	٨	المماجن	الماجن
٧٦	١٧	يردعك	يروعك
٧٦	١٧	بالغصن	وبالغصن
٧٧	٤	على نفسه	على فيه
٧٩	١٦	الاثر	الاثر بثوب
٨٠	١٦	كصُحُبٍ	كصَحْب
٨٢	١٩	توشمت	توشحت
٨٣	٦	دبل	ذبل
〃	٨	بطنَ	بطنُ
٨٧	١٥	اغلت	اغالت
٩٠	١٢	تشت	تشب
٩٠	١٩	يتدجرج	بتدجرج
٩٢	١٠	ممددة	محددة
٩٣	١	بجُباء	بجَباء
٩٣	١٩	المسابطة	المصادقة
٩٤	١٣	تنتظراني	تنْظِراني
٩٤	١٥	كثير	كثيراً
٩٤	١٥	بعض	بعد
٩٤	١٩	كما	اما
٩٥	٢١	مصون	مصوت
٩٦	١٩	مصابة	مصابه
٩٦	٢٠	الضبابة	انصبابه
٩٧	١٣	يسلفا	يسلقا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩٧	١٧	مديمان	مديمات
٩٧	٢٠	ما يحطر	ما يقطر
٩٧	٢١	تسند ثقوب خزرهما	تسند ثقوب خرزهما
٩٨	١٤	وما ترى	أوما ترى
٩٨	١٨	يتصرف	يتفرق
٩٩	٤	مؤم	موم
٩٩	١٧	، قبل	قبل ،
١٠٩	١٥	قامة	تامة
١٠٩	٢٠	الغَدُر	الغُدَر
١١٠	١٣	جولانها	وجولانها
١١٢	١١	بضعهما	بضعهما معا
«	١٣	شد	اشد
١١٣	١٨	ومذبل	ومذبل
١١٤	١٤	نفح	نفج
١١٦	١٥	عصبهما	عصبها
١١٦	١٧	جوال	جوال وعبل ايضا
١١٦	٢١	لا تبقين	لا ينقين
١١٦	٢٣	لتجنبة	لتجنبه
١١٧	٢	الوشي	الوشي
١١٧	٣	تحول	نجول
١١٧	١٣	إجلال	نجول بإجلال
١١٧	٧	تخَطف	تخَطِف .
١١٧	٧	الشَوبة	الشَوبة
١١٧	٧و٢٢	حَجرت	جَحرت

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١٧	١٤	منقطعة	منقطة
〃	٢٠	تدنَو	تدنو
〃	٢٢	خزن	خزز
١١٨	١٥	المتتابعة	طراد . متابعة
〃	٢٠	المستقل	بالمستقل بالشعر
١٢٠	٦	مُخطِب	تخطُب
〃	٨	الغيط	الغبيط
〃	١٦	باتنا	يأتنا
〃	١٩	ذار كبوه	اذار كبوه
١٢١	١١	مونق	موثق
〃	٦	مصون	مصوت
١٢٢	٣	فقالوا	فعالوا
	٤ و ١٤	مازبة	ماذبة
	٥	بخائب	نجائب
	٦	حديد	جديد
	٨	تمش	نمش
	١٣	شعب	مشعب
	١٧	حري	حاري
	١٣	ارفعوا	رفعوا
	١٨	تمشي تمسح	نمش نمسح
	٢٠	جؤاتي	جؤاثى
١٢٣	٦	رخوَ	رخوِ
	٧	حسيس	حثيث
	٨	مثاني	مثان

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢٣	١٢	يبرد	يبرد
〃	〃	ادبر	وادبر
١٢٥	٢٢	دليل	ذليل
١٢٦	١٠	تهتز	تهز
١٢٦	١٦	المشئوم ، والمنكد	: الشؤم ، والنكد
١٢٧	١٥	بقي	وبقي
١٢٨	٥	ظهر	ظهر
	١٥	الدر	السدر
	٢١	ارمل	ارمى
١٢٩	١٠	. بغني .. كل	بغشى .. وكل
	١٢	الواح	شبهها بألواح
	١٨	الاعواد	لاعواد
	١٩	مثناه	متناه
	٢٣	لا أنحي	أنحى
١٣٠	١	نبات	نباث
	٤	السرق	الشروق
	١٩	عيونهم	عيونها
١٣٤	١٣	لوطف	الوطف
١٣٥	١٩	النارة	الثارة
١٣٦	١٢	الأربض .. البريض	الأريض .. البريض
١٣٧	٣	قعدت له وأصحابي	قعدت وأصحابي
	٢٣	نفيان أصحاب	نفيان المطر أصاب
١٣٨	١٣	ودقة	ودقه
١٣٩	١٦	الليل	للبل

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٣	٩	الفيل	الغيل
١٤٥	١٠	شبهه	شبيها
	١٩	وبيض	وبيص
١٤٦	١١	روح	دوح
١٤٦	١٤	العرقي	الغرقى
١٥٠	٣	خالي بن	خالي ابن
	١٧	فمالك	فما بالك
١٥٢	١٢	قيل	وقيل
١٥٥	١	او المنيه	او المنبه
١٥٨	٤	والخِصر	والخَصَر
١٦٠	١٥	والمجار	والجار
١٦١	٣ و ٩	فالجنبتين .. عافل	فالخبتين .. عاقل
	١٣	المسيل	المسبل
	٢٠	للأم	اللأم
١٦٢	٦	قيس بني	قيس من بني
	٩ و ٢١	المغارم	المفارم
	٢٢	بتفيقن	بتغيقن
١٦٣	٦ الى ١٠	حصرِ . دثرِ . النمرِ . بالجَزَر	حصر دثر النمر بالجُزُر
١٦٣	١٢	ربيت ... أعلموه	ربيت .. اذنوا اعلموا
١٦٦	٤	ودرام	ودارم
١٦٩	١٧	غنيث	لفنيث
١٧٢	١٢	تخض	تخص
	١٨	اهيج	هيج

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧٤	١	سالي	ليالي
	٥	وشذارا	وشذرا
١٧٦	١٨	السبك	السك
١٧٩	١	هيابةُ	هيابةَ
١٧٩	١١	قوله	فيدل قوله
١٨١	١٣	امرأ	امرئ
١٨٣	٦	اختفره	أحتقره
	١٨	اعمى	اشد عمى
١٨٤	٦	يزني	يزن
١٨٨	٤	يعفير	يعفر
	٢٠	في التين	
١٨٩	٢	مؤثلتان	مؤلتان
	١٠	كالماوينين	كالماويتين
	١١	واخذه	اخذه
١٩١	١١	نعج	دعج
〃	١٨	تمش	نمش
٩٢	١	ثمة ١٠٠ اعرافنا	ثمث ٠٠ اعرافهن
〃	٣	يحطب	نحطب
١٩٤	٥	حذف	خذف
〃	١٩٠	حر	جمر
١٩٨	١	فكاد	فكاب

فهرس

كتاب البحاثة الجليل

الاستاذ احمد امين

حضرة الفاضل مدير المكتب العربي بدمشق

تحية وسلاما

تلقيت ما تفضلت فأهديتم الي من كتب
«[illegible] لابن سينا» و«المنقذ من الضلال»
و«حي بن يقظان» وقد طالعت الجزء الاول
فأعجبت [illegible] [illegible] ووضوح الطباعة مما
دل على [illegible] حمل صاحبه [illegible] [illegible]
موفقة في الكتب [illegible]
كما أعجبت [illegible] الكتب التي [illegible]
بتصحيحها [illegible] [illegible]
من الطراز الحديث في النشر
فأرجو قبول شكري وابلاغ تحيتي وشكري
الى [illegible] . والسلام عليكم

٦ أغسطس سنة ٣٦ احمد امين

كتاب الاستاذ مصطفى عبد الرازق
استاذ الفلسفة الاسلامية في الجامعة المصرية

مصطفى عبد الرازق يشكر
أحسن الشكر مكتب النشر
العربي بدمشق على هديته
الكريمة ويثني كل الثناء
على هذه الجهود المباركة
التي تحيي آثار السلف الحميدة
على خير ما يحيي الأبناء
البررة ذكر آباء كرام
وعلى رجال مكتب النشر
العربي تحية وسلام
مصطفى عبد الرازق

١٣٥٤ مطبعة ابن زيدون : دمشق ١٩٣٦

قواعد التحديث

من فنون مصطلح الحديث

تأليف

السيد جمال الدين القاسمي

أهم كتاب صدر عن هذا العلم الجليل صدر له بمقدمة عن حياة المؤلف العلمية العلامة الأمير شكيب ارسلان وحلل الكتاب تحليلا علميا السيد الامام محمد رشيد رضا ووقف على طبعه وعلق عليه العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار من أعضاء المجمع العلمي العربي

الحياة الادبية

في جزيرة العرب

للدكتور طه حسين

بحث عظيم عن الادب في مهبط الوحي ومصدر النور الذي اشرق على العالم بأسره الا أن الباحثين عن ادبها قليلون جداً . وقد بين الدكتور طه حسين في كتابه هذا اضافة الى ما ذكرنا اثر الحركة الوهابية في أدب العرب وعقليتهم

ثمنه ٥ قروش سورية

من أفلاطون
إلى ابن سينا

محاضرات في الفلسفة العربية

القاها الدكتور

جميل صليبا

هذه المحاضرات لم يكتب في موضوعها في لغة العرب حتى اليوم ، تجد فيها اثر "فلسفة افلاطون والافلاطونية الحديثة في الفلسفة العربية"، وتقرأ بحثا طريفا عن "الفارابي وجمعه بين رأبي الحكيمين افلاطون وارسطو"، ومن مواضيعها النادرة مقارنة علمية بين جمهورية افلاطون وآراء اهل المدينة الفاضلة"، وبحثا عميقا "عن نظرية الفيض عند ابن سينا او صدور الموجودات عن الخالق ونظرية النفس عند ابن سينا ونظريته في السعادة وغير ذلك من الابحاث الجليلة .

قصة

حيّ بن يقظان

لابن طفيل الاندلسي

القصة التي ترجمت إلى جميع لغات العالم في الشرق والغرب ، والتي لاتزال تؤلف الكتب الضخمة في تحليلها ونقدها وبيان وجوه معانيها ، لا جرم أن قصة هذا شأنها جديرة بالمطالعة والتدبر ، فانها تجمع بين فائدة العلم ولذة القصة وطرافة الموضوع تجد في هذه الطبعة المقابلة على أهم طبعاته في الشرق والغرب وعلى نسخة خطية فريدة جريدة أهم نسخه الخطية وترجماته وغير ذلك من الابحاث المهمة .

ثمنه ٢٠ قرشاً سورياً

مؤلفات القاسمي

الفتوى في الاسلام	الاجوبة المرضية
تنبيه الطالب	شرف الاسباط
إرشاد الخلق	رسائل في الاصول
المسح على الجوربين	اقامة الحجة
لقطة العجلان	نقد النصائح الكافية